مركز حضرموت للدراسات التاريخيه والتوثيق والنشر
HADHRAMAUT CENTRE
For Historical Studies
Documentation and Publicatin

حضرموت الثقافية

ذو القعدة ١٤٤٢هـ - Hadhramaout AL-Thaqafiah - June 2021
مجلة فصلية - السنة الخامسة - العدد (20)



اكتشافات أثرية جديدة
في المشهد

الصراع على الحكم وأثره على حضرموت

دعابات المحضار

من أعلام حضرموت



الشاعر حداد بن حسن الكاف

(١٩٠٩- ١٩٦٩م)

محتويات العدد

حديث البداية

- **العاطفة في الكتابة العلمية** ..... رئيس التحرير **4**

أضواء

- **فتنة صاحب عينات وابن يماني ونجدة يافع في وثائق تاريخية تُنشر لأول مرة**.... أ.د. علي صالح الخلاقي... **7**
- **التقرير الأولي للحفرية الإنقاذية لمغارة المشهد بدوعن م/ حضرموت**..رياض باكرموم – د. حسين العيدروس .. **23**

دراسات

- **الصراع على الحكم والتسلط وأثره على الحياة العامة بحضرموت في القرن الثالث عشر الهجري**.صالح عصبان **28**
- **المادة التاريخية والاثنوغرافية عن المشقاص في كتابات المستكشفين الأوروبيين لحضرموت**.. باسل باعبّاد....**38**
- **الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب.. ساحل حضرموت (أنموذجًا)**.....عمر خميس بامتيرف..**47**
- **الناقد العربي (عبدالعزيز حمودة) وإشكالية التحيز اللساني الغربي**..... صالح علي العطاس.... **56**

حوار

- **إضاءات مشرقة في حياة التربوي المربّي القدير الأستاذ/ سالم سعيد باريدي**.. حاوره/ سالمين باسلوم.....**65**

نقاش

- **من (بلدان حضرموت) إلى (صوفية حضرموت) ملاحظات على طبعة (دار المنهاج) لكتاب (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) لابن عبيد الله السقاف**..... الشيخ/ علي بن سالم بكير... **70**
- **تضارب المداخل والاتجاهات في مقال د. صادق عمر مكنون** ..... د. عبدالقادر علي باعيسى.... **78**

شخصيات

- **لَمحاتٌ وذكْرَياتٌ عن فَقِيه المُكلّا الشّيخ الفَقِيه المُربّي سعيد بن عمر باوزير**.. د. زين محمد حسين العيدروس. **85**
- **القاضي الشيخ عبدالله بامخرمة رجل إصلاح وعلم**..... عبدالعزيز محمد بامحسون....**94**

كتابات

- **المحضار دعاباته ووخزاته** ..... د. عبده بن بدر.....**96**
- **نموذج على تقارب المثل السوداني والحضرمي** ..... منير بن سالم بازهير.....**103**

استطلاع

- **العمّاري عاشق الموروث الشعبي الحضرمي**..... يوسف عمر باسنبل.....**105**

إبداع

- **غادر** (سرد)..... مسعود علي الغتيني..... **108**
- **صرختُ من المترس** (سرد)..... عبدالله فيصل باصريح..... **109**
- **ألم القلم** (قصيدة)..... محمد رافع كوتوفادمي.....**111**
- **سانتياجو** (قصيدة)..... صادق بلعبيد..... **112**
- **سِرُّ إبْدَاعِي** (قصيدة)..... هاني عبود الغتيني.. **112**

توقيع قلم

- **"الشاة شاة سالمين واللّبن لسيده"**..... أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي... **113**

حضرموت الثقافية

مجلة فصلية

السنة الخامسة العدد (20)

إبريل - يونيو 2021م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ. د. عبدالله صالح بابعير

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

التنفيذ الطباعي

مطابع وحدين الحديثة للأوفست - المكلا

- المواضيع المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنّية إخراجية.
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تلتزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baaesa-١@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان: المكلا - حي الشهيد - (معهد باشريف سابقًا) - ت: ٣٥٠١٣٥

العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

العاطفة في الكتابة العلمية



د. عبدالقادر علي باعيسى
رئيس التحرير

مع أن العاطفة تدخل في إطار الشعور الإنساني الذي لا يمكن أن يسلم منه أحد، وتجعل سياق القول الذي ترد فيه أحلى، فإن تكريسها في مجال الكتابة العلمية يجعل السياق مزاًّ، أو فجا، أو حامضا، يمارس من خلالها الكاتب خيانة عفوية لعلمه، وقد يقصد إليها، وهي تدعوه لتجميع ومضات إيجابية عما يحب، فتخل بصورة إرادية أو لا إرادية بنسق الكتابة العلمية لديه.

العاطفة تجعل الأفكار أيا كانت حيويتها محنطة، لأنها ذاتية، وشخصية، وأنانية، وتصيب القارئ بالضجر وهو يتابع تدخلها في توجيه الأفكار، وربما صناعتها، بحيث يشعر أنه في سجنها، والأدهى أن تغدو هي صورة العلم، وتمثاله المتحدث باسمه، فتمارس دوراً كبيراً من انتهاك العلم، في أثناء عرضها لهذيانها الجميل!!.

العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

يمكن عد العاطفة من الشيطانيات الناعمة، كالمكياج على وجه متواضع جماليا، إنها ممارسة وقحة رغم نعومتها التي تستغفل القارئ عن كثير من الحقائق، وبما أنها لا يمكن التخلص منها مطلقا، فلا ضير من أن تأتي شاحبة أو باهتة قدر الإمكان، كالمكياج الخفيف الذي لا يزوّر ملامح الوجه الأصل.

قد تأتي العاطفة باسم القيم، وهي تسوغ عاطفيًا لما ليس كذلك، إنها تهادن القارئ، لكنها في الواقع تطعنه، وتقلب عليه ما يريد أن يعرفه، لاسيما مع الكتب التي انقطعت عن القراء علامات الاختراق العاطفي التي أصابتها. إنها لا تجعله يثأر لما يمكن أن يراه من خطأ، بل تهجنه لصالحها، إلا إذا أدرك ألاعيبها فإنه يتمرد عليها حينئذ، وربما بعنف.

يمكننا التوافق مع العاطفة إلى حد ما، بحيث لا تتجاوز حدودها وتقلب الموازين، كذلك المسمى العاطفي الأسري الذي دخل إلى مسميات بعض دروس النحو (كان وأخواتها) و (إن أخواتها) بدل المسميين العلميين (الأفعال الناقصة) و(الأحرف الناسخة).

وعلى أية حال فمهما كانت العاطفة فاعلة، فإنها في المجال العلمي مصنوعة من قصدير سرعان من يعلوها الصدأ، وتتلاشى مع أول عمليات الصنفرة.

6
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

المدير العام لمديرية المكلا في ضيافة مركز حضرموت



إعلام المركز

استقبل مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مساء الأربعاء ٦/ ٧/ ٢٠٢١م المدير العام لمديرية المكلا المهندس صالح فائز العمري وكان في استقباله أ.د عبدالله سعيد الجعيدي مدير المركز وعدد من مديري الدوائر ورؤساء اللجان العاملة في الموسوعة الحضرمية..

وفور وصوله التقى بقيادات المركز وتم تعريفه بنشاط المركز ومشاريعه القادمة وأبدى سعادته بزيارة المركز وما يقوم به من دور كبير في خدمة حضرموت وتاريخها وثقافتها مبديًا استعداده لمساعدة المركز في تسهيل بعض أموره الإدارية لاسيما في التنسيق مع المنظمات الدولية المهتمة بشؤون التراث والتاريخ.

وفي ختام الزيارة طاف به أ.د. الجعيدي على أروقة المركز ومكاتبه.



مندوب د. القاسمي يزور مركز حضرموت

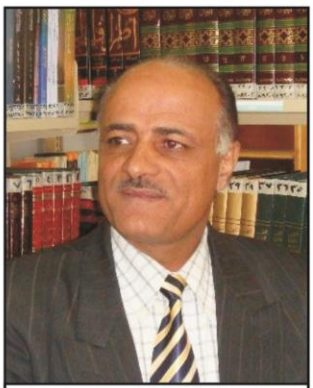
إعلام المركز

نيابة عن د. خالد بن محمد القاسمي رئيس دار الكتب والدراسات العربية بجمهورية مصر العربية، رئيس مكتبة القاسمي بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، قام مندوبه الأخ خالد عمر باجبير بتسليم أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي مدير مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر صباح السبت ١٩/ ٦/ ٢٠٢١م مجموعة قيمة من الكتب مهداة من الأستاذ القاسمي إلى المركز، وقد أثنى أ.د. الجعيدي على هذا الإهداء وعلى العلاقات المتبادلة بين الطرفين في مجال الإصدارات متسلما رسالة من د. خالد القاسمي إلى رئيس مجلس إدارة المركز أ. محمد سالم بن علي جابر تعبر عن الرغبة في تعزيز أواصر العلاقات البحثية والتوثيق التاريخي وتبادل الإصدارات بين مكتبة الشارقة ومركز حضرموت للدراسات التاريخية لما فيه خدمة القراء والباحثين.



7
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

فتنة صاحب عينات وابن يماني ونجدة يافع في وثائق تاريخية تنشر لأول مرة (١٢٣٨- ١٢٣٩هـ)



أ.د. علي صالح الخلاقي*

توطئة:

صاحب عينات، أو مولى عينات، نسبة الى المدينة الحضرمية ذات الصيت الكبير الواقعة شرق مدينة تريم، والتي أنشأها رجُل الدِّين والمصلح الاجتماعي السياسي ذو النفوذ والجاه الكبير في الأوساط الاجتماعية الحضرمية الشيخ أبو بكر بن سالم بن عبدالله بن عبدالرحمن السقاف العلوي (٩١٩ - ٩٩٢ هـ). وقد كانت له رئاسة ومشيخة علمية ودينية في بلدته عينات، وكانت تتوافد عليه الجموع في أي مكان يحلّ فيه، وتنشر أمام موكبه الأعلام، وتضرب بين يديه الطاسات، إلى أن توفي(١).

وكان للشيخ أبي بكر بن سالم تأثير روحي كبير في يافع وكذلك لابنه الحسين، وقد أرسلا مجموعة من أقاربهما السادة ومن تلامذتهما الدعاة والفقهاء، على رأسهم الشيخ علي بن أحمد بن هرهرة إلى بلاد يافع بناءً على طلب قبائل يافع لتعليم أهلها، وإصلاح ذات البين، وجمع العشور والنذور التي تلتزم بها يافع لآل الشيخ أبي بكر بن سالم. وقد ورث أبناؤه وأحفاده اللقب والتأثير الروحي(٢). وبفعل هذا التأثير كانت يافع تستجيب طواعية لطلب صاحب عينات أو استغاثته، سواء عبر (يافع التلد) من سكان حضرموت القدماء، الذين يرجع وجودهم إلى العهد الحميري وما تلاه، أو (يافع الغرباء) وهم من كانوا يأتون من يافع الجبل تلبية لطلب مولى عينات، ولاحقاً للالتحاق في جيش الدولة القعيطية، وتجلى دور يافع في حضرموت في مواقف عدَّة، أبرزها في مواجهة الوجود الزيدي في حضرموت وطردهم منها، وكذا في نجدة صاحب عينات وقت الخطر، كما حدث في ثلاثينيات القرن الثالث عشر الهجري، في أثناء فتنة آل تميم والمناهيل مع صاحب عينات الحبيب السيد أحمد بن سالم بن أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم، الذي تولى المنصب بين (١٢١١-١٢٤٢هـ).

وآل يماني هم عمود السلطنة التميمية بحضرموت، تأسست سلطنتهم سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م على يد السلطان مسعود بن يماني بن لبيد التميمي، وعاصمتها مدينة تريم، وكانت نهايتها على يد السلطان الكثيري بدر بو طويرق.

وفي ظل الصراع الذي شهدته حضرموت وتفكك الدولة الكثيرية وضعفها ظلت علاقة آل تميم بيافع قوية، وأمتن من علاقة آل تميم بآل كثير. والسبب هو أن آل تميم يعتقدون أن آل كثير اغتصبوا الملك من آل تميم، حوالي عام ٧٨١هـ، وتحديداً من آل يماني. ثم إنَّ آل تميم كانوا يرون في التحالف المصلحي بينهم وبين يافع إضعافاً تدريجياً للدولة الكثيرية،

ومن ثم تقليص رقعتها إلى مساحة ضيقة جداً إذا لم تتيسرَّ لهم إبادتها. وقد تمكَّن آل تميم ويافع من حصر النفوذ الكثيري، عبر السنين، في منطقة منحصرة بين نُخْر محْوَلَهْ غرباً إلى الحَزْم شرقاً. وعلى ضوء هذه السياسة العامة تبادل يافع وآل تميم المعونات العسكرية في الرجال والعتاد سنين عدَّة(٣).

ومع ذلك فقد سادت هذه العلاقات المتينة والتعاون المتبادل فترات من الخلافات بلغت حد المواجهة أحياناً، وهو ما دفع الشاعر المعلم عبدالحق أن يخاطب آل تميم بشأن علاقتهم مع يافع، مهيباً بهم أن تكون يدهم واحدة على الخصم (الكثيري)، وأن يتناسوا الخلافات التي بينهم وبين يافع، أو في الأقل، يؤجلوا النظر فيها إلى الوقت المناسب:

انتُم ويافع كُل بادي نَقْلَه
شَلَّه بشلّه في مجاري سَوده
بُدْنِه ولُحمه في معاضد فصله
من هو الذي يأكل لحوم اعضوده؟
لا تحسبوا ما قد تقدم قبله
لي بينكم قوّوا عليه اِربوده
ما قد سبق عيمان ذيك الوهله
من له طلايب خلّفوا موعوده
العار يا اهل العار شو ذا حِلّه
لا حد يبقّي في الشَّنف مجهوده

فتنة منصب عينات وابن يماني:

من تلك المواجهات، ما جرى بينهما بسبب الفتنة التي جرت أحداثها في ثلاثينيات القرن الثالث عشر الهجري بين آل تميم ومنصب عينات. ففي أوائل العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري نشبت حروب ضروس بين الحبيب السيد أحمد بن سالم بن أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم منصب عينات وبين المقدَّم عبدالله بن أحمد بن يماني، من جراء الحصون المسمَّاة بالغرفة، خارج بلدة قَسَمْ واستمرَّت هذه الحرب نحو سبع سنوات، تضرَّر الناس منها أيَّما ضرر، وجنَّد كل منهما جنوداً من المقاتلة عادت عليهما وعلى غيرهما بالخسارة والدمار(٤).

ففي حدود سنة ١٢٣٧ هـ عادت الحرب جذعة بين الحبيب أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم وبين المقدم عبدالله بن أحمد بن يماني، وسببها كما يقول ابن عبيد الله أنَّ آل يماني قتلوا أحد خدَّام المنصب غلطاً. وفي شهر ذي الحجة من السنة نفسها أقبل جماعة من أتباع المنصب من جبل يافع يسوقون أغناماً إليه تجيء له كل عام، وبصحبتهم أشخاصٌ من السادة القاطنين بحبَّان، وبعد أن وصلوا عينات توجَّه بعض الأتباع إلى تريم لقضاء غرض لهم، فقابلوا تحت ديار باعطير أشخاصاً من آل يماني فأطلقوا الرصاص سريعاً على الأتباع المساكين وقتلوا واحداً منهم وجرحوا آخر، ووصل الخبر إلى منصب عينات فلم يعمل شيئاً في حينه، وعظم الأمر على السادة الذين جاءوا من حبان فكَمَن منهم اثنان خارج عينات حتى مرَّ بهم بعض آل عثمان من أصحاب المقدَّم فقتلوه وذلك في ١٩ محرم سنة ١٢٣٨ هـ، ثم اتجه أولئك السادة إلى تريم ومنها إلى شبام رأساً، وهناك وجدوا قافلة متوجهة إلى بلادهم فصحبوها(٥).

وتحزَّب آل عثمان وابن يماني من جهتهم وصمَّموا على الانتقام بقتل ابن المنصب أحمد بن سالم، وكان ابنه هذا يتعوَّد الجلوس كل ليلة بعد المغرب على مصطبة لدار أبيه في حارة النخر هو وجماعة من أصحابه، وفي ليلة الأحد، الموافق ٢٨ محرم سنة ١٢٣٨ هـ وصل رجلٌ من آل يماني إلى عينات ووقف أمام المصطبة وعليها السيدان أبوبكر بن أحمد سالم وعمر بن صالح وأطلق بندقيته على السيد أبي بكر بن أحمد سالم، وابن المنصب، فأخطأ الأوَّلَ، وأصاب السيد عمر بن صالح فقتل شهيداً، واستنجد المنصب بيافع، فلم يجد إلا القليل بقي يناوش بهم آل يماني في قَسَم، ثم تكاثر الوراددون عليه من يافع، وكاد أن يستولي بهم على قَسَمْ لولا أنَّ المقدَّم جمع عسكراً كثيراً من المناهيل وهجم بهم على عينات، وطال بينهم أمد الحرب، وكان الرجحان في الأغلب لكفة بن يماني(٦).

نجدة يافع لصاحب عينات في وثائق تاريخية:

يكشف لنا الأرشيف الأسري الكثيرَ من الخفايا عن أحداث مضتْ، كاد أن يغفلها المؤرِّخون، فجاء ظهور هذه الرسائل ليزيل الركام عنها ويعيد التذكير بها من مصادر موثوقة، ومن شخصيات عاصرتْ تلك الأحداث وعايشتها أو شاركت فيها.

ومن الوثائق ذات الصلة المباشرة بفتنة ابن يماني وصاحب عينات ونجدة يافع التي جاءت في وقتها استجابة لطلب صاحب عينات الحبيب أحمد بن الشيخ سالم ابن الشيخ أحمد بن الشيخ أبي بكر سالم، بين أيدينا أربع وثائق تاريخية تنشر لأول مرة. وهذه الوثائق هي من ضمن وثائق تاريخية مهمَّة وكثيرة، ذات صلة بتاريخ حضرموت ويافع وأواصر العلاقة بينهما، حفظها لنا الأرشيف الأسري الثري والنفيس لأُسرة مشايخ بني بكر آل دينيش وأسرة قضاتها آل عزالدين، وتُبيِّن هذه الوثائق المكانة المهمَّة والدور المؤثر لهاتين الأسرتين وشخصياتهما الرئيسة في مجمل الأحداث التي شهدتها حضرموت.

ومن بين الشخصيات المهمَّة ذات الثقل والتأثير في الأحداث التي نحن بصدد الحديث عنها، نذكر تحديداً الشيخ عبدالله عوض دينيش [ابن عوض سعيد عوض سعيد عوض محمد دينيش البكري](٧)، عاقل بني بكر، الذي كان له دوره المؤثر وحظي بمكانة مهمَّة لدى صاحب عينات، ونال رضاه وحبه وتقديره لما أبداه من الإخلاص والوقوف معهم في محنتهم وفتنتهم. ومن آل دينيش ممن تجاوبوا مع تلك الأحداث وأسهموا فيها وفي غيرها من الأحداث التي شهدتها حضرموت في تلك الفترة، نذكر منهم: أحمد بن دينيش بن ناصر، ودينيش بن علي بن دينيش، وأحمد بن عبدالنبي بن عوض دينيش، وعلي نجل الشيخ عبدالله عوض دينيش الذي كان بصحبة والده، وغيرهم ممن تعرضت لهم رسائل أخرى.

والشخصية الأخرى نائب الشرع الفقيه عبدالحبيب بن أحمد بن حيدر بن عزالدين، الذي مثل شخصية محورية مهمَّة في كثير من الأحداث بما له من علاقة مؤثرة ورأي مسموع لدى سلاطين يافع ولدى أمراء الدولة الكسادية والإمارة البريكية والسلطنة الكثيرية وحكَّامها وصاحب عينات، وجمع بحنكته ودهائه بين متناقضات هذه الكيانات في علاقاته المميزة، وكلمته المسموعة لدى الجميع.

وسنتعرض في هذه الوثائق التاريخية بدرجة رئيسة لكل ما له صلة بتلك الفتنة فقط، فهي بيت القصيد في بحثنا هذا، ونتجنب الخوض في بقية محتويات الرسائل، وفضَّلنا نشر نصوصها كاملة وصورها لكي يستفيد الباحثون والمهتمون مما ورد فيها من مضامين وأخبار أخرى، دوَّنها شهود عيان ومشاركون في تلك الأحداث، ولا شك في أنها تمثل مصدراً مهماً للتعرف على جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والعسكري، وغير ذلك من تاريخ حضرموت ويافع في تلك الفترة.

وسنركز هنا بدرجة رئيسة في الشرح والتعليق على مضامين هذه الوثائق ذات الصلة بموضوع بحثنا، وهو فتنة صاحب عينات وآل تميم.

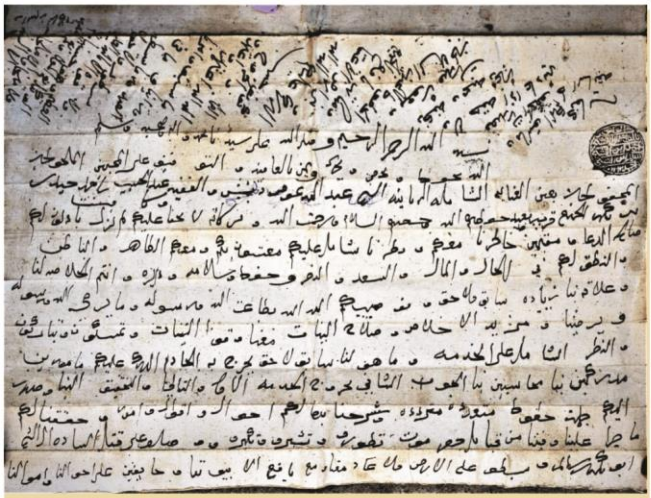
الوثيقة رقم (١)

مصدرها: أرشيف الشيخ ناصر علي محمد عزالدين البكري مدينة بني بكر يافع، والصورة المرفقة نسخة من الأصل.

نوعها: رسالة من الحبيب أحمد بن الشيخ سالم ابن الشيخ أحمد بن الشيخ أبي بكر سالم ومهورة بختمه، وبدون تاريخ، ويبدو أنها تعود إلى مرحلة اشتداد الفتنة ومحاصرة عينات.

جهة صدورها: حوطة (عينات) حضرموت.

جهة وصولها: بني بكر-يافع، إلى كل من الشيخ عبدالله عوض دينيش، عاقل بني بكر، والفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر وهو نائب الشرع وإلى كافة بني بكر.



الوثيقة رقم (١)

(نص الرسالة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الله يحفظ ويحمي ويحرس ويمن بـــالعافية والتوفيق على المحبين الملحوظين المحفوظين بعين العناية الشاملة الربانية:

الشيخ عبدالله عوض دينيش والفقيه عبدالحبيب بـن أحمد حيدر وكافة بني بكر الجميع قريب وبعيد حوطهم الله وخصهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ونحنا عليكم لم نزل باذلون صالح الدعاء مقيمين خاطرنا معكم ونظرنا شـامل عليكم معتنون بـكم ومعكم الظاهر والباطن والنطق لكم في الحال والمال والسعد والنصر وحفظ وسـلامة ودايره وأنتم الخلاصة لنا وعلاقـة بـنا زيادة سابـق ولاحق، ونوصيكم الله الله بطاعة الله ورسوله وما يرضي الله ورسـوله ويرضينا ومزيد من الإخلاص وصلاح النيات معنا وقـف النيات وتمسكون وتبـاركون والنظر الشـامل على الخدمة وما هو لنا سابق لاحق يخرج بـه الخادم الدَّرك عليكم مأمونين مدركين بنا محاسبين بـنا، الجواب الشـافي بـخروج الخدمة الأول والتالي والتحقـيق إلينا، وصدر إليكم جملة خطوط متعددة مترددة شرحنا بها لكم أحوال وأقوال وأمور وحققنا لكم ما جرى علينا وفينا من قبايل حضرموت تطورو وتشبرو وتكبرو ووصلو على قـتل السـادة آل الشـيخ أبوبـكر سـالم وبسطو على الأرض ولا عاد معنا ومع يافع الآ بيوتنا وخايفين على أحوالنا وأموالنا وما سبق إليكم كفاية فصدرت الخطوط السابقـة واللاحقـة إذا عاد شي نكفة ومحبـة وغيرة ومعورة صدرت الخطوط للمحبين السلاطين ومكاتب يافع الجميع وبـني أرض الاعتناء الدرك عليكم الله الله كونوا حسـب الطلب والخروج الله الله اعتمدوا واعتمدوا ما سبـق وأمرنا ورأينا وما في الصدور ما يسطر بالسطور، ولا حول ولا قوة إلا بـالله العلي العظيم وهو حسبـنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه والسلام عليكم

ختم

الواثق بالله الشيخ أحمد بن الشيخ سالم ابن الشيخ أحمد

الشرح والتعليق:

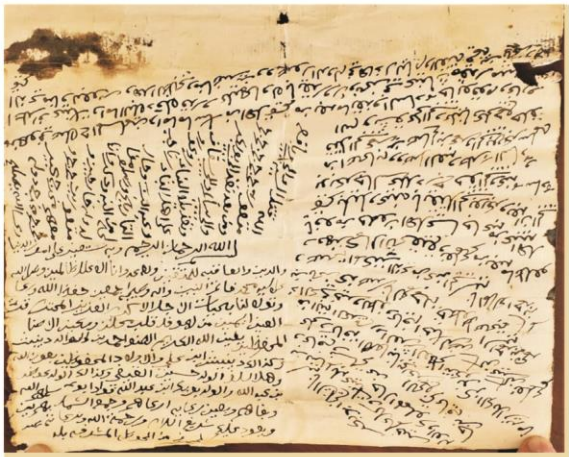
رسالة الحبيب أحمد بن سالم بن أحمد بن الشيخ أبي بكر سالم والمهورة بـختمه بـغير تاريخ، لكنها، كما يبـدو من مضمونها، تعود إلى مرحلة تفاقم الصراع والمواجهات مع خصومه آل تميم، وعلى الأخص بـعد أن وصل خطر الفتنة إلى أطراف حـوطته (عينات) من قبـل خصومه آل تميم والمناهيل وتهديدهم بقتل سادة عينات.

تبـدأ الرسـالة بالسـلام، ثم تأتي الصيغة التقـليدية المألوفة لمراسـلات صاحـب عينات إلى أتبـاعهم؛ إذ يغدق على من وجه إليهم الرسـالة بـصالح الدعاء، ويوصيهم بـطاعة الله ورسوله، وبما يرضي الله ورسوله، وبـما يرضي سـادة عينات بـمزيد من الإخلاص وصلاح النيات معهم، والتأكيد على أهمية تسليم ما هو لهم لدى يافع من العشور والنذور...إلخ.

ثم يأتي على بيت القـصيد أو الأمر المهم، وهو طلب النجدة، فيذكِّرهم بالرسائل المتعددة (الخطوط) التي سبـق أن بـعث بها لشرح ما تعرضت له عينات ومنصبـها من اعتداء من قبائل حضرموت، ويقصد هنا آل تميم والمناهيل ومن تحالف معهم، ممن بلغ بهم الأمر الوصول إلى قتل السادة آل الشـيخ ابوبكر سالم. وكذلك محاصرتهم لبلدتهم المقدسة (عينات)، والبسط أو السـيطرة على الأرض بحـيث لم يكن للسـادة آل الشيخ أبي بكر ويافع الموجودين معهم في عينات إلاّ البقاء في بيوتهم، والخوف يسيطر على أحوالهم وعلى أموالهم.

يتضح لنا أنه سبـق له أن أرسـل لهم برسـائل عدة، توضح الاعتداءات التي تتعرض لها عينات من القبـائل الحضرمية، وهو بهذه الرسالة لا يكتفي بالشكوى، بل يستحـث همم آل يافع في الجبـل وعزيمتهم للإسراع في نجدته ونجدة من معه من إخوانهم من يافع، ويذكِّرهم بما صدر من رسائل سابقـة للمحبـين السـلاطين ومكاتب يافع الجميع وبـني أرض، ويبدو أن الرد على تلك الرسائل السابقـة قـد تأخر ولم يصل بـعد حـتى كتابـة رسـالته، ولذلك فإنه يسـتصرخهم فيها مستغيثاً بهم، يطالبهم بالاسـتنفار السريع والخروج لنجدته وتدارك الأمر إذا بقيت لديهم محبة له وغيرة عليه، يقـول: إذا

11
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م



الوجه الأمامي للوثيقة رقم (٢)



الوجه الخلفي للوثيقة رقم (٢)

عاد شي نكفة(٨) ومحبَّة وغيرْة ومعورة(٩)...الاعتناء الدَّرك عليكم، الله الله كونوا حسب الطلب والخروج، الله الله اعتمدوا واعتمدوا ما سبق وأمرنا ورأينا وما في الصدور ما يسطر بالسطور، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه.

الوثيقة رقم (٢)

مصدرها: أرشيف الشيخ قاسم صالح بن دينيش(١٠)، بني بكر يافع، والصورة المرفقة نسخة من الأصل.

نوعها: رسالة من الشيخ عبدالله عوض دينيش.

تاريخها: أول شهر ربيع سنة ١٢٣٨ هجرية / الموافق ١٦ ديسمبر ١٨٢٢م.

جهة صدورها: حوطة (عينات) حضرموت.

جهة وصولها: بني بكر-يافع، إلى كل من أحمد بن دينيش [بن ناصر بن عوض بن سعيد بن عوض بن سعيد بن محمد دينيش البكري(١١)]، ودينيش بن علي [بن دينيش بن عوض بن سعيد بن عوض بن سعيد بن عوض بن محمد بن دينيش(١٢)]، والولد حسين القيفي، والولد عوض بن عبدالله والولد بوبك بن عبدالله.

(نص الرسالة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على أمور الدنيا والدين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين.

حفظ الله ورعا وتولى لنا بحياة الأجلاء الأكرم العزيز المحترم، قرة العين اليمين، من له في القلب محل مكين، الأصناء المحفوظين بعين الله الكريم، الصنو أحمد بن الوالد دينيش، وكذلك دينيش ابن علي والأولاد المحفوظين بعون الله وأهل السلف الولد حسين القيفي، وكذلك الولد عوض بن عبدالله والولد بوبك ابن عبدالله فواد أبوه، سلمهم الله وابقاهم وبعين الرعاية رعاهم وجمع الشمل بهم، آمين.

ويعود عليكم شريف السلام ورحمة الله وبركاته

صدر من الحوطة المشرفة، بلد سيدنا الشيخ أبوبكر بن سالم، بلد عينات، وكل علم خير وعافية، وان سألتم عن حالة المملوك والولد علي وكافة أصحابنا بني بكر الجميع بأتم عافية، نرجو من الله الكريم والعرش العظيم أن تكونوا كذلك، بل الأزيد من ذلك في خير ولطف وعافية.

أخبار الأرض ساكن، غير ساكن. نعلمكم بأن نحن قد صَدَّرنا لكم جُملة خطوط صُحبة السيد أحمد بن محمد، وصُحبة المكتب الذي من عند الحبيب سيدنا المالك أحمد بن سالم، وفيهن كمال التحقيق، ونعلمكم من بعد ما طلعوا يافع من حصون أهل عيسا جاء عبد من عبيد أهل تميم بالليل وعينه با يقتل الحبيب ابوبكر وبعد أن الحبيب أبوبكر جالس على الدرج حق الحبيب وعنده سادة من أصحابه ووصل وضرب السادة وقتل الحبيب عمر بن صالح بن عمر، والحبيب أبوبكر سَلَّمه الله وشق على الحبيب وعلينا وعلى جميع خلق الله قتل السيد والحبيب ويافع متعوِّرة جم جم جم جم جم(١٣).

ومن بعد نفذ الحبيب أبوبكر والحبيب سالم والحبيب سقاف ونفذ إلى البنادر وعوّروا(١٤) على أهل البنادر ناجي[بن بريك] وعبدالرب [الكسادي]وحال التاريخ ورسلوا مغالمه(١٥) من البندر وذكروا أن الدولة خارجين ومتعورّين جم جم ومعهم مخرج كبير جم جم، مخرج دولة، وعسى الله يصلح من هو في صلاح المسلمين.

وأما ما سار من أهل تميم من بعد ما نفذوا السادة جابوا قوم وغاروا على أطراف عينات، وأما البلاد فلا قَدَرَوا عليها، ولا با يقدرون، ونحن في عينات مقدر مية رجال، الذي منا ولبعوس وأهل الظُبَي ومناصرين ، ووصول الدولة في هذه الأيام والفتنة قيمة (قائمة) بين نحن وهم.

وأما السلطان حسين هو وباقي أصحابنا والتلد واصلين إلينا في هذه الأيام. ونحن والولد علي في عينات، ونشكر لكم جم جم في طاعة نحن. والحبيب وباقي الأغراب في تريم واصلين ويتخلصوا مصاريفهم من تريم ومن سيئون. ونحن بنا حد الشاغب(١٦) منكم من قَلّ الخطوط الله الله في الحقيق وما أنتم عليه من خِرْف(١٧) وثمر وصحة أبدانكم، وبقينا مشغوبين من ما نحن ملبوسين به وكساء أهل الدار لحتى حصل سفر الحبيب صادق بن هادي وعبدالله فلا عاد معنا أُمنه مع حد لحيث ذا آخر زمان وقل المسافرين يوم الأرض مخبوطة. الصادر إليكم صُحبة الحبيب صادق والحبيب عبدالله وداعة(١٨) وخَطّها فوقها يخرج ما صَدَر تقضوا الحارق الذي شَقّ علينا وعليكم عبد سالم بن سوادة ولا يقتصرون عيالنا من قصر لا تقصر عليهم قدكم تحرفون وتصرفون وتدون كل شي سعره وما زاد وما قصر جنوبنا تتحمل والحقيق يا الله والحذر يقتصرون . هذا ما نحقق لكم.

والسلام الصنو موسى بن علي والولد عبدالرب بن علي وأحمد عبدالنبي ودينيش صالح وعلي دينيش وعبدالله أحمد وناصر أحمد وقل لهم الله في بوبك لا يتواخذون والصبر لبعضهم البعض الكبير والصغير.

والسلام على الصنو موسى حسين وابنه والوالد علي محمد وعياله والصنو عبدالصفي وعلى عبدأحمد بن نسر وابنه محمد وعلى محمد الشرفي.

وخصوا نفوسكم منا ألف سلام ولا يقطع نحن كتابكم.

وسلموا لنا على الصنو عبدالله محسن الشرفي وعلى الوالد سالم محمد وحسين أخوه والحبيب داعي وراضي عليهم بجهد الخدمة قدك تقول لهم يا صنو أحمد.

وسلم لنا على عبدالله محسن بيبك والولد محمد أحمد وعلى الصنو عبد موسى وعبدالحبيب وكافة أهل سنان وعلى عوض علي الدعوس وعياله والصنو علي شيخ وإخوانه وعلى الوالد سالم علي وعياله الجميع وعلى محسن علي جابر وشيخ بن أحمد وعلى الولد صالح علي بن عبدالواحد وأصحابه الجميع وعلى الصنو عبد موسى الحذامي وأخوه وعياله وعلى الصنو أحمد عسكر وعلى الأصناء حسين أحمد وعبد سالم وعلى عبدالكريم بن محمد وعياله وعلى السنيدي الحطيبي ... وعلى علي بوبك وأحمد السنيدي وباقي أهل الحقبي على الصنو أحمد مسعود وصالح عمر الجرمي والولد برك حسين علي جابر وعلي عبدالله الوجيه الحذر التعليق لا يقصر عيالنا شي ...كبير وصغير وخصوا داعي بني بكر منا بألف سلام وسلموا على .....الرامدي لا دونه من غاب من عينك غاب من قلبك.

تاريخ يوم الاثنين، أول شهر ربيع سنة ١٢٣٨ هجرية / الموافق ١٦ ديسمبر ١٨٢٢م

مستمد الدعاء المملوك لله عبدالله عوض دينيش
وسلموا لنا على عبدالحبيب بن حيدر

الشرح والتعليق:

سبق الإشارة إلى أسباب الفتنة وتطوراتها بين بن يماني وصاحب عينات التي أدَّت إلى قتل شخص من آل يماني من قبل سادة حبَّان، ثم انتقام بن يماني وتميم بإرسالهم رجلاً لقتل السيد أبي بكر بن أحمد سالم، ابن المنصب، فأخطأه، وقتل السيد عمر بن صالح، ثم ما تلا ذلك من نجدة المنصب

بيافع، وما أعقبها من أحداث، وهذا ما يتوافق مع ما جاء في هذه الوثيقة التي تقدم لنا أيضاً حقائق جديدة نتعرف عليها لأول مرة عن تلك الأحداث بتفاصيلها الدقيقة.

وما يلفت الانتباه في هذه الرسالة، من الوهلة الأولى، أن مُرسلها هو الشيخ عبدالله عوض دينيش، وهو الذي وُجِّهت إليه وإلى الفقيه عبدالحبيب أحمد حيدر رسالة الاستغاثة السابقة من صاحب عينات الحبيب أحمد بن سالم، وهذا يعني أنه قد وصل من يافع إلى عينات منذ فترة على رأس قوم من أصحابه، خاصة من بني بكر، لنجدة صاحب عينات، ولا شك أن رسالته هذه لم تكن الأولى بعد وصوله عينات، بل سبقتها رسائل عدَّة (خطوط) من قبل كما أوضح ذلك.

تعود الرسالة إلى فترة الأحداث التي ذكرها ابن هاشم، وكان الشيخ عبدالله عوض دينيش شاهداً عليها ومشاركاً فيها لوجوده حينها في عينات، فرسالته مؤرخة يوم الاثنين، أول شهر ربيع سنة ١٢٣٨ هجرية / الموافق ١٦ ديسمبر ١٨٢٢م، وأرسلها كما جاء في مستهلها: من الحوطة المشرَّفة، بلد سيدنا الشيخ أبوبكر بن سالم، بلد عينات، وكل علم خير وعافية، وان سألتم عن حالة المملوك والولد علي وكافة أصحابنا بني بكر الجميع بأتم عافية، نرجو من الله الكريم والعرش العظيم أن تكونوا كذلك، بل الأزيد من ذلك في خير ولطف وعافية. ثم انتقل بعد هذا الاستهلال إلى بيت القصيد بذكر الوجيز المفيد من أخبار حضرموت، لأن كمال التحقيق قد تضمنته جملة الرسائل (الخطوط) التي سبق ارسالها من قبل بصحبة السيد أحمد بن محمد ضمن مكاتبات السيد الحبيب أحمد بن سالم، يقول:

أخبار الأرض ساكن، غير ساكن. نعلمكم بأن نحن قد صَدَّرنا لكم جُملة خطوط صُحبة السيد أحمد بن محمد، وصُحبة المكتب الذي من عند الحبيب سيدنا المالك أحمد بن سالم، وفيهن كمال التحقيق، ونعلمكم من بعد ما طلعوا يافع من حصون أهل عيسى جاء عبد من عبيد أهل تميم بالليل وعينه با يقتل الحبيب أبوبكر، وبعد أن الحبيب أبوبكر جالس على الدَّرج حق الحبيب وعنده سادة من أصحابه، ووصل وضرب السادة وقتل الحبيب عمر بن صالح بن عمر، والحبيب أبوبكر سَلَّمه الله وشق على الحبيب وعلينا وعلى جميع خلق الله قتل السيد والحبيب ويافع متعوِّرة جم جم جم جم جم(١٩).

ونعرف من هذه الرسالة أيضاً أن الرجل القاتل الذي أرسله آل يماني للقيام بهذه المهمة هو عبدٌ من عبيدهم، وربما لهذا السبب لم يظن سادة عينات أن يأتي منه العيب أو يشرع بالقتل فلم يحترزوا منه أو يأخذوا حذرهم إلا بعد أن وقع المقدور بقتل السيد عمر بن صالح بن عمر، ونجاة السيد أبي بكر نجل السيد أحمد بن سالم. ويذكر أن حادث قتل السيد قد شقّ وثقُل على الحبيب وعلى الجميع، ويستثير حماستهم لمسح هذا العار، وهو المقصود بأن يافع (متعورّة)، أي مستنكرة ما حدث وكأنه لحق بها عارٌ كثيرٌ جداً (جم جم جم) لما أحاق بالسادة الذين لهم مكانتهم الدينية وتأثيرهم الروحي على يافع.

وقد ذكر ابن هاشم أيضاً أن المنصب استنجد بيافع، فهرع منهم حوالي ٣٠ شخصاً من مواليد يافع الجبل ومواليد حضرموت وأقاموا بعينات، وأرسل ولديه أبابكر وسالماً إلى الشحر والمكلا يستنجدان بمن فيها من يافع، ولم ينجحا في مهمتهما لتردد آل ابن بريك والكسادي.. وأقبلت يافع سيئون بنحو ٣٠ شخصاً من أعيانهم وعقلائهم، وصارت يافع تريم تغزو غزوات صغيرة، وتهاجم قَسَمْ وضواحيها، وتقتل وتنهب، وذهب المنصب إلى تريم، وجمع يافع بها، ووحَّد كلمتهم، ثم نفذ ابن عبدالقادر إلى ريدة الصيعر، فجلب منهم مائة شخص، ومر بسيئون وجلب منها رجالاً، وذلك في محرم سنة ١٢٣٨ هـ(٢٠).

بَيْد أن رسالة الشيخ عبدالله عوض دينيش في هذا الصدد تذكر أنه تم إرسال أبناء الحبيب أحمد بن سالم الثلاثة، أبوبكر وسالم وسقاف، إلى البنادر، أي: إلى المكلا الكسادية، وإلى الشحر البريكية، يقول: ومن بعد نفذ الحبيب أبوبكر والحبيب سالم والحبيب سقاف ونفذ إلى البنادر وعوّروا على أهل البنادر ناجي [علي بن بريك] وعبدالرب [بن صلاح

الكسادي]، وحال التاريخ، ورسلوا مغالمه [غلمان] من البندر وذكروا أن الدولة خارجين ومتعورّين جَمْ جَمْ ومعهم مخرج كبير جَمْ جَمْ، مخرج دولة، وعسى الله يصلح من هو في صلاح المسلمين.

ومن فحوى الرسالة نعرف أن التجاوب من الكسادي وبن بريك لم يكن مباشراً وسريعاً حسب المأمول، وأنهم اكتفوا بإرسال غلمان (مغالمة) فقط مع وعود بمخرج كبير، أي: بحملة كبيرة (مخرج دولة).

ولهذا اعتمد صاحب عينات السيد أحمد بن سالم بشكل أساسي على من كانوا في عينات من يافع في التعامل مع تطورات الأحداث التي لم تنتهِ عند هذا الحد، بل إن الفتنة ظلت قائمة. وبمجرد أن أرسل أولاده إلى المكلا والشحر لطلب النجدة من آل الكسادي وآل ابن بريك حتى غار قومٌ من آل تميم على أطراف عينات. وفي هذا الصدد يذكر ابن هاشم أن بن يماني جمع نحو ٢٠٠ شخصٍ من أهل الباطنة ومن المناهيل وهجم بهم على عينات، وقُتل مملوك لسالم غرامة اليافعي، وهجم مرة ثانية وأصيب الحسين من أولاد غرامة أيضاً(٢١).

ومع ذلك فإن المهاجمين رغم وصول غارتهم إلى أطراف عينات، فإنهم لم يقدروا على دخولها؛ لوجود مائة رجل من المدافعين عنها من يافع، وهو ما توضحه لنا رسالة الشيخ عبدالله عوض بن دينيش البكري؛ إذْ يقول: وأما ما سار (صار) من أهل تميم من بعد ما نفذوا السادة جابوا قوم وغاروا على أطراف عينات، وأما البلاد فلا قَدَرَوا عليها، ولا با يقدرون، ونحن في عينات مقدَّر مية رجال الذي منا ولبعوس وأهل الظُّبي ومناصرين، ووصول الدولة في هذه الأيام والفتنة قيمة (قائمة) بين نحن وهم.

وتشير الرسالة إلى التعزيزات المرتقب وصولها سواء من القادمين من يافع الجبل أو يافع التلد، وكذلك الباقون في تريم، بالقول: وأما السلطان حسين(٢٢) هو وباقي أصحابنا والتلد واصلين إلينا في هذه الأيام. ونحن والولد علي في عينات، ونشكر لكم جم جم في طاعة نحن. والحبيب وباقي الأغراب في تريم واصلين ويتخلصوا مصاريفهم من تريم ومن سيئون.

الوثيقة رقم (٣)

مصدرها: أرشيف الشيخ قاسم صالح بن دينيش شيخ بني بكر حالياً، والصورة المرفقة نسخة من الأصل.

نوعها: رسالة من الشيخ عبدالله عوض دينيش وابنه علي

تاريخها: تاريخ يوم السبت ٢٤ ربيع أول سنة ١٢٣٩ هجرية/ الموافق ٢٨/ ١١/ ١٨٢٣م

جهة صدورها: حوطة (عينات) حضرموت.

جهة وصولها: بني بكر-يافع، إلى كل من أحمد دينيش بن ناصر [بن عوض بن سعيد بن عوض بن سعيد بن محمد دينيش البكري(٢٣)]، ودينيش ابن علي دينيش [بن دينيش بن عوض بن سعيد بن عوض بن سعيد بن عوض ابن محمد بن دينيش البكري(٢٤)]، والولد حسين القيفي، والأولاد حسين عبدالله وعوض وبوبك.



الوجه الأمامي للوثيقة رقم (٣)



الوجه الخلفي للوثيقة رقم (٣)

(نص الرسالة)

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين على أمور الدنيا والدين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.. الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد آله وصحبه وسلم .

حفظ الله لنا ورعا وحرس وتولى بحال من لهم في القلب محل مكين وقرت العين اليمين الأصناء الكرام الماجدين الصنو الشقيق والركن الوثيق الصنو أحمد بن الوالد المرحوم دينيش ابن ناصر وكذلك الصنو دينيش ابن الوالد المرحوم علي دينيش والأولاد المباركين حسين عبدالله وعوض وبوبك سلمكم آمين، وعليكم منا جزيل السلام ما دامت الليالي والأيام والشهور والأعوام.

صدرت الأحرف من الحوطة الشريفة عينات وبعون الله الكريم والدعاء لكم مبذول من سيدنا المالك الحبيب أحمد بن سالم نفعنا الله به وإياكم ولا خرب حال علينا وعليكم بسعد الله وبسعد الشيخ بوبك وأهل السلف الصالح آمين.

سادتي إن سألتم عنا وعن أصحابنا فنحن في خير وعافية جعلكم الله في خير ولطف وعافية ويعود النظر فينا وفيكم قريب، ليس بعيد. وإن سألتم عن أخبار حضرموت بلسن أصحابنا الواصلين إليكم عبدالنبي والذي معه ومحمد صالح بهم جمال الحقيقة، لحيث أنهم قد وصلوا عندنا.

وأخبار الحبيب وبن يماني فلا شي قام بينهم، وجاء الخريف وجعل بن يماني أنها كما لوّل اتصايح على عينات وجمل الرأي بين الحبيب ولبعوس أهل تريم وشلوا العار وصبحوا أهل تميم في طرف النخل على عادهم لوّل ونحن جونا ثمانين عبد من تريم فوقنا يا الأغراب وظلاً حرب بيننا وبينهم وانتصرنا عليهم وكسرناهم وقتلنا رجب وقطعنا رأسه، وثلاثة مصاويب، ونحن مجملين بسعد الله والشيخ بوبك ، وخذنا لا نهار ثمان وغزوا يافع غريب وتليد، إلا الأخوان بحد قَسَمْ وجاهم واحد من أهل يماني وهم مكملين (كمين) وقع في مكمن لعيالنا واثنين عبيد وناصر عوض الحدي وسالم (شيبه) وقتلوه وقطعوا رأسه وشلوا سَلَبَه وتروحوا محملين والنصر مع يافع والخصم اقتهر. وخذنا لما تالي عاشور (محرم) من بعد ما ساروا من عندنا عبدالنبي ومحمد صالح وجو لبعوس ومعهم مية صيعر وثمانين عبد وجونا في الليل ونشروا هم والأغراب والعيال معهم الولد علي وأحمد صالح وناصر عبدالله وعبدالله جابر وسروا على المناهل وصبحوا عليهم وهجموهم وقتلوا أربعة مناهيل وهاشوا طمع كبير أربعة ألف غنم، وستة وعشرين جمال، وتروحوا محملين فلا حد به شوكة، والذي خرج قسم النفر اثنعشر رأس غنم، والقوم كلاً خذ طمعه وتروح، ومن قفا الطمع سعوا ما بين أهل تميم ولبعوس على صلح واصتلحوا سنة وتوابعث للبعوس أهل العرف والشورى ولا بقي إلا بن يماني والمنهالي وسعوا قيم ولكن قيم لزقيقه والله يقدر ما فيه الصلاح.

هذا ما نحقق لكم ومن نحن يا غصنا (أصناء) فنحن طالبين الفسح من الحبيب ومتروحين عقب القلمة لحيث ان ما توفي بالباروت والرصاص والفتيل.

ولا عاد شي للمستوي بقعة وصابرين للنية من الحبيب لنا

ولكم لحيث أن من تغرَّب صبر وليد نحن والعيال إن شاء الله واجده في رجب ونحن عندكم. هذا سادتي، وصل كتابكم وحصل به الأنس وله الحمد على عافيتكم ذي هي القصد والمراد وكنا مشغولين يوم ابطأ علينا الكتاب ولكن الأرض ابتحكم، وقدكم الله الله تكون حسب الظن في العيال، وكفا الحسينة حسينة إن شاء الله وتشاوفون عليهم في بيت ووادي وماهم وعليهم ولا تخلون شي يقصر عليهم الله الله.

والسلام وعاد بالجوف كلام وسلموا لنا على الصنو موسى علي وعبدالرب ابن علي وأحمد عبدالنبي[ابن عوض دينيش ابن عوض سعيد عوض سعيد عوض محمد دينيش البكري](٢٥) ودينيش صالح علي دينيش والوافد عبدالله دينيش والله يجعله رسول خير وبركة وعلى عبدالله أحمد وناصر أحمد وعلى علي محمد وعياله وعبدالصفي ابن أحمد وعلى موسى حسين وحسين الخضر ومحمد حسين الشرفي.

وسلموا لنا على الصنو عبدالله محسن الشرفي وأخوانه وعلى سالم شعيفان وعياله وعلى أهل بيبك وعلى الفقيه حيدر وعلى عبدموسى عبدالحبيب وعلي صالح وعلى سالم علي بن سوادة وعلى الصنو علي شيخ وعلى عبدالله ناصر الدعره وعلى أهل الحاشدي وعلى شيخ بن أحمد جابر ومحسن علي وعلى شيخ عبيد وعلى أحمد عسكر وعلى صالح علي عبدالواحد ألف سلام، وعلى عبدموسى غزاه وعبيد أخوه وعلى عبدأحمد سالم وعلى صالح عمر وعلى عيال عبيد وعبدأحمد مسعود وعلى عبدالكريم بن محمد وعيال الخضر وحبان وعلى أهل الحقبي ألف سلام، وعلى عبدالله أحمد الحطيبي وعلي عوض عمر العصيمي وعلى الوالد مسعود وعلى الخضر النجار وعلى عبدالله الوجيه وعبيد ابوبك وعوض محمد وبوبك قاسم سواد وبوبك أحمد علي وعلي أحمد عوض دحوك وعياله وعلى محمد حسين الشرح وأحمد الشرح وعياله وعلى عبدالله البكري (الكربي؟!) وجعفر وعلى أحمد عوض عوف وعلى أهل دلق ومحسن الجبني وسالم وأحمد صالح الوجيه وعبدالحبيب الخادم وعلى أحمد بنسر وعبدأحمد حسين (عطبه؟!) وأخوانه وأحمد سبهان وعلى من ذكرنا ومن نسيناه وربيع ومربع بألف سلام.

ويسلمون عليكم من عندنا ناصر عبدالله الفقيه وعبدالله جابر وسالم فاضل وانتوا مخصوصين منا بألف سلام ومن حضر مقامكم العزيز. ويسلم عليكم راقم الحرف أحمد صالح عمر.

تاريخ يوم السبت ٢٤ ربيع أول سنة ١٢٣٩ هجرية/ الموافق ٢٨/ ١١/ ١٨٢٣م

طالب الدعاء المملوك لله
عبدالله عوض دينيش والولد علي

الشرح والتعليق:

الثابت أنه بوصول الدعم لصاحب عينات، أخذ صاحب عينات ويافع زمام المبادرة، وبدلاً من الدفاع عن أطراف عينات تحولوا إلى الهجوم في مناطق آل تميم والمناهيل. عن ذلك يقول ابن هاشم: ووالت يافع غزواتها شرقي عينات فغنمت من المناهيل ٣٠٠ رأس من الأغنام وقتلت أربعة أشخاص وسَلَبَت سلاحهم وذلك حوالي حصن (العر) على طريق قبر هود، وبعد ذلك جعلوا منهم كميناً تحت قَسَمْ حوالي بئر الكبش(٢٦). وتقدم لنا هذه الوثيقة تفاصيل أكثر عن ذلك.

ونشير إلى أن هذه هي الرسالة الثانية التي بعث بها الشيخ عبدالله عوض بن دينيش ونجله علي إلى أهلهم آل دينيش في بني بكر، وتأتي بعد قرابة عامٍ من الرسالة السابقة، وهي فترة جرت خلالها مياه كثيرة وتطورات على الأرض؛ إذْ أزيح الخطر عن عينات التي استقر فيها الشيخ بن دينيش كأحد المقرَّبين من صاحب عينات، الذي جاء على رأس قومه لنجدته. يقول في مستهل الرسالة المؤرخة في ٢٤ من شهر ربيع أول سنة ١٢٣٩ هجرية/ الموافق ٢٨/ ١١/ ١٨٢٣م: صدرت الأحرف من الحوطة الشريفة عينات وبعون الله الكريم والدعاء لكم مبذول من سيدنا المالك الحبيب أحمد بن سالم نفعنا الله به وإياكم ولا خرب حال علينا وعليكم بسعد الله وبسعد الشيخ بوبك (أبوبكر) وأهل السلف الصالح آمين.

وبعد الاستهلالة التقليدية يأتي كالعادة على ذكر الأخبار العامة فيقول: وإن سألتم عن أخبار حضرموت بلسن أصحابنا الواصلين إليكم عبدالنبي والذي معه ومحمد صالح بهم جمال الحقيقة، لحيث أنهم قد وصلوا عندنا.

ورغم أنه أوضح لهم أن تفاصيل الأحداث وجمال الحقيقة بلسان من غادروا عينات من الأصحاب، فإنه يعود ويتحدث بتفاصيل دقيقة ومعلومات تكشف حقائق وخفايا مجهولة نتعرف عليها لأول مرة. وهو يشير في البدء إلى أن أخبار الحبيب صاحب عينات وبن يماني هادئة (ولا شي قام بينهم)، لكنه يعود ويذكر لنا المعلومات التالية المتصلة بأحداث تلك الفتنة على النحو التالي:

- في موسم الخريف أعاد بن يماني الكَرَّة في الغارة على عينات، كما كان يفعل من قبل، وحشد أهل تميم إلى أطراف عينات (طرف النخل)، وجاء أيضاً ثمانون عبداً من تريم تعزيزاً لهم، ودارت الحرب بينهم وبين يافع (الأغراب)، أي القادمين من يافع الجبل ممن استجابوا لطلب صاحب عينات، وكان النصر حليف المدافعين عن عينات، وتمكنوا من كسر هجوم آل تميم والعبيد وقتلوا عبداً اسمه(رجب)، وقطعوا رأسه، وأصابوا ثلاثة آخرين، وعدُّوا ذلك النصر بسعد الله وبسعد الشيخ أبي بكر بن سالم(٢٧)؛ لقوة اعتقادهم به وبتأثيره الروحي عليهم.

- بعد هزيمة آل تميم في أطراف عينات، وكسر محاولتهم الغارة على عينات، كان ولابدَّ من تعزيز ذلك الانتصار بالانتقال من الدفاع إلى الهجوم، وهذا ما تم، فبعد مضي ثمانية أيام بادرت يافع (غريب وتليد) بالغارة على تخوم قَسَمْ وكمنوا على أطرافها، وممن كمنوا هناك أولاد آل دينيش وبنو بكر الذين يصفهم الشيخ عبدالله عوض دينيش بقوله (عيالنا) ومعهم اثنان من العبيد وناصر عوض الحدي وسالم (شبيه). وحينما قدم باتجاههم شخص من أهل يماني وقع في الكمين، وتم قتله، وقطع رأسه، وأخذ سلاحه الشخصي (سَلَبه)، وعادوا منتصرين وخصمهم مقهور، كما جاء في الرسالة: وخذنا لا نهار ثمان (أي مدة أسبوع)، وغزوا يافع غريب وتليد، إلى الاخوان بحد قَسَمْ وجاهم واحد من أهل يماني وهم مكملين (كمين)، وقع في مكْمَن لعيالنا واثنين عبيد وناصر عوض الحدي وسالم (شبيه) وقتلوه وقطعوا رأسه وشلوا سَلَبَه وتروحوا محملين والنصر مع يافع والخصم اقتهر.

- وفي نهاية شهر محرم (عاشور) جاء قوم من لبعوس ومعهم ١٠٠ من الصيعر و ٨٠ عبداً وكان وصولهم ليلاً وتحركوا من عينات هم ويافع الأغراب وبرفقتهم علي نجل الشيخ عبدالله عوض دينيش وكذا من آل بني بكر أحمد صالح وناصر عبدالله وعبدالله جابر؛ إذْ قاموا بغارة على المناهيل فجراً وقتلوا منهم أربعة أشخاص وغنموا ٤٠٠٠ رأس من الغنم و٢٦ من الجمال، وعادوا سالمين غانمين محملين بما نهبوه من غنائم كثيرة ودون أن يصاب أحد منهم بأذى. وتذكر الرسالة أن كل شخص من المهاجمين قد كان نصيبه من الأغنام ١٢ رأسًا، وهذا يعني أن عدد المشاركين في الهجوم بلغ حوالي ٣٣٣ شخصاً. جاء في الرسالة في هذا الصدد: وسروا على المناهل وصبحوا عليهم وهجموهم وقتلوا أربعة مناهيل وهاشوا طَمَعْ(٢٨) كبير أربعة ألف غنم، وستة وعشرين جمال، وتروحوا محملين فلا حد به شوكة، والذي خرج قسم النفر اثنعشر رأس غنم، والقوم كلاً خذ طَمَعه (غنائمه) وتروَّح.

- بعد ما حصل من نهب للأغنام والجمال (من قفا الطَّمَع) جرت مساعي صلح ما بين آل تميم ولبعوس وتم التوصل إلى عقد صلح بين الطرفين مدته سنة، ولهذا الغرض بُعث للتوِّ أهل العُرْف والشورى إلى لبعوس، ولم يبق إلا بن يماني والمنهالي والسعي معهم ما زال قائماً للقبول بالصلح، ويبدو من النص أن الصلح هشاً منذ بدايته، هكذا ما اتضح من مضمون الرسالة رغم عدم وضوح بعض الكلمات لكن معناها لا يخرج عن ذلك كما في الفقرة التالية: واصتلحوا سنة وتوا بعث للبعوس أهل العرف والشورى ولا بقي إلا بن يماني والمنهالي وسعوا (أي السعي) قيم (قائم) ولكن قيم [لزقيقه] والله يقدر ما فيه الصلاح.

- وبعد شرح وتفصيل وتحقيق الأخبار العامة، يشير إلى الأخبار الخاصة ويذكر اقتراب عودتهم إلى يافع، ربما لأن الحاجة لهم لم تعد قائمة بعد السعي لعقد الصلح بين صاحب عينات ومعه يافع من جهة وبين آل تميم والمناهيل ومن معهم، لكنه يشير إلى سبب آخر ربما كان هو الدافع لرغبتهم في العودة وطلبهم من الحبيب أحمد بن سالم الموافقة على عودتهم (الفَسْح)، هو قلة الراتب الشهري (القُلمة) الذي يُعطى لهم والذي أصبح لا يغطي تكاليف البارود والرصاص والفتيل، كما يقول عن ذلك بالنص: ومن نحن يا غصنا (أصناء) فنحن طالبين الفَسْح من الحبيب ومتروحين عقب القلمة لحيث ان ما توفي بالباروت والرصاص والفتيل.

الوثيقة رقم (٤)

مصدرها: الأخ عبدالله صالح شعيفان، من بني بكر، حيث حصلت منه على صورة عن الأصل الذي لا يحتفظ به، ولعل الأصل لدى آل عزالدين البكري.

نوعها: رسالة من الشيخ أحمد ابن الشيخ سالم ابن الشيخ أحمد (صاحب عينات).

تاريخها: ١ شعبان سنة ١٢٣٩هـ/ الموافق/ ٤/ ١٨٢٤م.

جهة صدورها: حوطة (عينات) حضرموت.

جهة وصولها: بني بكر-يافع، موجهة إلى كل من: آل دينيش وآل إبراهيم وآل حسن وآل يزيد وآل سنان والحاشدي. وهذه هي فخائذ بني بكر في ذلك العهد.

(نص الرسالة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه الجزيلة التي لا تحُصى بأقلام المحابر، ولا يقوم بواجبها كل حامدٍ وشاكر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ما لاح برق وترنم طائر، وبعد:

الله تعالى يحفظ ويلحظ ويجمل ويحرس ويمن بالعافية



الوثيقة رقم (٤)

الأبدية، والعناية السرمدية، على المحبين الملحوظين، الخلاصة المباركين، الكرام المكرمين، كافة بني بكر: آل دينيش وآل إبراهيم وآل حسن وآل يزيد وآل سنان والحاشدي، سلمهم الله وحماهم وخصهم من الداعي لهم جزيل السلام، ورحمة الله العزيز العلام.

صدرت الأحرف من عينات المحروسة، ونحن باذلون لكم صالح الدعاء والاعتناء بكم غاية الاعتناء، ونظرنا شامل عليكم، صباحاً ومساء، ولا نغفل عنكم ساعة واحدة، وندعو لكم بالزيادة في الحال والمال لأنكم الخلاصة لنا وعلاقة بنا الأول بالأول والتالي بالتالي وأنتم منا ومعنا دنيا ومعنا دنيا وآخرة، فنوصيكم بطاعة الله ورسوله وما يرضي وما يرضي الله ورسوله ويرضينا، ونوصيكم بمزيد الإخلاص بالنية الخالصة، والعقيدة الناصحة، والتمسك بالأنذار (النذور) لنا للتبرك والودا (الإيصال) للمطبخ المبارك فما يأتي منكم يوافق للمطبخ ويخلفه الله عليكم بجمالة الحال، وصلاح الذرية والعيال، وكثرة الأموال والزيادة في

كل حال ، الاعتناء الاعتناء، والله الله في إطلاق الخدمة أنتم والمحبين سالم وحسين أبناء شعيفان على الولد أحمد بن الشيخ هادي الاعتناء والجودة والودَا في جميع الأشياء إذا قصدتم الدعوة الصالحة.

وأخبار أرضنا حسب ما تبلغكم وتمينا صابرين لصلاح الضعيف والمسكين وتعرض كل وافدة وبن يماني يمنح وزاد أعطى ولد أحمد بن عمر التميمي رجال وقالوا له اقبض بلد اللسك ورد الشر نحو أحمد بن سالم وغير تحت عينات وحصل من ولد أحمد بن عمر ما حصل وبعد سرنا إلى تريم وإلى سيئون والقطن وصلحنا أحوال يافع الجميع وردناهم عيال رجال وجينا بهم إلى عينات وخرجوا على ولد أحمد بن عمر وعنده ستة أنفار ببلد اللسك في كوت أقوى من الحصن المنيع فحصروه فخرج بالليل هو ومن عنده شاردين إلى حدرا ودخلوا يافع الكوت وشلّوا جميع ما فيه وأخربناه إلى القاع وصفت بلاد اللسك ونشروا إلى حَدرَا وكمنوا تحت قسم ولما الشرق قام الحرب وخرجوا ناس من أهل تميم من قَسَم وحملوا عليهم يافع وضربوهم ورجعوا شاردين إلى قسم وسقطوا منهم اثنين لما ضحى النهار حملوا يافع على غرفة المقطع اقوى منعة في حدرا وأحسن زبن وباب على حدرا وأخذوها يافع وشردوا اللي فيها ونفذوا يافع محدرين إلى حويلة أرض آل عمر بن عيسى التميمي وفيها عشرة أنفار متمنعين في دارين وحملوا عليهم يافع وقتلوا اثنين من أهل تميم وصوبوا واحد والباقين طلبوا السلامة، وسلموهم يافع، وأخذوا أسلاب الأحياء والميتين وما فيها من ركاب ونفر/ ونقد وغنم وفيود ورجعوا يافع سالمين آمنين محميين بقدرة الله رب العالمين ثم بجاه السلف ولم يقع فيهم فشط، وقبضوا غرفة المقطع وحطوا في حدرا ويضيقون على الخصم وآل تميم مزيد الضيق والخصم مكسور ومخذول وبلسن الشيخ عبدالله كفاية، ومحبنا الشيخ عبدالله عوض دينيش تعوّر علينا وجلس عندنا مخلص معنا بالباطن والظاهر وبعد جاه ما أزعجه وطلب منا الفسح وفسحناه منا ونحن عليه راضين وعنه شاكرين وله داعين كل وقت وحين، ولا ننساه ولا نغفل عنه ساعةً واحدة، وهو منّي ومعي وخيل عنب في ظهري ومعلق/ ومغلق برتبي دنيا وآخرة ، يصدر إليكم مصحوب السلامة والعافية والنعمة الدائمة وهو شيخ وأبواً (أب) فكونوا له مستمعين ولأمره مطيعين ، والحذر الحذر إذا قصدكم جبرنا ورضانا أحد يعجا عليه تنالوا الخير والبركة لحيث أنا مجبور منه وراضي عليه دنيا وآخره.

والجودة الجودة وكونوا وازعين حاضر باش ربما نطلبكم بارك الله فيكم وحماكم والدعاء مبذول عند الصلوات والحضرات والزيارات عند ضرايح (أضرحة) فخر الوجود الشيخ أبوبكر بن سالم وأولاده بالعافية الضافية والذرية الصالحة والجمالة دنيا وآخرة.

والسلام من الأولاد أبوبكر وسالم وسقاف وكافة المحبين وعليكم منا ألف سلام.

بتاريخ فاتحة شهر شعبان سنة ١٢٣٩ هـ [الموافق ١ / ٤ / ١٨٢٤م].

ختم الواثق بالواحد الأحد
الشيخ أحمد ابن الشيخ سالم ابن الشيخ أحمد

الشرح والتعليق:

عند مقارنة هذه الرسالة بالرسالة الأولى [وثيقة رقم١] التي بعث بها صاحب عينات في جذوة مخاطر الفتنة التي واجهها حينها واقترب خطرها من عينات، فإن أول ما يلفت الانتباه أن هذه الرسالة قد خلت من الشكوى أو طلب النجدة التي طغى على مضمون الرسالة السابقة، بل حملت في مضمونها تعابير الارتياح والرضا بما تحقق على الأرض من انتصارات متلاحقة بعد وصول نجدة يافع، غريب وتليد، وتمكنهم من إزاحة الخطر المحدق حينها

بعينات، والانتقال من الدفاع إلى الهجوم في عمق أراضي الخصوم. ولهذا نجد أن هذه الرسالة تتحدث بلغة المنتصر عن الأحداث التي سارت لصالح صاحب عينات ويافع ضد آل تميم والمناهيل، وهو ما يتجلى بمشاعر النشوة بالنصر، وكذا في عبارات الثناء والتقدير والعرفان لمن جاء لنجدته. فبعد أن استهل رسالته، كالعادة، بمقدمة تقليدية مسجوعة، تبدأ بالحمد لله والدعاء بحفظ من أرسل لهم الرسالة، ويوصيهم بطاعة الله ورسوله وبمزيد من الإخلاص والإيفاء بالنذور لآل الشيخ أبي بكر إذا أرادوا الدعوة الصالحة، انتقل لتفصيل أخبار عينات وحضرموت وإجمال تتابع الأحداث المتلاحقة، على النحو التالي:

- ظل صاحب عينات وقومه صابرين لصلاح الضعيف والمسكين، ومع ذلك استمر تطاول بن يماني بالمنع والتعرض لكل وافد إلى عينات، وفضلاً عن ذلك شجَّع ولد أحمد بن عمر التميمي ودعمه بالرجال للسيطرة على بلدة اللسك، شرق تريم، ثم اتجه بالشر نحو صاحب عينات السيد أحمد بن سالم وغار تحت عينات وحصل منه ما حصل.

- بعد تداعيات تلك الأحداث اتجه صاحب عينات، حسب ما ورد في رسالته، إلى تريم وإلى سيئون والقطن وأصلح أحوال يافع الجميع ووحد كلمتهم، بعد تفرق، وجاء بهم إلى عينات، ثم خرجوا في حملة على ولد أحمد بن عمر وكان معه ستة أشخاص في بلدة اللسك داخل حصن منيع (كوت) فحاصروه ومن معه، فاضطر للخروج بمن معه في جنح الليل هاربين إلى جهة حدرا(٢٩)، ثم دخلت يافع (الكوت) وتم نهب ما فيه وهدمه كاملاً وتسويته بالأرض. أو كما قال في رسالته: وأخربناه إلى القاع وصفت بلاد اللسك.

- باستتباب الأمور في بلدة اللَّسك تم توجه يافع إلى حَدرا باتجاه قَسَمْ ونصبوا هناك كميناً تحت البلدة، ومع وقت شروق الشمس (لما الشرَّق) نشبت الحرب وخرج أناس من أهل تميم من قَسَم فحمل عليهم من بالكمين من يافع وأصلوهم نيران بنادقهم، فرجعوا هاربين (شاردين) إلى قَسَمْ، وسقط منهم اثنان.

- وفي ضحى ذلك النهار شنّت يافع غارة على غرفة المقطع وهي أقوى منعة في حدرا التي تمثل بوابة لمنحدر الوادي (أحسن زبن وباب على حدرا)، وسيطرت يافع عليها، وفرَّ مَنْ كان فيها. ولأن الشيء بالشيء يُذكر نورد ما ذكره ابن هاشم عند استيلاء يافع على غرفة المقطع إذْ قال: وهجمت يافع على غرفة المقطع التي بالعرض الشرقي على طريق هود فوق النقرة، واستولوا عليها، ولم يجدوا بها أحداً من رُتَب ابن يماني سوى شخصين نجيا بأنفسهما، ولم يظهر من صاحب قَسَمْ أقل حركة أو مبالاة؛ لأنه كان إذ ذاك خلواً من الجند ما عدا رُتبة قَسَمْ، وبعد أن استولت يافع على المقطع قرروا بناء أربع طوابي على مسقى المقطع، ثم شحنوها بالرجال والمؤن، وعاد الكثيرون من يافع إلى بلادهم(٣٠).

- تذكر الرسالة أن يافع نفذوا إلى أسفل الوادي (محدّرين)، أي اتجهوا إلى منحدر الوادي، وتحديداً إلى حويلة أرض آل عمر بن عيسى التميمي، وكان يتحصّن فيها عشرة أنفار متمنِّعين ومحتمين في دارين، فحملت عليهم يافع وقتلوا اثنين من أهل تميم وأصابوا واحداً، أما الباقون فطلبوا السلامة، ولم يصبْهم شيء (سلموهم يافع)، ولكنهم غنموا أسلحة (أسلاب) الأحياء والأموات وما فيها من ركاب(٣١) ونقد وغنم وفيد (فيود). ورجع قوم يافع سالمين آمنين محميين بقدرة الله رب العالمين ثم بِجَاه السَّلف ولم يقع فيهم جُرح (فُشط).

- بعد إحكام يافع سيطرتهم على غرفة المقطع تمركزوا في حَدرَا، التي وصفها صاحب عينات في رسالته بالبوابة، ومنها أخذوا يضيقون الخناق على الخصم وآل تميم، حتى انكسرت شوكتهم. يقول: وقبضوا غرفة المقطع وحطوا في حدرا ويضيقون على الخصم وآل تميم مزيد الضيق والخصم مكسور ومخذول.

– حمل الرسالة الشيخ عبدالله عوض دينيش بنفسه، لقول صاحبها (وبلسن الشيخ عبدالله كفاية)، ويقصد أن معه المزيد من تفاصيل الأخبار التي سيرويها لهم بلسانه مما لم يوردها في رسالته. وهذا يعني أنه قد عاد إلى يافع بعد أن قام بدوره المخلص لصاحب عينات، وهو الدور الذي كان محل رضا وارتياح وتقدير من الحبيب أحمد بن سالم. كيف لا وقد أُبلى بلاءً حسناً في الدفاع عن عينات مع قومه آل بني بكر، الذين كان على رأسهم لنجدة صاحب عينات؛ إذ أثارت رسالة طلب النجدة حَمِيَّته وألهبت حماسته، بدافع النخوة والمروءة، أو كما قال صاحب عينات (تعوَّر علينا)، أي شعر وكأن ما جرى ضدهم من عدوان عارٌ وجب محوه. ثم أسهب صاحب عينات في وصف الشيخ عبدالله عوض وتعداد مناقبه وتبيان مكانته المقربة والأثيرة، فهو بالنسبة لهم المحب والمخلص بالظاهر والباطن، وهم عليه راضون وله شاكرون وداعون كل وقت وحين. ويجزل آيات الشكر والامتنان والدعاء له قائلاً: ومحبنا الشيخ عبدالله عوض دينيش تعوّر علينا وجلس عندنا مخلص معنا بالباطن والظاهر وبعد جاه ما أزعجه وطلب منا الفسح وفسحناه منا ونحن عليه راضين وعنه شاكرين وله داعين كل وقت وحين، ولا ننساه ولا نغفل عنه ساعةً واحدة، وهو منّي ومعي دخيل عَنَد في ظهري ومعلق برقبتي دنيا وآخرة. ووفقاً للرسالة جاءت عودة الشيخ عبدالله عوض دينيش بناء على طلبه المغادرة (الفسح) للعودة إلى مسقط رأسه بعد أن بلغه ما أزعجه وجعله يطلب العودة. ولا ندري بالضبط سبب عودته، أو بالأصح ما هو الشيء الذي ازعجه وجعله يطلب العودة (الفسح) لعدم إفصاحه عن ذلك، ونعتقد أن أمراً أسرياً أو قضايا خلاف في بني بكر أو نحو ذلك مما قد تكشف عنه وثائق أخرى هي ما أرغمته على العودة حسب طلبه، رغم ما يحظى به من مكانة وتقدير لدى صاحب عينات..

– ثم يخبر في رسالته إلى آل بني بكر بمغادرة الشيخ عبدالله عوض دينيش، وأنه في طريقه إليهم مصحوباً بالسلامة والعافية والنعمة، ويعدُّه شيخاً وأباً للجميع، وينصحهم بأن يكونوا له مستمعين ولأمره طائعين ولا يصعِّبون عليه الأمور إذا ما أرادوا رضا صاحب عينات ونيل بركاته لأنه هو راضٍ عليه دنيا وآخرة، يقول: يصدر إليكم مصحوب السلامة والعافية والنعمة الدائمة وهو شيخ وأبوا (أب) فكونوا له مستمعين ولأمره مطيعين، والحذر الحذر إذا قصدكم جبرنا ورضانا أحد يعجا عليه تنالوا الخير والبركة لحيث أنا مجبور منه وراضي عليه دنيا وآخره.

– ويختتم رسالته طالباً منهم أن يجودوا ويكونوا على أهبة الاستعداد لأي طارئ إذا ما تم طلبهم مستقبلاً لأي سبب، ويمنِّيهم بنيل بركاته والفوز بدعواته لهم عند الصلوات والحضرات والزيارات عند أضرحة فخر الوجود الشيخ أبي بكر بن سالم وأولاده. يقول بالنص: الجودة الجودة(٣٢) وكونوا وازعين(٣٣) حاضر باش(٣٤) ربما نطلبكم بارك الله فيكم وحماكم والدعاء مبذول عند الصلوات والحضرات والزيارات عند ضرايح (أضرحة) فخر الوجود الشيخ أبوبكر بن سالم وأولاده بالعافية الضافية والذرية الصالحة والجمالة دنيا وآخرة. ويظهر تأثير المهجر الهندي في لغة الرسالة من خلال قوله (حاضر باش)، وهي كلمة هندية وتعني (كُن جاهزاً).

الخلاصة:

شهدت حضرموت خلال القرن الثالث عشر الهجري دوَّامةً من الفتن والنزاعات بين القبائل والقوى المتنفذة، وكانت يافع بحكم نفوذها طرفاً في كثير من تلك الفتن. ومن ذلك فتنة الحبيب السيد أحمد بن سالم بن أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم منصب عينات مع آل تميم، التي نشبت أوائل العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري؛ بسبب حصون الغرفة خارج قَسَم، والتي استمرت قرابة

سبعة أعوام، شهدت خلالها غارات وهجمات كرٍّ وفرٍّ بين الطرفين، كانت يافع فيها هي القوة الرئيسة للدفاع عن عينات؛ لما لصاحب عينات من تأثير روحي على يافع منذ عهد الشيخ أبي بكر بن سالم. وقد استجابت يافع لنجدة صاحب عينات حينما داهمه آل بن يماني وتميم ووصل خطرهم إلى أطراف عينات حتى صارت تحت رحمتهم، فاستنجد المنصب بيافع، ثمَّ جاء المقاتلون من يافع الجبل تلبية لنجدته، وهم من يسمون بالمصادر (الغرباء)؛ ليلتحقوا بقومهم الموجودين قبلهم من سكان حضرموت القدماء، وهو ما يطلق عليهم (التلد)، وأبلوا بلاءً حسناً في دفع الخطر والانتقال من الدفاع إلى الهجوم، حتى استتبَّت الأمور، وعاد القادمون من يافع إلى بلادهم.

وتكشف لنا الوثائق الأسرية التي حصلنا عليها الكثير من خفايا تلك الصراعات والفتن وأسرارها، فضلاً عن كونها تقدِّم لنا معلومات تاريخية لمناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها من التفاصيل، وقد حرصنا على نشر نصوص هذه الوثائق كاملة لكونها تشكل مادة دسمة ومصدراً مهماً للباحثين والمؤرخين في تدوين مختلف جوانب تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر.

---

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة عدن.

الهوامش:

١) انظر: أعلام الزركلي، م٢/ ج٤، ص ١٥٣.

٢) الموسوعة اليافعية، نادر سعد عبادي بن حلبوب العمري، دار الوفاق- عدن/ ط١ ن ٢٠١٣م، م/ ١، ج١، ص٨٢.

٣) المعلم عبدالحق، محمد عبدالقادر بامطرف، دار الهمداني للطباعة والنشر عدن، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص٦٤.

٤) تاريخ الدولة الكثيرية، محمد بن هاشم، تريم للدراسات والنشر، ط٢٠٠٢،١م، ص١٨٢.

٥) انظر: بضائع التابوت، ص٣٨٨. وكذا: تاريخ الدولة الكثيرية، ص١٨٣.

٦) انظر: تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٨٢. وكذا: بضائع التابوت، ص٣٨٨.

٧) احسب إفادة الشيخ قاسم صالح بن دينيش البكري.

٨) النكفة أو النكف: في العُرْف القَبَلِي هو أرفع حالات الاستنكاف والاستنفار والحشد للقبيلة وفروعها للقيام بغارة ضد قبيلة أخرى لردع عدوانها، أو لنجدة مستغيث أو لردع باطل أو غير ذلك مما يعتبر من الكبائر في العُرْف القَبَلِي (معجم الأسلاف والأعراف القبلية في بلاد يافع، د.علي صالح الخلاقي، ط١، ٢٠٢٠م، ص١١٣.

٩) معورة: تعني استنكار العار، وهو كلُّ ما يُعيرَّ به الإنسان من فعلٍ أو قول.

١٠) اسمه الكامل حسب إفادته: قاسم بن صالح بن محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن دينيش بن ناصر بن عوض بن سعيد بن عوض بن سعيد بن محمد بن دينيش البكري

١١) حسب إفادة الشيخ قاسم صالح بن دينيش البكري.

١٢) حسب إفادة الشيخ قاسم صالح بن دينيش البكري.

١٣) جم: كثير، وتكرارها للتأكيد.

١٤) عوّروا: من العار، أي الشعور بالعار.

١٥) مغالمة: غلمان، صغار السن.

١٦) الشاغب: ما يشغل البال.

١٧) الخرف: ثمار موسم الخريف.

١٨) وداعة: أمانة من المال المرسل.

١٩) متعوِّره: من العار، أي مستنكرة، وكأن ما حدث عارٌ لحق بها وجب محوه. جم: كثير، وترديد الكلمة يفيد التوكيد.

٢٠) انظر تاريخ الدولة الكثيرية، محمد بن هاشم، ص١٨٣، ويورد السنة ١٢٣٩هـ، وهو خطأ والصواب ١٢٣٨م.

٢١) تاريخ الدولة الكثيرية، ص١٨٤

٢٢) لعله السلطان حسين بن أبوبكر قحطان هرهرة.

٢٣) حسب إفادة الشيخ قاسم صالح بن دينيش البكري.

٢٤) حسب إفادة الشيخ قاسم صالح بن دينيش البكري.

٢٥) حسب إفادة الشيخ قاسم صالح بن دينيش البكري.

٢٦) تاريخ الدولة الكثيرية، ص١٨٤.

٢٧) أبوبكر: يُنطق بلهجة يافع بوبك كما في نص الرسالة.

٢٨) هاشوا: نهبوا وساقوا الماشية. الطمع: النهب.

٢٩) حَدرَا: منحدر الوادي، وهي المناطق الواقعة شرقي تريم. و(علوا) أي أعلى الوادي وهي المناطق الواقعة إلى الغرب من مديرية سيئون.

٣٠) تاريخ الدولة الكثيرية، ص١٨٥.

٣١) ركاب [مفرد]: ج رَكَائبُ ورُكُب: رحال، إبل مركوبة أو حاملة شيء (فصيحة).

٣٢) الجَوْدَه: الأفعال الجيدة والصفات الحميدة(ج) الجَوْدَات. وفي الفصيح: جادَ الشيء يجود جُوْدةً، أي صار جيدا. [معجم لهجة يافع، حرف الجيم).

٣٣) وازعين: جاهزين، مستعدين.

٣٤) حاضر باش: كلمة هندية دخلت لهجتنا بفعل تأثير المهجر الهندي وتعني (كُن جاهزاً).

23
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

التقرير الأولي للحفرية الإنقاذية لمغارة المشهد بدوعن م/ حضرموت

رياض باكرموم(*)، د. حسين العيدروس(*)

مقدمة:

بناء على البلاغ الذي وصل إلى الهيئة العامة للآثار والمتاحف بساحل حضرموت يوم الخميس ١٥/ ١/ ٢٠٢١م، الذي يفيد بظهور مغارات في أثناء أعمال شق الجبل الواقع إلى الجهة الشمالية الشرقية من مساكن قرية المشهد بوادي دوعن م/ حضرموت، لغرض إقامة مستوصف طبي، وتوسعة مدرسة المشهد من قبل متصدِّق من آل العطاس، والذي يشرف على الأعمال هو السيد/ أحمد عبدالله شيخ العطاس، ومن خلال تواصل المدير العام للهيئة العامة للآثار والمتاحف بساحل حضرموت عبر الهاتف مع الأخ سالم أحمد بانخر مدير عام مديرية دوعن الذي قام بإيقاف جميع الأعمال حتى يتمكن فريق مختص من معاينة الموقع.

وفي صباح يوم السبت ١٦/ ١/ ٢٠٢١م، تم النزول إلى الموقع من قبل الأخ مدير عام الهيئة العامة للآثار والمتاحف بساحل حضرموت الأستاذ رياض باكرموم والأخ مدير الهيئة بالوادي والصحراء د. حسين العيدروس، واتضح أن الموقع أثري، ويعتقد أنه مقبرة قديمة، وكان الجزء الذي ظهر من المقبرة بفعل الشق بالمعدات الثقيلة (الدكاك) شق فتحة بالمقبرة أبعادها ١٥×٥ , ١ متراً، وذلك بعد استقطاع مساحة واسعة من الجبل تزيد على ٣٠ متراً طولاً من الجنوب إلى الشمال، وعرض حوالي ٢٠ متراً من الغرب إلى الشرق، وتم النزول إلى عمق يزيد على ٢٠ متراً، وقد بدأت تظهر المقبرة على مسافة من رأس المنحدر الجبلي بحوالي مترَيْنِ، وتبعد عنها الى الغرب مقبرة أخرى بحوالي ٥ أمتار، وبمستوى ينخفض عنها بحوالي ٣ أمتار.



من اليمين أحمد العطاس، رياض باكرموم، د. حسين العيدروس، عبدالله الحامد
ويظهر في الخلفية المغارات الأثرية المكتشفة – السبت ١٦ يناير ٢٠٢١م

24
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

أهمية الموقع:



صورة جوية لجزء من مستوطنة ريبون الأثرية (المصدر: قناة حضرموت الخير)

ينتمي المشـــهد الحضاري في ريبون أو منطقة المشهد عمومًا من حـــيث الكمّ والأهمية التاريخية للمواقع الأثرية المنتشرة في أنحاء اليمن إلى أهم المناطق المتميّزة على المســتوى العالمي. تمثّل الأوابـد التاريخية والأثرية في حضرموت وجنوب الجزيرة العربية لجميع الفترات الزمنية بدءاً من الاستقرار البشري قبل حوالي مليون سنة من وقتنا الحاضر وحتى الفترة الحالية، وبذلك تمتلك مستوطنة ريبون واحدةً من أكثر مجموعات المحفوظات الحضارية الطويلة الأمد شمولاً، والتي لم تتمّ دراسة عددٍ من أجزائها الواسعة بشكلٍ علميٍ بعد.

تمثّل حالات التدمير للمواقع الأثرية القديمة بالإضافة إلى أعمال التنقيب غير المشروع واسعة النطاق في مواقعَ أثرية مهمّة القوى المحرّكة لعمليةٍ تقود إلى فقدانٍ لا رجعة فيه للأدلّة التاريخية الأكثر أهميةٍ في البلاد.

في ظلّ هذه التطوّرات الدراماتيكية يهدف مشروع التوثيق والتنقيب الإسعافي لمغارات المشهد الممتدة لمستوطنة ريبون الأثرية إلى وضع اليد على المواقع الجديدة التي طالتها أيادي المد العمراني.

تكشف الحفريات الأثرية في ريبون والمشهد كلها تقريبًا، عن آثار قديمة، ويعدُّ هذا الأمر بالنسبة لأصحاب الأراضي في المنطقة، سواءً المزارعين منهم أو الراغبين في البناء على أرضهم، عقبةً يجب تجاوزها لضمان الاستمرار في استعمال أرضهم. وأشدّ ما يخشاه هؤلاء هو احتمال أن يؤدي اكتشاف آثار في أرضهم إلى حملهم على وقف البناء فيها أو منعهم من فلاحتها أو حتى إلى مصادرتها من قبل السلطات.

ولأجل حماية الموقع من أن يتعرض لأي أعمال نبش ونهب قد تلحق أضراراً بالآثار بالموقع، وبناء على الأطر المتعارف عليها أثريًا فإنه يجب إجراء حفرية إنقاذية سريعة للمغارتين المكتشفتين، سارعت الهيئة بساحل حضرموت إلى جذب تمويل أولي من صندوق التراث والتنمية الثقافية بمحافظة حضرموت لاستكشاف المقبرة:

المرحلة الأولى (٢٣-٢٨/ ١/ ٢٠٢١م)

باشر فريق العمل المختص والمكون من:

م	الاسم	المهنة	العمل الحالي
١	رياض أحمد باكرموم	مختص آثار	مدير عام الهيئة بالساحل
٢	د.حسين أبوبكر العيدروس	مختص آثار	مدير الهيئة بالوادي والصحراء
٣	أحمد صالح الرباكي	مختص آثار	مدير دائرة الآثار بفرع الساحل
٤	عبدالله أبو بكر الحامد	مختص آثار	من متحف سيئون
٥	أحمد كرامة باحمالة	مختص آثار	مركز الرناد للتراث والعمارة بتريم
٦	محمود سالم صبيح	عامل	معلِّم
٧	عمر عبدالرحمن العيدروس	عامل	متحف المكلا

أعمال الاستكشاف والتوثيق الأولى للموقع صباح يوم السبت الموافق ٢٣ / ١ / ٢٠٢١م. استمر العمل إلى الخميس ٢٨/ ١/ ٢٠٢١م، وتم خلال هذه المرحلة استخراج كميات كبيرة من التراصفات الطينية، تتخللها بقايا كسر عظمية متحللة، وبقايا كسر فخارية صغيرة

متناثرة، بالإضافة الى أجزاء من حجارة غير منهدمة يبدو واضحًا عليها أنها كانت تتساقط بين الفينة والأخرى بسبب الرطوبة الناتجة عن مياه الأمطار التي تدخل إلى المقبرة من الاتجاه الغربي، وخلال هذه المرحلة تم إزالة كميات من الجهة الغربية والجنوبية، وعمل مقطع (مسبار اختباري) من الجنوب إلى الشمال بعرض نصف متر لاستكشاف الطبقات والوصل حتى عمق متر فقط، ثم توقف العمل لعدم كفاية الدعم المادي.

المرحلة الثانية (٢١/ ٣/ ٢٠٢١م إلى ٢/ ٤/ ٢٠٢١م)

بعد الحصول على اعتماد مالي مقدَّم من مؤسسة نهد التنموية تم استئناف أعمال التنقيب بالفريق المكوَّن من:

م	الاسم	المهنة	العمل الحالي
١	رياض أحمد باكرموم	مختص آثار	مدير عام الهيئة بالساحل
٢	د.حسين أبوبكر العيدروس	مختص آثار	مدير الهيئة بالوادي والصحراء
٣	أحمد صالح الرباكي	مختص آثار	مدير دائرة الآثار بفرع الساحل
٤	عبدالله أبو بكر الحامد	مختص آثار	من متحف سيئون
٥	علي حسين السقاف	مختص آثار	مدير دائرة الآثار بفرع الوادي
٦	عبدالله علي يعمر	مختص آثار	معلّم بمدرسة
٧	عمر عبدالرحمن العيدروس	عامل	متحف المكلا
٨	محمد رمضان مسلم	عامل	عمل خاص
٩	سالم أحمد باهرب	عامل	متحف المكلا

بدأ العمل يوم الأحد ٢١/ ٣/ ٢٠٢١م، وتم خلال الأسبوع الأول توثيق ١٢ طبقة تراصفية، تحتوي على بقايا عظام بشرية متناثرة وأغلبها متحللة، كما تم العثور على مؤشرات وجود بوابة حجرية تماثل البوابة الموجودة في إحدى المقابر المجاورة في الجهة الغربية، غير أنها أقل جودة من حيث صقل الحجارة التي تمثل القوام الجانبي للمدخل، وهو عبارة عن قناة تم شقها في حجر كلسي بمقاسات (٣٣×٣١×٢٢ سم)، ظهر على جانب أحد الكسر حروف بخط المسند الجنوبي، كتبت بطريقة الحفر بطريقة غير احترافية تمثل حرفي (؟/ ب ن/ ؟)، كما تم في يوم الثلاثاء ٢٠٢١/ ٣/ ٢٥م العثور على حجرتين كبيرتين يبدو أنهما كانتا لتدعيم المدخل، أبعادهما: الأولى (٧٦×٤٩×٢٥ سم)، والثانية (٧٤×٣٤×٢٩ سم). كما تم العثور على كسر فخارية سوداء لأوانٍ صغيرة الحجم (طاسات متوسطة)، ذات حافة رقيقة، ومقبض عبارة عن زائدة بسيطة متصلة بالحافة ذاتها.

كما تم في الأسبوع الثاني (السبت ٢٧/ ٣/ ٢٠٢١م) العثور على كميات أكبر من البقايا العظمية المتناثرة في أجزاء مختلفة من المقبرة، مما يدل على العبث بالرفات في أزمنة بعيدة، وقد تم خلال التنقيب وفي الطبقتين ١٣، ١٤ اللتين تقعان على عمق أكثر من متر ونصف المتر من بداية الطبقة التراصفية الطينية التي تشكل رأس المقبرة، والتي نتوقع أنها ترسبت بفعل تسرب مياه الأمطار التي كانت تدخل عبر المدخل، الذي تم الكشف عنه لاحقًا في الجهة الغربية، بدليل انسياب مستوى الطبقة نحو الشرق، والتي كان بينها وبين حجارة السقف الظاهر مسافة لا تزيد عن ٢٥ سم، كما أن سقف المقبرة كان يتساقط بين الحين والآخر نتيجة لعوامل مختلفة، لذلك نجد بقايا الحجارة وبقايا طبقات الحجر الرملي التي تشكل مناطق في أصل المقبرة تظهر في دواخل الطبقات الطينية التي ترسبت فوق الرفات، وفوق الطبقات الطينية التي كان يتم وضعها مع الدفن للرفات.

تم خلال تنقيب الطبقات ١٣، ١٤ العثور على بقايا عظمية تشكل جمجمة بشرية، ثم تم العثور أسفل منها على عظام ركبتي جمل وبقايا عظمية أخرى، مما يؤكد وجود الدفن المشترك بين الإنسان والحيوان (الإنسان والجمل)، أو ما يعرف بالبلية عند العرب؛ إذْ يعمدون إلى ناقة المتوفَّى، ويتم دفنها معه، وهي عادة معروفة، وتوجد نظائر لها في الجزيرة العربية. وعثر في ريبون بالقرب من



جزء من باب المقبرة الأصلي (الجهة الغربية)

المقبرة هذه على مقابر للبلية، ومن وادي دوعن نفسه جاء أول دليل أثري على ذكر دفن الجمال من النقوش القديمة في نقش حضرمي قديم من وادي دوعن يؤرخ ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، يذكر شخص يدعى كرب – همو بن إيل شهر قام بالتعاون مع أخيه مرشدم بوضع جمل داخل القبر نشره Frantsouzoff ٢٠٠٣، وبالقرب منها تم العثور على خاتم برونزي أو (حلقة أذن) بالقرب من عظام يتوقع أنها لذراع المتوفي.







خلال تنقيب الطبقات السفلية (١٥، ١٦) بتاريخ ١/ ٤/ ٢٠٢١م تم العثور في الجهة الشمالية الشرقية من المقبرة على هيكل عظمي بشري متكامل مستلقٍ على ظهره، ويتجه رأسه الى جهة الشمال، وتلتقي ساقاه عند القدمين، حالة الجمجمة جيدة مقارنة ببقية الإجزاء التي كانت شبه متحللة وبالذات الأطراف (أطراف اليدين والقدمين)، ولاحظنا وجود مادة برونزية اللون شبه متحللة على الجهة اليمنى من الصدر، ربما تكون جزءًا من حُلِيٍّ أو لباسًا متحلِّلاً.

وفي الجهة الشرقية من المقبرة وأسفل موقع بقايا الجمل تم العثور على أدوات فخارية متنوعة الأحجام والأصناف مكسرة بشظايا، أكبر من تلك الأواني الفخارية التي تم العثور عليها في الطبقات الأثرية الأعلى، وتم العثور في الطبقة ١٤ على مسحقة حجرية ثلاثية القاعدة، ومدقٍّ صغير يتناسب مع حجم المسحقة المعثور عليها وعلى بقايا عظمية. والجدير بالملاحظة أنَّه توجد صفائح حجرية رقيقة ربما كانت توضع عليها الجثث وتفصل ما بين التربة والجسد، كما يجب الإشارة إلى وجود كميَّات من الأحجار المتراصة وغير المنتظمة والتي عادة ما تكون فوق الرفات العظمية.

ومع خلال أعمال التنقيب الإنقاذي الذي تم بفريق محلي لأول مرة في تاريخ حضرموت، ومن خلال ما تم جمعه والعثور عليه ومن متابعة اللقى والتسلسل الطبقي يمكن القول بأن:

- أن هذه المقبرة تنتمي إلى نظام المقابر الكهفية، وتعدُّ مقبرة أسرية لشخص/ عائلة متميزة على الأرجح، في الأقل أنه كان من علية القوم أو تجارهم، فمثل تلك المقابر مكلفة الحفر والتجهيز، عكس المقابر العادية البسيطة التي تعدُّ سطحية وجماعية، والتي تم العثور عليها من قبل البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة في الجهة المقابلة.

27
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م



أداة حجرية (مسحقة)

• معظم بقايا الرفات البشرية والبقايا والأدوات والمرفقات الجنائزية لم تكن في مواضعها الأصلية التي تم وضعها بها، وهو ما يدل على أنه تم العبث بالمقبرة وسرقتها ربما في أزمنة بعيدة، على الرغم من إخفاء مداخل المقبرة بعناية، وعلى بعد أمتار من المقبرة توجد مقابر تم سرقتها ونهبها منذ فترات بعيدة فالمقبرة التي تحدها من جهة الشمال تذكر البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة أنها وجدتها منهوبة، وكانت في ثمانينيات القرن الماضي مسكنًا للبدو الرُّحَّل، وفيما بعد للمصابين بالجذام.

• التأكيد على وجود عادة البلية أي دفن جمل المتوفىَّ مع المتوفىَّ، وهي عادة معروفة عند العرب وممتدة إلى فترات المرحلة الإسلامية ربما في اعتقاد لعالم ما بعد الموت، وتوجد في ريبون نفسها مقابر للبلية في الجهة المقابلة من الوادي.

• هذه الحفرية الإنقاذية العاجلة والسريعة تعد الأولى من نوعها في كونها تتم بفريق محلي - والتي أعطت فرصة لخريجي الآثار للممارسة العمل الميداني للآثار - والتي تم التنقيب خلالها في مقبرة لا يوجد لها أي معلم ظاهر على السطح ولولا أعمال الشق لَمَّا تمَّ العثور عليها، ونؤكد على ضرورة حماية المنطقة لاحتمالية وجود مقابر مشابهة من الممكن إجراء أعمال حفرية منتظمة تخرج بنتائج أكثر دقة وتكتشف المزيد حول تاريخ المنطقة.

• تحليل الرفات العظمي لا شك سيعطي معلومات مهمة ويكشف معلومات حول إنسان هذه المنطقة خلال الألف الأول قبل الميلاد ونمط العيش، وستكون النتائج دقيقة كون الرفات تم استخراجه بطريقة علمية ومن قبل فريق مختص.

• هذا التقرير أولي وسيتم بعون الله وبعد دراسة المعثورات كتابة المزيد حول هذا المشروع وعن هذه المقبرة وطبيعة الدفن واعتقاد الحضارمة القدماء للحياة ما بعد الموت وغيرها.

وختامًا نتقدم بالشكر لكل من أسهم في نجاح هذا المشروع ونخص سعادة اللواء الركن/ فرج سالمين البحسني محافظ حضرموت، قائد المنطقة العسكرية الثانية، والأخ سالم أحمد بانخر مدير عام مديرية دوعن على تقديم التسهيلات والدعم والمساندة لفريق العمل، والأخ الأستاذ/ أحمد محمد بن علوي العطاس مدير عام صندوق التراث والتنمية الثقافية م/ حضرموت على تقديم التمويل للمرحلة الأولى من المشروع والسعي لجذب تمويل المرحلة الثانية ومساندته الدائمة لفرع الهيئة وخدمة التراث والآثار، والأخوة مؤسسة نهد التنموية على تقديم التمويل المالي للمرحلة الثانية من المشروع والتي لولاهم لما تمَّ المشروع بهذه السرعة ولتعرض الموقع لأعمال النبش وضياع المعلومة التاريخية، وللأخ أحمد عبدالله شيخ العطاس على حسن الاستقبال والضيافة والتعاون المطلق مع الهيئة، والشكر موصول لفريق العمل من منتسبي فرعي الهيئة بساحل ووادي وصحراء حضرموت.

(*) مدير عام الهيئة العامة للآثار والمتاحف بساحل حضرموت (المكلا).

(**) مدير عام الهيئة العامة للآثار والمتاحف بوادي وصحراء حضرموت (سيئون).

28
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

الصراع على الحكم والتسلط وأثره على الحياة العامة بحضرموت

في القرن الثالث عشر الهجري (١ - ٢)

مقدمة:

تعد المادة التاريخية للقرن الثالث عشر الهجري من أغزر المراجع والمصادر وأوفرها مقارنة بغيرها من الحقب التاريخية، ويعود ذلك لما شهدته حضرموت من أحداث في الشأن السياسي وتأثيره على الحياة، وقد سجل كثير من شهود تلك المرحلة مدوناتهم وحولياتهم التاريخية، ولن يجد الباحث مشقة في الحصول على معلومات جمة عن موضوع بحثه؛ إذ يستطيع جمع أطرافه والغوص في مظانه ومقارنة مصادره، للخروج بنتائج تساعد على فهم مجريات تلك الأحداث، التي استمرت عقوداً من الزمن، أفضت إلى تغييرات جذرية في الساحة الحضرمية، وأعادت الحياة الطبيعية إلى شرايين البلاد بعد أن عصفت بها رياح الحروب والفتن.

وبالنظر إلى تلك المدة يرى المرء غلبة قضية الصراع على الحكم والتسلط على القضايا الأخرى، بل هو علامة بارزة في بحر تلك الأمواج المتلاطمة، وكان محركها الأساس، فعلى أساس مده وجزره تغيرت الأحوال، وتبدلت المواقف، وأزهقت الأرواح، وأتلفت الأموال، وتعطلت المصالح، وعبر هذا المخاض العسير وقسوته، لاحت في الأفق إشارات مهدت لمرحلة جديدة، تنفس فيها السكان الصعداء، وتفاءلوا بيوم جديد.



صالح مبارك عصبان

وفي هذا البحث نحاول معرفة دوافع هذا الصراع، نتأمل ونربط بين الأسباب، لا نحاكم شخوصه، ولا نثرب على أجنحته، ولسنا في مقام التصويب أو التخطئة، بقدر ما نعرض تاريخًا أصبح رموزه في ذمة الله، ويهمنا فيه تصرفات النفس البشرية، التي تجنح بها الطموحات، وتقذف بها الأهواء، وتقوى وتضعف، ونخضع كل ذلك للنقاش الموضوعي، الذي يؤدي إلى أخذ العبرة ومعرفة سنن الله في الكون بتعاقب الدول وتغير الأحوال، وكل ذلك يحتاج إلى قراءة ودراسة لما كتب، تنفض عنه غبار الإهمال وتخرجه من زوايا النسيان.

وينتظم هذا البحث في تمهيد ومبحثين، يتحدث الأول عن طبيعة الصراع، وعوامل تفاعلاته، ومواقف القوى المختلفة منه، ويستعرض المبحث الآخر الآثار المختلفة على الحياة العامة بحضرموت وخاصة القضايا الاجتماعية والاقتصادية، وما أفرزه الصراع من معطيات وتغير في موازين القوى، وينتهي البحث بخاتمة.

تمهيد:

لو عدنا قليلاً إلى الوراء، فإن السمة التي ميزت القرن العاشر الهجري من الناحية السياسية في حضرموت، سطوع نجم السلطان بدر بو طويرق (ت ٩٧٧ هـ)، الذي دانت له غالب المناطق، وفي عصره أدخل الأتراك آلة حربية كان لها دوي عظيم، وضربت باسمه النقود، وكثر تردد الطامعين من الداخل والخارج في منازعته الحكم، فغزا البرتغاليون الشحر، وبوفاته تناوشت السلطنة الخطوب والأزمات السياسية، وصراع الإخوة، ويتدخل أئمة صنعاء في القرن الحادي عشر، ويدخل السلاطين في عهد ولاء لهم، وفي نهاية هذه الحلقة ينقسم بيت الحكم على قسمين: يحالف الأول الأئمة، ويتحرك الآخر في مسار الاستنجاد بعنصر ثالث، حيث قدمت جنود يافع ليرجحوا كفة أحد الطرفين، فتضطرب الأمور، وتبرز تحالفات جديدة، ويأفل نجم الدولة الكثيرية في عهد السلطان جعفر بن عمر بن جعفر الكثيري، «ويتوسط القرن الثاني عشر وقد فرغ الناس من دفن الدولة الكثيرية الأولى، وأخذوا ينظرون إلى ما قد سد الأفق من غيوم الفوضى والاستبداد والظلم والجور واندفاع القوى المسيطرة وراء أغراضها اندفاعًا لا يردعه رادع ولا يزعه وازع»(١).

وورثت الطوائف اليافعية وبعض القبائل الحضرمية تلك التركة المقطعة الأوصال، فتاهت في المجهول بلا هدف ولا نظام، تقودها شهوة التسلط والسباق إلى إشباع رغباتها في التحكم في الرعية، والحصول على الأموال ووسائل المعيشة، مع تساهلها في أية التزامات تحفظ أرواح الناس وأموالهم، وتكونت كيانات هشة في مدن حضرموت وقراه، ودور سياسي واجتماعي (للحوط)، مما دعا المؤرخ محمد بن هاشم إلى وصف تلك المرحلة بمرحلة (سلطات الطوائف)، فهي في نظره لا تحتاج إلى وصفها (بدولة)، وتخضبت أعوام القرن الثالث عشر بالدماء نتيجة للصراع المحتدم بين تلك الطوائف، وحلت الفوضى السياسية والتلاعب بأرواح المواطنين، ويمتد هذا الدور الذي يصفه البعض (بالدور القبلي) إلى نهاية القرن الثالث عشر؛ إذ استرسلت القبائل المسلحة في الحروب والفوضى، وحُشدت العشائر والقبائل لأقطاب أساسية، تتركز في ثلاث شخصيات، هي: عمر بن عوض القعيطي، وغالب بن محسن الكثيري، وعبدالله بن علي العولقي، وتحولت الصراعات من أجل الثأر والغارات إلى صراع هدفه السلطة والملك(٢)، وتبرز شخصيات أخرى لا تقل أهمية عن تلك الرموز، هي شخصيات: الكسادي وآل بريك، والعمودي وغيرهم، وتؤدي مكونات قبلية أخرى أدوارًا (مساعدة) -إن جاز لنا التعبير- في أتون المعارك والفتن، مع الحصول على مكاسب وخسائر متعددة.

ومن جانب آخر ففي بداية القرن الثالث عشر الهجري مرت الأوضاع السياسية بمرحلة اضطراب وعدم استقرار، وتمزقت أسر الحكم في ساحل حضرموت ووادية، وقسمت المدن بينها، وتلونت خارطة النفوذ تبعًا للقوة بعد ضعف القوة الكثيرية وانفراط عقدها، وسرى التمزق إلى الحلقات الأدنى (القبيلة، الفخيذة)، ولم يعد يجمعها جامع في ظل البحث عن حليف يساعد على صد هجمات الغزاة والمغيرين، وانعدام الشوكة المركزية، وتقلص التعايش السلمي وسلطة الأب الأكبر الذي يعود إليه الأمر، ويكون لحكمه نفوذ ولكلمته صدى، لهذا «تجد كل قبيلة منقسمة على نفسها إلى فخائذ وأسر متطاحنة، وتتصارع داخل مثاويها ومبانيها، وتظلم العزل من المواطنين -الذي يقيمون بينهم ويسمونهم (الرعايا)- ظلماً، يبلغ بالبعض منهم إلى درجة ترويع النساء والأطفال، وبيع الأحرار واختطافهم، ونهب الأموال، وقطع الطرق، وإتلاف النخيل وقتل الأبرياء»(٣). ولا شك في أن كثيراً من تلك الممارسات

اضطر الناس إليها اضطراراً بعد غياب حاكم يحمي أعراض الناس، وسرعان ما انتشرت ظواهر القتل بين المتحاربين، وعمليات النهب، وساعد تجار الحروب على إذكاء تلك الفتن، ورفعت طموحات الساسة من منسوبها، وهي مرحلة لا تختلف كثيراً عن بعض الفترات التي سفكت فيها الدماء «وإنه لمن المثير للاهتمام أن يشهد الإقليم الحضرمي على ما فيه من جفاف وفقر وقلة سكان ذلك الاختصام الذي تميز بالحروب الطاحنة التي دارت في كافة أدوار التاريخ...»، ويتساءل المؤرخ بامطرف قائلاً: «هل يُقتل البشر على وجه البسيطة لمجرد نزوة الاقتتال؟ وهل الاستيلاء على السلطة مجرد السلطة الغير مفضية إلى الحصول على طائل من ثروة أو رفعة من جاه، يدفع إلى المغامرات الدموية»(٤).

وعلى أية حال فقد آلت الأمور إلى ظهور بؤر الصراع التي تركزت في المدن، وهي التي شهدت المعارك، وعمليات الكر والفر، وبيعها وشرائها، وتعرض سكانها لأنواع من البؤس والحصار، بل إلى التهجير أحيانًا، وعانت المناطق المحيطة بها من ويلات الحروب، ولم تسلم هي الأخرى من بناء التحصينات ووضع نقاط الحراسة، وشهدت مزارعها عمليات نهب وإتلاف.

ونتيجة لهذه الصورة التي رسمناها للحالة السائدة، تأثرت الحياة العامة بحضرموت بدءاً من غياب الدولة والحاكم الذي يقيم العدل وينظم الحياة، ومروراً بالوضع الاقتصادي الذي عانى الكساد والجمود من جهة، وخاصة ركنه الأساس (الزراعة)، التي يتم تعطيل وسائل إنتاجها أو تخريب أدواتها، ويتعرض النخيل والزرع للقطع، أما التجارة فتسوء حالتها أحيانًا لعدم وجود الطرق الآمنة، وفي الجانب الاجتماعي تشتت الكيانات السكنية بفعل الهجرة والتهجير، فضلاً عما يصيب الناس من هلع وخوف، وفرضت الضرائب والإتاوات من قبل صاحب السلطة هنا أو هناك، وأفرزت الحرب هيمنة القوة التي علا صوتها ولم يسمع لصوت العقل ونصح الناصحين إلا فيما ندر، ومع هذا لم يغب دور الناصحين ومساعي أهل الخير ممن أرادوا أن يعم السلام ويعيش الناس في أمان.

المبحث الأول: الصراع على الحكم طبيعة القوى المتصارعة وعوامل التأثير:

أولًا: خارطة الصراع ومراكز القوة:

بالنظر لما اكتسبته بعض المدن الحضرمية من إرث تاريخي وموقع مهم، اتخذها الحكام على مر الأزمان مراكز لتحركاتهم، وشيدوا فيها مباني الحكم وحصون الدفاع وقلاعها، وبنيت فيها دور العلم، ولهذا كانت مناطق سباق لطلاب الحكم والسيطرة، ولا بأس أن نورد هنا مثالاً يشهد على تمدد حركة الصراعات على طول حضرموت وعرضها في أزمنة مختلفة، ففي ولاية عبدالله بن راشد (ت ٦١٦هـ)، الذي حاول أن يضرب على أيدي العابثين بالأمن، فاحتل شبام، وقصد ساحل حضرموت سنة ٥٥٩هـ وحاصر الشحر، «وانتفضت نهد وبنو حارثة وحضرموت وتجيب، وحصلت حوادث قتل وتخريب في سيئون وجفل وشبام وغيرها من مدن الوادي وقراه، وحوصرت تريم، وشق راشد بن أحمد وفهر بن عبدالله عصا الطاعة وعاثا فساداً في أراضي صوح بالقرب من تريم»(٥)، وكأن التاريخ يعيد نفسه في القرن الثالث عشر الهجري؛ إذ أصبحت مدن حضرموت وقراها مسرحًا لعمليات من امتلك السلاح.

وكانت مدن الشحر والمكلا من أهم المدن الساحلية في عملية الصراع، وتليها غيل باوزير، ثم تدخل بروم وقرى وبلدات أخرى، أما في الوادي فإن الخارطة تتسع لتشمل بالإضافة الى المدن الرئيسة (شبام، وتريم، وسيئون، ودوعن)، مناطق وقرى أدّت دوراً كبيراً في خطّي الهجوم والدفاع وبناء التحصينات (من الأكوات والقلاع والحصون)، كما كانت القبائل المحيطة بها مصدراً بشرياً للحرب.

ولعل أهم الأسباب التي هيأت تلك المدن لهذا الدور، وجود القرى الرئيسة، ممن جمعتهم العصبية لبناء كيانات تمارس الأمر والنهي، وتتحكم في شئون مناطق نفوذها، مع عدم تجاهل المفتاح الرئيس لهذا كله ألا وهو الصراع الكثيري اليافعي، الذي يلخص عشرات الأعوام من التناحر، لم يحسم إلا بعامل خارجي تم الارتماء في حضنه، «وبما أن الفريقين درجوا تحت سماء حضرموت وتنفسوا هواءها وأصابوا من خيراتها ما أصابوا وتحملوا من مشاقها ما تحملوا، فإن السنين القليلة أو الكثيرة التي باعدت بين القدوم الشنفري والقدوم اليافعي إلى حضرموت ليست مما يرجح كفة التاريخ لصالح تلك الفئة أو تلك»(٦).

والمتتبع لسير (الفتن) يرى انتقالها من مكان لآخر، فتتوسع في منطقة، ثم تنحسر لتشتعل في أخرى فينجذب لها المتحالفون، وبقدومهم تجري الاستعدادات ومتطلبات الالتحام وعناصر الصد وأدواته ويتهيأ المجتمع لضبط حياته وفقًا ومستجدات الأحداث.

وهكذا نرى أن الطوائف اليافعية توزعت في المدن فاستقلوا بالأمر في تريم وسيئون وشبام وملحقاتها، وفي الشحر والمكلا، وتقاسمت المدينة الواحدة بينها، ففي تريم مثلاً ثلاث سلطات (آل غرامة، وآل عبدالقادر، وآل همام)، وفي سيئون آل الضبي، وفي تريس بنو النقيب، وبنو بكر بمريمة، وفي شبام الموسطة، وآل بريك في الشحر، وآل كساد في المكلا، واستقلت بعض القبائل الحضرمية بمناطق متعددة، مثل ابن يماني التميمي في منطقة قسم، وقبائل أخرى من تميم في قرى مختلفة، وفي دوعن العمودي، وغير ذلك من النفوذ القبلي.

وقد حاول جعفر بن علي الكثيري إحياء الدولة الكثيرية سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م فاستولى على شبام ولم يفلح في الاستيلاء على سيئون أو تريم، وبوفاته سنة (١٣٢٣هـ) تعثرت المحاولة، ثم قام حكم أسرة عيسى بن بدر الكثيري سنة ١٢٣٩هـ، ودخلت الأحلام الكثيرية مرحلة عصيبة.

وظهرت التحالفات كضرورة اقتضاها تفاوت القوة، وتضارب المصالح واللهث وراء المغانم، ومحاولة إصلاح الأوضاع، كما هو في حلف عمر بن جعفر الكثيري، وآل علي جابر اليافعيين، وآل عبدالعزيز الذين استطاعوا إلى حد ما إعادة الطمأنينة للناس(٧).

وحين ننظر إلى ملف التحالفات طيلة تلك المرحلة نراها تخضع لتبدل المواقف، وتتم أحيانًا بين قبائل خارج إطار القطبين الرئيسين، وتكون شاملة في ظروف أخرى، لتكون جبهة عريضة لتحقيق هدف كبير، كما حصل في الهجوم على سيئون من قبل آل كثير وقبائل العوامر وآل باجري وآل جابر والحموم سنة ١٢٦٤هـ، وتحالف القعيطي والكسادي لاستعادة الشحر سنة ١٢٨٣هـ، وهناك تحالفات وقتية ذات أهداف قصيرة المدى، منها تحالف السلطان الكثيري منصور بن عمر بن جعفر الكثيري مع الجمعدار عوض بن عمر القعيطي سنة ١٢٧٣هـ، وتحالف يافع مع آل تميم والمناهيل بالاستيلاء على أجزاء من تريم سنة ١٢٧٥هـ، وغيرها(٨).

ويتم التصالح وكتابة العهود والمواثيق وإقامة هدنة بين الأطراف إما لمساع يقوم بها العلماء والوجهاء، وإما لالتقاط الأنفاس، أو للتخفيف من مشقة الحرب، ومن ذلك الصلح بين الدولة الكثيرية وقبائلها في ربيع الأول سنة ١٢٨٧هـ، وبين آل تميم والعوامر سنة ١٢٧٤هـ، ومكاتبات المقدم ابن يماني لآل بريك والكسادي وأهل القطن بالصلح الذي حصل بينه وبين السلطان غالب بن محسن الكثيري في ربيع الآخر سنة ١٢٧٤هـ ليدخلوا ضمن (صلح المسندة) الشهير في جمادى الأولى ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، وبين القعيطي وحلفائه وآل تميم والمناهيل من

جهة وآل كثير ومن في صفهم من جهة أخرى، الذي أنهى سبع سنين من الحرب في مدينة تريم(٩).

وبهدف إيجاد مراكز انطلاق وتوسع عمدوا إلى شراء المدن والقرى، وكانت تتم إما بالترغيب بالأموال، وإما تحت الضغوط والقوة، وتارة اقتسام المدينة مناصفة، وهذا كله يدل على الوضع الذي وصلت إليه الجغرافيا الحضرمية من تقطيع لأوصالها أدت لتأخرها وحصارها وسوء أحوال سكانها، ولعل أشهر الأمثلة في ذلك شراء منطقة الغرف سنة ١٢٦١ هـ من قبل السلطان غالب بن محسن الكثيري من القرامصة التميميين، وقام ببناء دور بها، تمهيداً لمناوشة يافع، وبوصول عبود بن سالم من الهند اشترى حصن ابن مطهر، وفي سنة ١٢٦٢ هـ اشترى آل كثير نصف بلدة تريم من عبدالقوي غرامة، وكانت فاتحة زواله من تريم، ومن ذلك أيضًا شراء نصف منطقة الخليف بتريم لآل عبدالله من آل همام سنة ١٢٦١ هـ، وشراء منطقة الحزم بغيل باوزير من قبل الأمير عبدالله بن علي العولقي سنة ١٢٦١ هـ ردًا على شراء الغرف من قبل آل كثير، وفي سنة ١٢٧٢ هـ باع آل عمر بن جعفر من عائلة آل عيسى بن بدر الكثيري بلدة حورة وحصونها ومراكزها للقعيطي، في حمى التنافس مع الكثيري على شراء المناطق، كما تم الاتفاق بين منصور بن عمر الكثير والقعيطي على صلح تقسيم شبام بينهما نصفين وذلك سنة ١٢٧٥ هـ، وفي سنة ١٢٩٤ هـ تنازل النقيب صلاح بن أحمد الكسادي عن نصف المكلا وجميع بروم والحرشيات للقعيطي مقابل مال(١٠).

وعمومًا فقد اشترى ممثلون لآل عبدالله الكثيري والقعيطي بضعة قرى محيطة بشبام وتريم وسيئون، «وحاولت كلتا الأسرتين السيطرة على المواقع الاستراتيجية والاقتصادية الهامة في المنطقة، وقد نشأ صراع طويل ومرير من أجل السلطة تم في غضونه تقسيم البلاد برمتها بين تلك الأسرتين»(١١).

وتنشأ الحروب بين القبيلة الواحدة أو فرع منها مع قبيلة أخرى؛ إذ (تثور الفتنة) -كما يعبر عنها- لأتفه الأسباب، وحروب أخرى أكثر حجماً، ومنها حروب غرامة وآل كثير سنة ١٢٦٣ هـ، وحرب النخيل بين فخائذ من آل كثير ويافع سنة ١٢٦٩ هـ، ووقعة المجف بين آل غرامة والدولة (آل كثير) سنة ١٢٦٣ هـ، وحرب المسندة بين آل تميم وآل كثير سنة ١٢٧٢ هـ، وحرب بين العمودي والكسادي سنة ١٢٨٦ هـ بعد خلاف بين العموديين أنفسهم، ومعركة البقرين بين آل كثير والكسادي سنة ١٢٨٣ هـ، ومعركة المشراف في ساحل حضرموت سنة ١٢٩٣ هـ بين الحلف الثلاثي (الكسادي والكثيري والعولقي) من جهة والقعيطي ومعه آل بريك من جهة أخرى(١٢).

ويحدث في نهاية هذه المواجهات تغيير في خارطة مناطق السباق، ففي رمضان ١٢٥٥ هـ أجلى منصور بن عمر الكثيري قبائل الموسطة اليافعية من شبام، وفي شرق الوادي بدأ السلطان غالب بن محسن يتوسع، وبالمقابل أجلى عمر بن عوض القعيطي آل كثير من قرى بالقرب من القطن، وخطط آل كثير لاحقًا لغزو ساحل حضرموت، وفي سنة ١٢٧٢ هـ استطاع مهاجمو يافع تهديد شبام(١٣)، وهكذا عبر المؤرخ ابن حميد الكندي عن هذه الدوامة قائلاً: «والحاصل أن حضرموت لا تزال مربوشة أعلاها وأسفلها كلما خمدت فتنة من جانب ووهدت، ثارت في الجانب الآخر»(١٤)، وكأي حرب فإن المساوئ والتصرفات الهمجية تفرض نفسها مع ازدياد الخصومات، وكثرة الدماء والانتقامات والثأر، فيتم التنكيل بالمهزوم، وقطع الرؤوس، والرمي العشوائي على البيوت مما يسبب ضحايا ممن لا ناقة لهم ولا جمل في تلك الحروب، ويحدث أن يلجأ الجند إلى بيوت الأهالي يتخذونها متاريس فيعود الضرب عليهم وتنهدم تلك البيوت(١٥).

ومن القضايا التي انتشرت في أثناء الحروب نظام (الرهائن)؛ إذ يضع الفريقان رجالاً أو التعديل بالأبناء ووضعهم في السجن لضمان تنفيذ العهد والاتفاق(١٦).

أما النهايات التي أفضت إليها الصراعات فكانت بزوال دويلات وطوائف، وضعف قبائل أخرى وإزهاق الأرواح، وإنفاق الأموال، وتعطل المصالح العامة، وهي أحداث تدعو للاعتبار من نزوات التسلط والاحتكام للسلاح والقوة، لإشباع رغبات وتحقيق أمنيات كان يمكن أن تحقق بوسائل أخرى.

ثانيًا: عوامل التأثير:

دارت رحى الحرب على التراب الحضرمي واكتوى بنيرانها الجميع وانخرط حملة السلاح يساندون هذا ويخذلون ذاك، ولعبت بعض العوامل دوراً في بدء الحرب واستمراريتها نعرضها كما يأتي:

١- المال والتمويل:

وهو المحرك الأساس للحرب، ووجد زعماء الحروب ضالتهم في الهند حيث أموالهم التي كونوها، «والعنصر المثير للاهتمام في هذا الصراع كان اعتماد كافة الأطراف على التحويلات والسلاح والعتاد والمرتزقة والغذاء إلى حضرموت بسبب شحة المصادر في البلاد نفسها فقد ساهم في ذلك المهاجرون في سنغافورا وجاوا وحيدر أباد وشرق إفريقيا والحجاز»(١٧)، وجزء من الأموال التي تدفقت حاولوا بها إحلال الأمن والسلام وإقامة دولة بحضرموت مقرونة بطموحات سياسية للقضاء على الكيانات الهزيلة، وفي ساحل حضرموت كانت الموانئ مصدراً من مصادر التمويل، ومن المصادر الداخلية فرض الضرائب والاستيلاء على أموال الوقف، وقد استخدمت تلك الأموال بصورة رئيسة في تموين المعارك، ودفع أجور الجنود، وجلب المحاربين من خارج حضرموت، وبناء الحصون والدفاعات، والنفقة على السلاطين والأمراء والحاشية، وشراء العبيد.

٢- العنصر الخارجي:

ونعني بهم القادمين من خارج حضرموت، وهم قسمان: القسم الأول، ويعمل غالبًا كخبراء في إصلاح الأسلحة، ويجلبون من الهند وتركيا والحديدة وغيرها، أما القسم الآخر، وهو الذي يستأجر كمحاربين، نظير مبلغ من المال، وتصل أعدادهم إلى المئات، وتتركز مناطق استقدامهم في ما يطلق عليه ابن حميد (قبائل القبلة)، وخاصة وذو حسين ودهم والعوالق، بالإضافة لمناطق يافع(١٨)، والعجيب أنهم يتحولون من جهة إلى أخرى حسب ما يعطى لهم من الدراهم والغذاء، ولم تسلم المزارع والنخيل من غاراتهم وهجماتهم حينما ينفد ما لديهم من زاد.

٣- تجارة الرقيق:

أوجدت تجارة الرقيق وقوداً رخيصًا للحروب، ونشطت عمليات الشراء في الحجاز وتركيا وإفريقيا، و«وفرت علاقات تجارة الرقيق مع شرق إفريقيا للحضارم إحدى وسائل تجارة البحر الأحمر في عشرينيات القرن التاسع عشر، فأبحرت السفن من المكلا وموانئ حضرمية أخرى إلى زنجبار لغرض جلب شحنات العبيد بيع بعضهم في حضرموت.... وفي الفترة ما بين (١٨٥٠ - ١٨٨٠م) عمل ميناء المكلا والشحر كمحطات توزيع -احتلت قدراً من الأهمية- للعبيد لمختلف الموانئ العربية، وكذلك عساكر عبيد للحروب المستمرة بين القعيطي والكثيري»(١٩)، وتطلق عليهم تسميات حسب مصدر قدومهم، فيقال (عبيد سواحلية)، (عبيد نوبة)، (عبيد مماليك)، ومع طول سنوات الحرب أصبح للقبائل والأفراد عبيد يتم توزيعهم على جبهات القتال، وأدى بعض الأفراد دوراً في العمل وسطاء للشراء أو السفر بهم، يقول المؤرخ ابن حميد في (تاريخه): «والسلطان غالب ذكر لأخيه عبدالله أنه قد صدر مع السيد علي بن عمر محضار العيدروس دراهم

لأخذ عبيد من جهة اليمن والشام»، وفي موضع آخر يقول: «وذكر أيضًا أنه بايصدر دراهم إلى بندر الحديدة لأجل أخذ عبيد نوبة مع أناس من أصحابه على نظر السيد سعيد بن سلطان صاحب مسكت»(٢٠)، ويتكرر اسم علي بن عمر محضار العيدروس، وابن جراب، وصاحب مسقط مرات عدة في عمليات شراء العبيد، يقول ابن حميد: «وبلغنا أن السيد علي بن عمر بن محضار العيدروس وعبدالرحيم بن جراب نفذا إلى أرض السواحل من بندر منبي لأخذ عبيد للسلطان غالب»(٢١)، وحتى في رحلة العودة من الحج يصطحب البعض معه عبيدًا، ويتم الإهداء للوجهاء والزعامات القبلية، وما أسهل ما يقتل العبيد وتؤخذ أسلحتهم!

وأصبح امتلاك العبيد لازمًا من لوازم التسلط والظهور، «ففي شهر ذي الحجة ١٢٦٩ هـ نفذ السلطان علي بن أحمد من بلد سيئون مراده الهند وحيدر أباد ويقول إن نيته الفتح على السلطان المعان غالب بن محسن بثلاث خصال أحدها تحريضه على أخذ الأرقاء دائما حتى يكونوا عددًا كثيرًا»(٢٢).

وسيكون لهذا العدد الوافر آثاره في السنوات التالية؛ إذ أصبح رافدًا قويًا للقوة العسكرية للسلطنتين الناشئتين (الكثيرية والقعيطية)، وتحول العبيد إلى خدمًا لبعض الأسر والعوائل، وبتدخل الاستعمار البريطاني وعوامل أخرى منع الاتجار بالرق.

ثالثًا: مواقف تجاه الأحداث:

أدخلت الأحداث الناس جميعًا في حيرة من أمرهم، ولم تمنع الضبابية والغموض وشدة الصراع من تحديد المواقف، والاصطفاف مع أحد الفريقين أو ضده تبعًا للمصلحة العامة، أو البحث عن سبل لإنهاء الصراعات وإقامة الشرع والعدل، أو لتحقيق مصالح خاصة، ويمكن رصد ثلاثة مواقف فرضت نفسها، وهي على النحو الآتي:

١- المناصب والحوط:

للمناصب والحوط حضور في جزء من تاريخ حضرموت، وكانت عبارة عن سلطات الأمر الواقع في ظروف معينة، والحوط: «هو الموضع الذي يختطه المنصب أو أحد المعتقدين ويحوطه ويعلن بأنه أصبح حرمًا آمنًا على الدوام لا يمكن فيه قتل ولا قتال ولا نهب ولا ظلم بين القبائل ولا السلاطين؛ فيستجيبون ويتعهدون بذلك، ومن دخله صار آمنًا؛ لأنه في حمى مؤسسه مختطه»، أما المناصب «جمع منصب وهو المرجع في الأمور العامة والمشاكل الاجتماعية»(٢٣)، وتنتقل (المنصبة) بالوراثة، وتعطى للحوط صفات القدسية لأداء دورها الديني والاجتماعي بوصفها مقرًا لرفات الولي، وتزداد قيمتها كلما كانت كرامات الولي وخوارقه مذاعة ومنتشرة بين عامة الناس، وللمناصب سطوة وضبط للأمور، واستضافة الضيوف، والتدخل لوقف الفتن القبلية(٢٤)، وهي أحد مظاهر (الجاه) والظهور، فقد كان لبعضهم مراسم تبرز كيانهم وتعلي من شأنهم، فتضرب لهم (الطيالات) تحت ظلال الأعلام والبيارق في الأعياد والمناسبات، مصحوبة بالألعاب الشعبية (كالرزيح، والخابة، ونعيش البقارة) من قبل رعاياهم، ويحق لهم فرض العقوبات على من خالف أوامرهم، سواء بالنفي خارج الحوطة أو منعه من العمل مدة محددة، أو الضرب، ويبرر الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري لنشأة ووجود هذه المسميات فيقول: «وطبيعة حضرموت وظروفها من شأنها أن توجد فيها هذه المؤسسات العظيمة النفع، ولهذا توجد روابط وثيقة بين هؤلاء المناصب الذين يتمتعون بالوجاهة وحسن العقيدة فيهم، -وهو ما يسميه البعض بالنفوذ القبلي الروحي- والقبائل المتسلحة، ولهم نفوذ عليهم في حدود معينة، كما أن لبعض المناصب نفوذ وسلطة على مواطنيهم فترى النفوذ القبلي والنفوذ الديني أو الروحي -كما يسميه

البعض- يمشيان جنبًا إلى جنب في تلكم الأزمان»(٢٥)، ولا ينجو من جرائم القتل والنهب إلا من اعتصم بإحدى الحوط، وهذه هي بعينها أدوات الحكم حيث الجمع بين الغطاء الروحي (الفكر) والقوة.

وترتبط الحوط بأسر معينة، يأتي في مقدمتها العلويون وتلحق بهم أسر أخرى، أما باقي أفراد المجتمع فلا (حوط) لهم، لعدم امتلاكهم الشوكة والعلم والجاه، وقد أدت دوراً في الصراع بوصفه وسيطًا، وكانت ملاذًا آمنًا للنازحين وكهفًا للاجئين، (كما تصورها منظومة الهيمنة الفكرية)، والمناصب هم أيضًا حسب رأي المؤرخ محمد بن هاشم إحدى ركائز الإصلاح بين المتحاربين وكبح جماح أهوائهم، ويتم ترضيتهم والذهاب إلى أماكنهم، ويتوجهون وقت الأزمات وحصول الضرر على القرى، إلى حملة السلاح فيما يسمى (النكف) يطالبونهم بدعم (الدولة) ضد خصومها، ففي شوال ١٢٦٨هـ وصل مناصب ثبي وتاربة وبور إلى سيئون (للنكف) على آل كثير الشنافر بتركهم معاونة الدولة(٢٦).

وتؤدي المنصبة والحوطة دور (الحاكم) في وسط محدود، خصوماته بسيطة وبين أسره روابط عائلية، وأفراد يمكن السيطرة عليهم، و«مفهوم ابن خلدون عن العصبية يمكن أن يكون ذا فائدة عند محاولة إيجاد فهم أفضل لدور الحوطة في القيام بدور الوساطة إذا ما نشبت صراعات بين القبائل المختلفة، وكذلك الحفاظ على السلام، إن فاعلية الحوطة نشأ جزئيًا عن نسب السادة الذين يسيرون أمور الحوطة»(٢٧)، وتحظى قدسيتها فيما يعده ابن حميد (منقبة) لتخفيف الشدائد، فيقول وهو يصف حالة بيت انهدم على أناس مات نصفهم، ولم يمت النصف الآخر: «لأنها حوطة محل سلف»(٢٨) حسب تعبيره.

ونشط العلويون عبر هذين المسميين (المناصب والحوط)، ولكي نفهم أحد الأسباب الرئيسة لمواقف العلويين؛ بوصفهم أصحاب النفوذ الروحي -حسب وصف المؤرخ الشاطري كما تقدم- نثبت هنا كلامًا للمؤرخ محمد بن هاشم، يبين جزءًا من حقيقة مواقفهم؛ إذ يقول: «وإنما أخرج السادة العلويين من عزلتهم إلى المعترك السياسي، وحملهم على نبذ تقاليدهم القائلة بوجوب ابتعادهم عن التدخل في شئون السلطات وتنازعها، هو ضجيج الوطن وعجيجه من عظيم ما يقاسي من الاضطرابات والفتن، وما يكابده قاطنوه من الضيم والقهر، ومن انعدام القوة الحاكمة التي تخضع لها البلاد سواء اتصفت بالعدل أو الجور»(٢٩)، وهي مبادرة ترجمت عبر سعيهم في الإصلاح سواء بين القبائل المسلحة أو بين سلاطين الدولتين، والمناداة بإقامة الشرع وأحكامه، كما حصل من قبل الفقيه الحسن بن صالح البحر بوضع مشروع لهذا الأمر، وعدد من المبادرات الأخرى التي غرضها حقن الدماء، وحفظ الأعراض، والرأفة بالرعية، ورد المظالم، وتأمين طرق الحجاج، ومعاتبة الظلمة وأهل الجور(٣٠).

وكانوا محط استشارة الأمراء والسلاطين الذين كانوا -غالبًا- لا يصدرون أمرًا أو يوردونه إلا بالرجوع إليهم، «ففي جمادى الآخرة ١٢٧٠هـ وصل كتاب من السلطان غالب بن محسن الكثيري لبعض وجهاء العلويين في سيئون يستشيرهم في أن يبقى في الهند أو يسافر إلى الشام (الحجاز)، أو الذهاب إلى العثمانيين، أو الخروج إلى حضرموت؛ فأشاروا عليه بالخروج إلى حضرموت»، وكان هذا السلطان يعتقد فيهم ويتعلق بهم أيما تعلق، حتى قال في معرض التأكيد على كلامه: «.. إني أيقنت بالهلاك، ولكن إذا دهمني أمر حملت معي خطوط الحبايب العلويين الذي تأتيني منهم من الجهة الحضرمية، وهي ما تزيد على مائة وعشرين خطًا، وأقول في نفسي: حاشا الله أن تلطخ كتب الحبايب بالدماء، فصرت أنى توجهت إلى أمر وهي معي، قضي بإذن الله تعالى وبركة أهل البيت

النبوي»(٣١)، بل يدعونهم إلى اللجوء إليهم، ففي كتاب أيضًا من الفقيه البحر، قال فيه بعد مناصحة وبيان وتخويفه بالله على ما تُرتكب تحت نظره من مظالم: «... وقد جعل الله معكم وعندكم من حاز الكرامتين، شرف النسب وشرف العلم فعظموهم وأجلوهم، وأما النسب فقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» أخرجه الترمذي»(٣٢).

ولهم اتصالات خارجية بمحمد علي باشا في مصر، وإمام اليمن، وأهم اتصال كان استعانتهم بالدولة التركية في سنة ١٢٦٦هـ لتجهيز حملة للاستيلاء على الشحر؛ لتأمين إمداد آل كثير من الساحل، والتي تعرف بحملة إسحاق بن يحيى العلوي، وشكل العلويون لجنة منهم لمقابلته حين وصوله، ومن مواقفهم الهجرة من المدن التي أنهكتها المعارك والضرائب إلى قرى وحوط معلنين احتجاجهم(٣٣).

ولا يمكن التسليم لما أورده البعض من أن العلويين لم يكن في نيتهم إقامة دولة (علوية)، أو أن تحركاتهم بعيدة عن الأغراض السياسية، مع الأخذ بعين الاعتبار أنها تهدف ضمن أمور أخرى إلى الإصلاح الاجتماعي؛ إذ «بدأت حركة السادة المرموقين من مدن سيئون وتريم وشبام إلى القرى المجاورة، أتت هذه الحركة احتجاجًا على الظروف الاجتماعية السياسية في تلك المدن، كما أنها وجدت دافعًا من التهديدات الموجهة ضد سلامة السادة من قبل الحكام المحليين، أخيرًا بلغت هجرة السادة ذروتها بقيام عدة انتفاضات غير ناضجة ضد الأسر اليافعية الحاكمة بدعم من قيادات قبلية قوية»(٣٤)، وهو يؤكد اتصال أصحاب الطموح السياسي منهم بالقوى القبلية والقوى الأجنبية مع وجود الآمال بتجديد الحكم الكثيري وتطبيق القانون «بعد إعطاء الصفة الشرعية لحكم آل عبدالله الكثيري على المنطقة برمتها، وذلك عن طريق جمع التقاليد التاريخية والدينية والأنساب في بوتقة واحدة»(٣٥)، وهكذا قُدّم زعيم آل عبدالله، غالب بن محسن الكثيري في شكل مثالي واحتفل به كمنقذ سحري، وما محاولات محمد بن عقيل بن يحيى سنة ١٢١٧هـ، وطاهر بن الحسين سنة ١٢٢٠هـ، وترشيح أحمد بن علي الجنيد ١٢٥٣هـ إلا تصب في هذا السياق(٣٦).

وقد يحصل الخلاف بينهم وبين السلاطين، بل يحصل إلى حد الصدام، كالحرب التي وقعت بين السلطان جعفر بن علي الكثيري ومنصب عينات أحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر(٣٧).

٢- العلماء:

قام بعض علماء ذلك العصر بما يملي عليهم مقامهم بتوضيح مواقفهم مما يدور، فبدأوا ببيان وجوب نصب إمام يسوس الناس ويقيم الشرع، قال ابن حميد في تاريخه: «وكان جل دعوة سيدنا الإمام الحبيب الحبر القمقام أحمد بن عمر بن سميط علوي ببلد شبام في شأن إقامة الوالي في الجهة الحضرمية خصوصًا لما يشاهده فيها من المنكرات والجور والظلم من غير نكير ولا وازع شرعي ولا طبعي»، وكان يقول (أي ابن سميط): «... فبعدم وجود السلطان في هذه الأوطان وأخريات الزمان تهدمت للدين أركان، وخربت ربوعه الحسان، وظهرت شوكة أهل البغي والعدوان»(٣٨)، أما الفقيه علوي بن سقاف الجفري ففي درس في شهر ربيع الأول ١٢٦٦هـ طالب الناس بالتوبة إلى الله، وطالب العلماء بأن يقتربوا من السلطان،

وأن يجعلوا منهم وزيراً، وكاتبًا، وحاسبًا، ومحتسبًا تحت نظرهم؛ لتستقيم أمور الدنيا والدين، مع تعليمه ما يجب عليه كوال لإقامة الشريعة، وظهور العدل، وأن هذا أفضل لهم من نوافل العبادات، وفي موضع آخر أمر أن ينادى في الأسواق بأن من له مظلمة عند السلطان نفسه فليتوجه له، وإن منع من ذلك، فهي الطامة وقال: (فلا يستقيم الظل والعود أعوج)، و(صلاح الرعية بصلاح الراعي)(٣٩).

ولهم في باب النصح سهم، فالفقيه علوي المشهور له قدم راسخ في الصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتب الحسن بن صالح البحر كتابًا للدولة حين رآهم أعرضوا عن إقامة الشريعة، ومما جاء فيه «... ونرجو من الله أن تستجيبوا الداعي وتمتثلوا أمره وتخافوا بطشه وقهره، وتحفظوا أنفسكم من وقوع سخطه وزجره وتحكموا على أنفسكم ما شرعه في دينه من أمره ونهيه»(٤٠).

الهوامش:

١) محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، ص١٤١.

٢) انظر: ابن هاشم، المصدر السابق، ص١٤١، بامطرف، في سبيل الحكم، ص١٣، محمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، (٢/ ٣٣٧، ٤٠٣).

٣) أبحاث لعدد من المستشرقين والأكاديميين، الشتات الحضرمي، ص٦٣، وانظر: الشاطري، الأدوار، (٢/ ٣٣٩).

٤) بامطرف، في سبيل الحكم، ص١٥.

٥) سعيد باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص٧٨.

٦) بامطرف، مصدر سابق، ص١٨.

٧) انظر: صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، ص١١٦، ابن هاشم، مصدر سابق، ص١٤١، ١٥٣، ١٥٤، بامطرف، مصدر سابق، ص١٤.

٨) باوزير، مصدر سابق، ص١٨٤، بامطرف، مصدر سابق، ص١٦، ٤٢، ابن هاشم، مصدر سابق، ص٢١٣.

٩) سالم الكندي (ابن حميد)، تاريخ حضرموت، (٢/ ١٦٣، ٣٠٥)، بامطرف، مصدر سابق، ص١٠٠.

١٠) ابن حميد، المصدر السابق، (١/ ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤٣)، البكري، مصدر سابق، (١/ ١٢٣)، بامطرف، مصدر سابق، ص١٤.

١١) الشتات الحضرمي، مصدر سابق، ص٦٢، ٦٣.

١٢) باوزير، مصدر سابق، ص١٥، ١٦٦، ١٨٤، ٢٠٨، وانظر: عبدالرحمن السقاف (ابن عبيدالله)، إدام القوت، ص٥٤٥.

١٣) باوزير، مصدر سابق، ص٢٠٥، ٢٠٧.

١٤) ابن حميد، مصدر سابق، (٢/ ٣٠٠).

١٥) ابن حميد، مصدر سابق، (٢/ ٤١، ٤٢، ١٤٠).

١٦) ابن حميد، المصدر السابق، (٢/ ٣١٤، ٣٣٩، ٣٦٨).

١٧) الشتات الحضرمي، ص٦٧.

١٨) ابن حميد، مصدر سابق، (٢/ ٦، ٣٥، ٤١، ٥٣، ٥٨).

١٩) الشتات الحضرمي، ص٣٤٧، ٣٤٨.

٢٠) ابن حميد، (٢/ ١٨، ٦٢).

٢١) انظر: المصدر السابق، (٢/ ٧٤، ٨٦، ١١٣، ١٢١).

٢٢) المصدر السابق، (٢/ ١١٦).

٢٣) الشاطري، مصدر سابق، (٢/ ٢٩١، ٢٨٧).

٢٤) انظر: (المقصد في زيارة المشهد)، عبدالعزيز جعفر بن عقيل، مجلة (آفاق)، ص٢٨، ٢٩، ٣٥، مارس ١٩٨٧م، اتحاد الأدباء، المكلا.

٢٥) الشاطري، مصدر سابق، ص٢٩٠.

٢٦) ابن هاشم، مصدر سابق، ص١٤٢، ابن حميد، مصدر سابق، (٢/ ٣٩، ٩٦).

٢٧) الشتات الحضرمي، ص٤٧.

٢٨) ابن حميد، مصدر سابق، (٢/ ٨٤).

٢٩) ابن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، ص١٤٣.

٣٠) انظر: ابن حميد، مصدر سابق، (٢/ ٩٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٨٨، ٣٧٢).

٣١) ابن حميد، (٢/ ١٣٦، ١٥٤).

٣٢) المصدر السابق، (٢/ ١٢٧).

٣٣) انظر: باوزير، مصدر سابق، ص١٧٧، ابن هاشم، مصدر سابق، ص١٨١، ابن حميد، (٢/ ٢٠٨).

٣٤) ابن هاشم، مصدر سابق، ص١٨١، الشتات الحضرمي، ص٥٩، ٦١.

٣٥) الشتات الحضرمي، ص٦٢، ٦٩.

٣٦) بامؤمن، الفكر والمجتمع، ص٢٠٠.

٣٧) ابن هاشم، مصدر سابق ص١١٥.

٣٨) ابن حميد، مصدر سابق، (٢/ ٦٦، ٦٧).

٣٩) المصدر السابق، (٦٥، ٦٩).

٤٠) المصدر السابق، (٢/ ١٢٧).

38
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م



الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب

ساحل حضرموت (أنموذجًا)

الحلقة السادسة



أ. عمر خميس بامتيرف

الأسماك الراكدة في الأسواق

حنيذ الزرية

لأسماك الزرية قيمة غذائية وتجارية عالية؛ لكونها تُعد أفضل أنواع صيد القشار، ويتطلب التعامل معها بحرص شديد، وعناية تامة؛ لتجهيزها (حنيذًا) لفائدتها الغذائية، ولاسيما للمرأة النفساء، لكونها تقتات على العُشب، والشعاب المرجانية. ويتميز الذكر من الأنثى بوجود عظم كبير وعريض في الزعنفة الشرجي، وللأنثى أصغر منه. ويحتوي رأس الزرية (كورها) على دهون مركزة وعظام هشة، ويفضل شيُّه على الصخر (الفحم)، ومقليًّا مع الفلافل والتمر الهندي (الحومر).

الحقيقة أن ما كان عليه صيادو المناطق الساحلية الأكثر معرفة وخبرة أن الأسماك تتميز فيما بينها كل حسب موسمها المفضل لرقي ذوقها وطعمها الشهي في سمنها؛ فهم يتجهون لتناول أكبر قدر منها خاصة في وجبتي (الغداء والعشاء) ووجبة إضافية بعد الفطور عبر المشواة بالفحم (الصخر) في وقت الضحى، كما هو الحال اليوم



حنيذ الزرية

فقد أصبح العالم كله يتجه نحو تناول الأسماك والأحياء البحرية؛ إذ يتكيف الإنسان اليوم مع مزاياها الصحية حتى أصبحت وقاية وعلاجًا؛ لأن الأسماك تحتوي على مكونات الفيتامينات (a – b – c – d) وخاصة البروتين، والهرمون، والكالسيوم، والفسفور، والحديد، والصوديم، واليود، وإن ما يحتاجه جسم الإنسان من السمك في كل يوم هو بمعدل ٢٥٠ جراماً (ربع كيلو) وما زاد على ذلك فهو أفضل خاصةً في موسمها؛ لكونها تساعد على حفظ توازن الجسم، وضغط الدم، والنوم المريح، ولكونها سريعة الهضم؛ إذ تساعد دهونها تدريجياً في القضاء على الكولسترول، ومنها ما يساعد في علاج المسالك البولية وتفتيت حصوات الكلى، ومنها ما يقلل من خطر إصابة البنكرياس، وتقضي على الدهون المتجمعة حول الكبد، كما يعالج بعض الأسماك أمراض السكر، والتهابات كريات الدم. فالأسماك مصدر غذائي مهم تعوض الإنسان عن نقص المواد التي تحتويها الخضار والفواكه، كما ينصح الأطباء بها وخاصةً (النساء) فترات الحمل؛ إذ يساعدهن على إنجاب أطفال أصحاء.

إن أفضل وجبة يجب تناولها من الأسماك في كبدها (ليكون غذاؤك دواءك). وأهم عوائل الأسماك هي القاعية التي لا تفارق مواقعها إلا فترة التزاوج، ثم تعود إلى مواقعها؛ لترابط بين الصخور (القشار) القاعية ومغاراتها؛ لتقتات على بعض الكائنات الصغيرة حتى تنمو، وتصل إلى الحجم الذي يجعلها تنطلق وتسير أفواجًا حول صورها فتقتات على الهوائم النباتية والشعاب المرجانية، وما يصلها من أسماك بداية الخُلق، والجراد وصغار الربيان وغيرها.

الأسماك القاعية متعددة العوائل، وسأقتصر على الأسماك التي لم تأخذ من اهتمام الكثير من الناس بل التي يجهلون قيمتها الغذائية وفوائدها الصحية، وهي في الأصل أسماك عالية الجودة والفائدة في القيمة الغذائية، مثل



أسماك القلادة، وسمك الشكعة، وسمك القالو، وسمك القصبر، وسمك القربيب، وسمك الخطفة، وسمك باقشيفور، وسمك محليل، وسمك مهليل، وسمك بنت الحاج، وسمك مدية، وسمك قطميم، وسمك شرمط، وسمك كوانة، وسمك باعسيمود، وسمك كوس، وسمك مطليل، وسمك نساعة، وسمك الحداء (المدس)، وأسماك الثمان، وسمك الزرية (صافية)، وسمك الدقان (دزة)، وسمك بشت، وأسماك الجوار، وسمك بابوصي، وسمك باتمرة، وسمك ريدو، وسمك صعباري وهي كثيرة، ومن الأحياء البحرية المحار (البقار).

وللتأكيد على أهمية الأسماك وقيمتها الغذائية وألا يستهان بها بل هي أفضل الطعام وأحسن ما يأكله الناس أن الناس يتغالون في بعض الأسماك؛ لأنها تقتات على محصول راقٍ من لب القواقع والصدف والمحار والدود، وهذه الأحياء التي تعتمد عليها الأسماك القاعية لكونها غنية بالفوائد الغذائية لما تحتويه من بروتين، وهرمون، ويود، وكالسيوم تفيد الإنسان في تقوية العظام، وحفظ توازن الجسم من أي عوائق، وضبط نسبة السكر، وفي علاج ضعف القوة البدنية، وتزيد جسم الإنسان حيوية ونشاطاً، ويقضي تدريجياً على كولسترول الدم، وتنشط الذاكرة، وتقوي حاستي السمع والشم، وعلاج للكسور والرضوخ وآلام المفاصل. ويصنع من بعضها المالح والصفيف والبغزيز لفائدة كلٍ منها.

سمكة عائلة الثمان



ثمان تلبة
thamina tlbha



ثمان / لمية
thamina lamia



ثماد
thamina famana

الثمان ثلاثة أنواع من صيد القشار القاعي الأساسي، المتنقل في عمق ١ – ١٧ باعًا بحريًا، ولكل نوع منها ذكر وأنثى، وتقتات على الأشجار والشعاب المرجانية النظيفة خاصة القطمر (القرمط)، ويتميز الثمان بخزن كميات كبيرة من كل ما يقتاته من العُشب المثمر؛ ليخزنه في بطنه لفترات طويلة. وأفضل موسم لها فصلاً الشتاء والربيع، وذوقه متميز ولذة لحمه المتين عن بقية أنواع صيد القشار. وكيفية حركته (سيره) مميزة، ويتوافر في أماكن العُشب والصدف والطحالب والسيلك النابت، ويبتعد عن المواقع الملوثة (الوسخة). والثمان الطري (الطازج) يفضل عرضه على الهواء الطلق لمدة ٣٠ دقيقة. وأما في موسم فصلي الصيف والخريف فيستغرق أكثر من ساعتين حتى يطلق لحمه ويقل تماسك قشوره بجلده، بعد ذلك يشق بطنه ويوضع عليه الملح ويترك لمدة ١٠ دقائق، ومن ثم يتم إنضاجه بالفحم عبر التنور، ويتوافر الثمان في عمق ٣ – ١٧ باعًا بحريًا، ويتم اصطياده عبر الأقفاص وشباك الجر.

والنوع الأول منه هو ثمان تلبة: وطوله لا يزيد عن ٧٠ سم، وجسمه رمادي ضارب للسواد، وعليه بقع رصاصية منتشرة على جميع جسمه العريض، وموسمه المفضل فصل الشتاء.

والنوع الثاني ثمان لمية: طوله لا يزيد عن ٧٠ سم، جسمه رمادي داكن، وعليه خطوط سمراء بنفسجية وصفراء تمتد إلى الذيل، ويميل إلى اللون الذهبي والرصاصي، وموسمه في فصل الربيع.

والنوع الثالث ثماد: طوله لا يزيد عن ٧٠ سم، وجسمه طويل وأعلاه رمادي غامق، وبطنه رصاصية داكنة، وموسمه من منتصف فصل الربيع حتى منتصف الخريف.

عائلة أسماك الجوار

أسماك الدهام (الجوار) ومنها القيمود من صيد قشار الشاطئ الثابت من عمق ١ ٣ باعًا بحريًا، وشكلها متقارب كثيراً من بعضها، ولكل منها ذكر وأنثى، وموسم تزاوجها ووضع بيضها موزعة على فصلي الصيف والخريف، ويتم اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص والسنارة، ويفضل إنضاجها بالفحم عبر التنور وحسوسها طيب.

Dhaima



دهام 1



دهام 2



دهام 3



دهام 4

النوع الأول: طوله لا يزيد عن ١٥ سم، ولونه بني نيلي، وزعانفه عليها أشواك.

النوع الثاني: طوله لا يزيد عن ٢٠ سم، جسمه ضارب للسواد الداكن، وزعانفه عليها أشواك مرصوصة قبل نهاية الزعنفة الظهرية، والذيل لين، وعلى الزعنفة الشرجية شوكة غليظة.

النوع الثالث: طوله لا يزيد عن ١٥ سم، ولون جسمه أسمر فاتح، وزعانفه مشابهة للنوعين السابقين.

النوع الرابع: طوله لا يزيد عن ٢٠ سم، ولون جسمه أسمر داكن يختلف في أطراف الزعانف من الثلاثة الأنواع الأولى.

أسماك القيمود



أسماك القيمود من عائلة الجوار، وبيئتها واحدة، وهي نوعان:

النوع الأول: طوله لا يزيد عن ١٧ سم، وجسمه بني داكن، وعليه خطوط عرضية لونها رمادي فاتح، وزعانفه لينة، وعلى الذيل خط أسود في شكل زاوية.

النوع الثاني: طوله لا يزيد عن ١٥ سم، وجسمه رمادي، وأعلاه أصفر، وباقي الجسم عليه طهوة صفراء، وخطوط عرضية سوداء، وزعانف لينة ضاربة للزرقة.

وكل نوع منها له ذكر وأنثى، ويسمى في سلطنة عُمان العجيصي سعادة، ويفضل إنضاجها بالفحم عبر التنور، وحسوسها أفضل، وهذه العائلة مهددة بالانقراض والتهجير؛ لكون مواقعها شاطئية تهدم وتردم من قبل المستثمرين.

سمكة عائلة القالو والقصبر والقطميم



قالو أحمر
kalo ahmar



قالو صفار
kalo asafar

أسماك القالو نوعان:

النوع الأول: قالو أحمر، طوله لا يزيد عن ٤٠ سم، جسمه العلوي أسمر ضارب في الاحمرار، وباقي الجسم مائل للون البرتقالي الفاتح، وزعانفه حمراء، وعليه بقعة سوداء تحت الزعنفة الظهرية باتجاه الذيل، وغطاء الفك العلوي للفم ناعم، وعلى وجنة الرأس توجد قشور، وتتوافر من عمق ٣٠ ٣ باعًا بحريًا، ويتم اصطيادها عبر وسيلة شباك الجر والأقفاص والسنارة، وموسمه فصل الخريف.

النوع الثاني: قالو أصفر: طوله لا يزيد عن ٤٠ سم، لونه أصفر فاتح، وظهره بني، وعليه خطوط طويلة رقيقة رمادية غامقة، وبقعة سوداء على الخط الجانبي باتجاه الذيل، وغطاء الفك العلوي للفم ناعم، وعلى وجنة الرأس قشور، وتسمى في عدن حبيراء، وفي دولة الكويت نيسرة حبري، وتتوافر في عمق ٣ ٢٠ باعًا/ جخ/ بحريًا. ويتم اصطيادها بوساطة الأقفاص والسنارة، وموسمه فصل الصيف.



حنجومر
hangumal



قصبر
Ksaber

القصبر: ويسمى حنجومر وفي سلطنة عُمان شويقية طريطرة، وهو نوعان:

النوع الأول قصير أصفر: ويوجد أحيانًا في الأعماق المتوسطة، طوله لا يزيد عن ٢٥ سم، ولونه أصفر من الأعلى، ويميل إلى اللون البرتقالي، وزعانفه صفراء.

النوع الثاني قصبر مخطط: ويتوافر في المناطق الشاطئية، وطوله لا يزيد عن ١٥ سم، لون جسمه أصفر داكن، ومن الأعلى يميل إلى اللون الأسمر، وبطنه بيضاء تميل إلى الفضي، وعليه ثلاثة خطوط رمادية مائلة للزرقة، وزعانفه برتقالية، ويفضل إنضاجها مقلية، كما يتم بالفحم عبر التنور، ويسمى في سلطنة عمان (شويقية، طريطرة)، ويتوافر القصبر من عمق ٣ ٢٠ باعًا بحريًا، ويفضل اصطياده عبر شباك الجر أو بالسنارة.

سمكة قطميم katmem



سمكة القطميم: طولها لا يزيد عن ٤٠ سم، لحمه بنِّي، والجسم مكبوس، لونه العلوي أزرق مائل للاخضرار، وعليه خطوط متوازنة رقيقة على طول الجسم ذات لون بنفسجي فاتح ضارب للاصفرار، وفضي مائل للحمرة ناحية البطن، وزعانفه برتقالية، والعين قريبة من الفم، وهذه السمكة تعرضت للتهجير بسبب التلوث البيئي الذي وصل إلى مراكزها، وتتوافر من عمق ١ ١٧ باعًا بحريًا، ويتم اصطيادها بوساطة الأقفاص وشبك الغدف البري، وموسمه الخريف.



سمكة مرية
ساحلي رملي
maculatnm marih



مرية ساحلي صخرية

سمكة المرية أربعة أنواع، ولكل منها ذكر وأنثى، وتسمى في دول الخليج شعم.

النوع الأول: طولها لا يزيد عن ٢٠ سم، جسمها العلوي رمادي فاتح، والجزء الأسفل فضي يفصلها خط رقيق، وزعانفها الظهرية مرصوصة إلى قرب الذيل، وتتوافر من عمق ١ ٣ باعًا بحريًا.

النوع الثاني: طولها لا يزيد عن ٢٥ سم، على جسمها خطوط طولية صغيرة سمراء مخططة بنقط سمراء داكنة صغيرة، وجسمها فضي، ومنها ذكر وأنثى، وتتوافر من عمق ١ – ٧ باعًا بحريًا بين الصخور الساحلية الرملية والدحس، ويتم اصطيادها بوساطة شباك الجر والغدف والسنارة، ويفضل إنضاجها بالفحم عبر التنور.

النوع الثالث خال المرية: طوله لا يزيد عن ٢٥ سم، وهو من أنواع صيد القشار البياض، المتوافر في بعض الأماكن الصخرية متوسطة العمق، وجسمها رمادي، وعليها خطوط طولية، ولونها ذهبي، وبقعة غامقة سوداء على طرف غطاء الخيشوم مقابلة للعين.



خال المرية/
عمق متوسط
pomadasys muti



النوع الرابع خال المرئية: طوله لا يزيد عن ٢٠ سم، جسمه فضي، وعليه خطوط، ويتوسطها خط بني داكن، وبقعة رمادية فاتحة فوق غطاء الخيشوم نهاية الرأس، وزعانفه شفافة باستثناء زعنفة البطن فهي صفراء، وتتوافر في مياه الأعماق المتوسطة، وموسمها الربيع.



قصعر باغريغرة
kasar



قصعر (حزلق)
kasar hazlig



قصعر
kasar sadieg

القصعر من نوع البياض، ويمر بأطوار ومراحل خلال فترات النمو، لينتقل إلى مواقع متوسطة من ٣ – ٢٠ باعًا بحريًا، يتراوح طوله من ١٥ – ٥٠ سم، وعندما يتجاوز ذلك المقاس يصبح أسماكًا مفترسة، ويحمل أسماء (طمكري، شرام، سهاي)، وتهاجم الاسماك الصغيرة وخاصة السردين، ويتم اصطيادها بوسيلة شباك الجر، وأفضلها بالسنارة.

النوع الأول قصعر: طوله لا يزيد عن ٢٥ سم، ويوجد في المواقع الرملية الساحلية، وجسمه العلوي رصاصي مائل للزرقة وأسفله فضي لماع، والزعنفة الظهرية والذيل صفراوان وأطرافها سوداء، والزعنفة الصدرية الشرجية والبطنية صفراء، وإذا كبر سُمِّي قصعر باغريغرة، طوله لا يتجاوز ٥٠ سم حتى يصل طمكري.

النوع الثاني قصعر حزلق: طوله لا يزيد عن ٢٥ سم من صيد البياض المخلوط الذي يعيش بين الصخور والسواحل الرملية، لونه رمادي يميل إلى الذهبي، وقشوره داكنة مائلة للسواد، ويتوسطه خط غليظ بقشور قوية، وعليه بقعة سوداء على حافة الغطاء الخيشومي، والكبير منه يسمى قصعر سهاي.

النوع الثالث قصعر صديق: طوله لا يزيد عن ٤٠ سم، ويعد من صيد البياض المخلوط الذي يعيش على السواحل الصخرية الرملية، وعندما يكبر يتحول إلى قصعر دفين وآخر الى قصعر صديق، لون جسمه فضي ضارب في الزرقة، وقشوره داكنة، ويتوسطه خط غليظ بقشور قوية، وعليه بقعة سوداء وخط على حافة الغطاء الخيشومي، وكلها عندما تكبر تتحول إلى الأعماق المتوسطة لتصبح أسماك الشرام، يفضل إنضاجها بالفحم عبر التنور أو مقلية مع البهارات، وموسمها فصل الشتاء.



مشط MUSHIt



مشط دعلك MUSHIT

سمك المشط نوعان، ولكل نوع منها مذكر وأنثى، وتوجد في عمق ٣ ١٧ باعًا بحريًا، ويتم اصطيادها عبر شباك الجر أو السنارة.

النوع الأول مشط دعلك: طوله لا يزيد عن ٥٠ سم، لون جسمه رمادي فاتح ضارب في الزرقة، وعليه بقع مصفوفة مع خطوط عرضية رقيقة، وكلها لا تصل إلى البطن الفضية الفاتحة.

النوع الثاني مشط طوله لا يزيد عن ٤٠ سم، لون جسمه أبيض فضي لماع، وعليه خطوط رقيقة عرضية، أطراف زعانفه فضية، وأطرافها بنية فاتحة، ويوجد في المواقع الصخرية الساحلية، وموسمه في منتصف فصل الربيع والخريف كله، ويفضل إنضاجه بالفحم عبر التنور.



حذر – أبو قشار
abo gashar hader



حذر/ قريصه hader



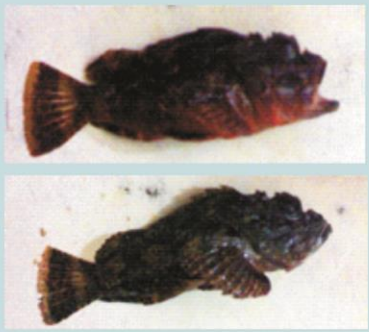
حذر (جمل) hader

أسَماك الحدور أحد عشر نوعًا، وأشكالها متقاربة في مجملها، ولكل منها ذكر وأنثى، وتتوافر بين شقوق الصخور القاعية الشاطئية، وأشكالها متقاربة مع اختلاف ألوانها، وتُعد من عائلة (الهامور)، وعندما تكبر تنتقل إلى الأعماق المتوسطة من ٣ – ٧٠ باعًا بحريًا، وقليل منها تتوحش لتستقر في الأعماق، وجسمها جميعها مغطًّى بكثير من النقاط البنية المعتمة، ولها قشور صغيرة بعضها مائلة للسواد، وأخرى للسمرة، وجميع أنواع الحدور لها فم واسع وكبير مع أسنان مصفوفة على الفكين، والأسفل طويل، وعليه ثلاث شوكات على الغطاء الخيشومي، ونقتصر الحديث على ثلاثة أنواع منها.

النوع الأول يسمى (أبو قشار): طوله لا يزيد عن ٤٠ سم، جسمه أسمر داكن، وتنتشر على جسمه نقط بنية، والجزء الأخير من جسمه عليه خطوط عرضية متعرجة حتى نهاية الزعنفة الذيلية التي لونها رمادي، ومن خصائصه الالتواء وسرعة الاختفاء بين الصخور خاصة عند اصطياده في القشار.

النوع الثاني حدر قريصة: طوله لا يزيد عن ٥٠ سم، ويتوافر أحيانًا في العمق المتوسط، لونه أسمر فاتح، عليه نقط برتقالية فاتحة منتشرة على الجسم ومائل للرمادي ناحية البطن.

النوع الثالث حدر جمل: طولها لا يزيد عن ٥٠ سم، جسمه أسمر غامق، وعليه نقط برتقالية معتمة منتشرة على الجسم ناحية البطن، ويتميز ذكر الحدر من خلال وجود علامة سوداء صغيرة (دقيقة) في مقدمة العظم التناسلي ضمن عظام الزعنفة الشرجية، وجميع أنواع الهامور معرضة للتهجير بسبب الردم والهدم في المواقع الصخرية والشاطئية التي تتكاثر وتتوالد فيها.



كوبل
cobal

سمك الكوبل اللاسع، طوله لا يزيد عن ٣٥ سم، ويوجد بين الصخور والشقوق ليحتمي بها، ويسمى في سلطنة عمان (ديك سمان الجن)، الجسم أملس والزعانف لينة، وعلى الزعنفة الظهرية والخياشيم أشواك لاسعة، وعلى الجزء العلوي من رأسها تقطعات عدة، وعليها أشواك صغيرة وقوية لاسعة، وإجمالي الأشواك اللاسعة التي بجسم الكوبل ١٣ شوكة لاسعة، ويتميز الذكر عن الأنثى بطوله، وتحتوي على قليل من اللحم، ويسهل اصطيادها رغم أنها سريعة الهروب والاختفاء بين الجحور الصخرية، وتعيش مع ثعابين البحر (الرقش) وربوح القشار، وأصبحت اليوم معرضة للانقراض.

عائلة سمك القربيب

سمك القربيب، ويسمى في سلطنة عمان (الزاند قرقوب أبيض)، وفي باقي دول الخليج شعرم حماره، ويتميز القربيب بجلد غليظ وقوي (عبارة عن صفيحة)، وعند اصطياده يمضي وقتًا طويلاً بين الحياة والموت، ويتأثر عند

شدة برودة مياه البحر في فصل الخريف ونفوق بعضه، وأحيانًا ينفق من أي تقلب مائي يقلص نسبة الهواء عليه في الماء، وتتميز عائلة القربيب عن بقية الأسماك بسيرها إلى الأمام، وعندما تشعر بالخطر تتراجع إلى الخلف؛ لكونها تمتلك القدرة على حركة دوران الزعنفتين الصدرية.

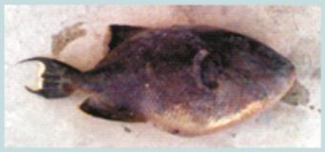

قربيب
karbeb


قربيب ثعلب
thalab karbeb


فم القربيب

النوع الأول قربيب: طوله لا يزيد عن ٤٠ سم، لون جسمه أصفر فاتح، وعليه طهوة رمادية تميل للسواد حول الفم، أما البطن ففاتحة اللون، وعلى الخيشوم خط ذهبي فاتح ممتد من الفم إلى قرب الزعنفة الصدرية، وله أسنان بيضاء متراصة وقوية.

النوع الثاني قربيب ثعلب: طوله لا يزيد عن ٤٠ سم، لونه ذهبي ضارب في البرتقالي وعليه طهوة رمادية داكنة ناحية الظهر، وجزء كبير من الذيل والبطن أبيض اللون، يوجد خطان أسود وآخر أزرق فاتح، يمتدان من عند العين إلى ما بعد الزعنفة الصدرية، ويلتصقان بخط آخر لونه أسود يمتد فوق الفم، وتوجد به ثلاثة خطوط سوداء مرتبطة بأربعة خطوط بيضاء ما بين الزعنفة الشرجية وقليل من الظهر تصل قرب الذيل الشفاف، ومقدمة فمه صفراء، ويحتوي على أسنان بيضاء متراصة وقوية، وهذا النوع وجدناه داخل حوض فندق رمادا بالمكلا في نجم الفرغ من فصل الخريف، وموسمه فصل الربيع، ويسمى في سلطنة عمان بيكاسو.


قربيب
karbeb


قربيب فنطاس
karbeb fntas

النوع الثالث قربيب: طوله لا يزيد عن ٣٠ سم، ويعد من صيد القشار، لونه ذهبي والظهر ضارب في السواد، يوجد به خط ذهبي تحت الفك السفلي للفم، أسنانه حمراء، وزعانفه رمادية ضاربة في السواد.

النوع الرابع قربيب فنطاس: ويسمى في عدن ثعلبًا، طوله لا يزيد عن ٥٠ سم، جلده أسمر داكن، وأسفله فاتح، على ظهره عظم قوي، وله طرف طويل في الجزء العلوي وآخر قي الأسفل من الذيل، وأسنانه بيضاء، ويفضل طبخه كبسة بالبهارات بعد سلخ جلده أو بالفحم من غير سلخ.


قربيب باقريضون
karbeb ba gredon


قربيب باسينم
karbeb ba sanim

النوع الخامس قربيب باقريضون: طوله لا يزيد عن ٣٠ سم، ويسمى في عدن حار، وجسمه أسود، وزعانفه سوداء، وأسنانه حمراء، وله خط رقيق أغبر مائل للزرقة.

النوع السادس قربيب باسينم (باسيلم): طوله لا يزيد عن ٢٠ سم، لون جسمه سماوي غامق ضارب في الزرقة،

وجلده غليظ، ويحتوي على قليل من اللحم . ويتعرض دائماً للنفاد لكونه يتأثر ببرودة مياه البحر خاصةً في فصل الخريف. ومن فوائد تكاثر عائلة القربيب في المواقع الشاطئية والأعماق أنه يساعد على استقرار أسماك الثمد والطرناك والغودة والخلخل (الهامور) والخوضر وغيرها من الأسماك والأحياء البحرية.

عائلة الزرية







زرية / saifea zary خال الزرية zaryh

سمك الزرية وأصغرها سليّب، وهي أربعة أشكال، ولا يوجد فيها أي اختلاف إلا في نوع واحد اسمه خال، شكله أطول، وجميعها يسمى صافية، وتُعد من صيد القشار المرجاني، وتتوافر في عمق ٣ ١٧ باعًا بحريًا.

النوع الأول زرية: طولها لا يزيد عن ٣٠ سم، جسمها العلوي والبطن بني داكن، والجوانب والصدر رمادية، والجزء الكبير من الزعنفة الظهرية عليه أشواك لاذعة، وكذا الزعنفة البطنية، والجزء الأخير من الزعنفة الشرجية، وزعنفة البطن، أما الزعنفة الصدرية والذيل فلينة.

النوع الثاني خال الزرية: طوله لا يزيد عن ٥٠ سم، وجسمه مغطًّى ببقع زرقاء دائرية غير متجانسة، الجزء الكبير من الزعنفة الظهرية عليه أشواك لاذعة، وكذا الزعنفة البطنية والجزء الأول من الزعنفة الشرجية، وأما الزعنفة الصدرية والذيل فلينة، وتسمى في عدن زيزان، وفي دول الخليج تسمى صافي سجال، وموسمها فصل الربيع.



عبد الزرية
zaryh



زرية / سليّب
zaryh salib

النوع الثالث عبد الزرية: طولها لا يزيد عن ٣٠ سم، رأسها مضغوط، وجسمها بني داكن ضارب في السواد، ويتقلب بلون الصخور، وعليها بقع زرقاء منتشرة وغالبها قرب الذيل، الجزء الكبير من الزعنفة الظهرية عليه أشواك لاذعة، وكذا الزعنفة البطنية والجزء المتقدم من الزعنفة الشرجية، أما الزعنفة الصدرية والذيل فليِّنان.

النوع الرابع زرية سليّب: طولها لا يزيد عن ٢٠ سم، جسمها فاتح بلون مخلوط الرمادي والرصاصي، الجزء الكبير من الزعنفة الظهرية عليه أشواك لاذعة، وكذا الزعنفة البطنية والجزء المتقدم من الزعنفة الشرجية، أما الزعنفة الصدرية والذيل فلينة، وكلها لها أشواك لاذعة في أطراف زعانفها وخاصة الظهرية والبطنية، وذوقها جميعها في رأسها (كورها) الهش بعد إنضاجه على الفحم وأحشائها (كراشها) من خلال إنضاجها في وعاء، وهذه الأنواع كانت متوافرة بكميات كبيرة في غالب مناطق ساحل حضرموت ولكنها تعرضت للتهجير بسبب التلوث البيئي وهدم مواقعها، وموسمها على مدار العام وخاصة فصل الصيف.

47
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

المادة التاريخية والاثنوغرافية عن المشقاص

في كتابات المستكشفين الأوروبيين لحضرموت

في القرن التاسع عشر الميلادي

(٢ - ٢)





باسل عبدالرحمن محمد باعبَّاد

٢- ملامح الأوضاع الاجتماعية والسياسية في القرن التاسع عشر الميلادي:

أ- القبائل المشقاصية الواردة في كتابات الأوروبيين:

لم تذكر الكتابات كل قبائل المشقاص، ولكننا نجدها جميعها أشارت إلى الحموم، وذلك لبروزهم قوةً قويةً ذات وجود فاعل على أرض الواقع، وذات تاريخ عريق من الصراع مع الدول القائمة، ومع القعيطيين الذين كانت أغلب هذه الزيارات الاستكشافية في عهدهم. ويجري في أغلب الدراسات وصف مقدَّم الحموم بالسلطان كما عند هيتر ومايبل بنت، وفي عهد زيارة هيتر عام ١٨٣٧م كان سلطان قبيلة الحموم الشيخ علي بن ناصر، وهو شاب يافع تحت سن ٣٠ سنة، ومتميز ومتفوق على أغلب القادة العرب، بوسعه قيادة ٧٠٠٠ من المشاة في حالة حدوث حرب، وتنقسم قبيلة الحموم على بيت علي، وبيت غراب، وبيت شنين، وبيت القرزات، وقبائل أخرى، وتم تدوين أسمائها التي هي بحاجة إلى التصحيح كما يبدو(٧٠).

وتقطن قبيلة الحموم والتابعين لها على طول الساحل المشقاصي، وبيت علي جزء من الحموم، ومقدمهم حينذاك حسن بن علي، وهو رجل قوي وشجاع ويقود ألفًا من المشاة، وهي قوة كافية لجعل خصومه والمناطق الضعيفة المجاورة له في حالة رعب وتخوف دائم منهم، ويوجد من بيت علي وبيت غراب ٣٠٠ في منطقة قصيعر(٧١). وعلى الأرجح أن هيتر كان يشمل بهذا العدد سكان قصيعر مع عسد الفاية والمخرج من بيت علي وبيت غراب، وكما نرى أن هيتر شملها بقصيعر نظرًا لمحورية قصيعر وأهميتها المركزية بالنسبة لهذه القرى.

ويرِد وصف بيت غراب عند هولتون وسميث أنهم إحدى أقوى قبائل الحموم ومن أكثرها عددًا، وعند سؤال أحد أفراد هذه القبيلة عن أصل اسمهم أفاد أن أجدادهم قدموا من منطقة حصن غراب، ويفترض هولتون وسميث أنه إذا صحت هذه الروايات فيمكن أن نستنتج أن بيت غراب هنا هم فرع من قبيلة أخرى هناك، ولعل خصوبة هذه الأرض هي ما جذبهم للعيش فيها(٧٢).

كما كان لأحد مقادمة الحموم المتأخرين دور تأمين رحلة ثيودور بنت وزوجته ورفاقهم، وكان يلقّب بـ(سلطان الحموم)(٧٣) أو (زعيم الحموم)(٧٤).

وتوجد إشارات إلى قبائل أخرى لم يتم التصريح بأسمائها، فمثلًا عند مرور الزوجَين بنت والمقدَّم ابن حبريش ورفقتهم على سرار صادفهم رجلٌ ارتعب من رؤيتهم، وعلى الفور شرع يشعل ناره ويستعد ببندقيته وترك الممر باحثًا عن مخبأ، ولكن المرافقين صرخوا: "مالذي ينفعك عمله؟ أنت واحد ونحن كثرة، وفوق ذلك نحن لا نقصد إيذائك". لذا تقدم الرجل "وكان هناك ضحك كبير على الرجل ومعه"(٧٥). ولم توضِّح الكاتبة هل الرجل من سرار أو كان عابر سبيل، وعلى الأرجح أنه من سكان منطقة سرار ومن قبيلة الغتنيني المتمركزة فيها.

كما أشار هولتون وسميث إلى أن رحلتهما نحو وادي معوك وشخاوي قام بتأمينها بدو من قبيلة المناهيل(٧٦)، ولعلهم كانوا من سكان المصينعة أو إحدى القرى القريبة منها، تم الاستعانة بهم بعد دراسة آثار المصينعة.

ب- الكيانات الحاكمة في المشقاص خلال القرن التاسع عشر الميلادي:

١- الكسادي في الديس ١٨٣٦م:

في حديثه عن الديس سجَّل هيتر في تقريره أنه في عام ١٨٣٦م كان الدولة أو الحاكم اسمه (Aiwas ibn Ahmed)(٧٧)، ولعل الاسم محرَّف من (عوض)، لكن الحاكم الشرعي للمدينة يومها كان هو محمد بن عمر بن عمر الذي كان مالك وكابتن سفينة، وهو الأمر الذي يفضله على حكومة غير مستقرة(٧٨).

ومعلوم تاريخيًّا أن أسرة حسن بن صلاح الكسادي كانت تحكم الديس في ضمن نطاق الحكم الكسادي لمنطقي الحامي والديس(٧٩)، وارتبط أفراد هذه الأسرة بالبحر، وبرز منهم ربابنة بحريون مثل سالم بن صلاح الكسادي الذي كان يتردد بسفينته الشراعية على ميناء المكلا واستقر فيها، ثم أنشأ ابنه أحمد فيها الإمارة الكسادية عام ١١١٥هـ/١٧٠٢م(٨٠)، مثلما رأينا عند هيتر أن محمد بن عمر بن عمر حاكم المدينة ومالك وقائد سفينة كذلك.

٢- الكثيري في الريدة وقصيعر ١٨٣٦م:

يصف هيتر الريدة بأنها مدينة صغيرة يقطنها حوالي سبعمائة من السكان على الساحل البحري، وهي محل إقامة السلطان علي بن عبدالله المنحدر من إحدى العوائل الحاكمة في جنوب الجزيرة العربية، والشيخ الحالي هو رجل يبلغ نحو الخمسين من العمر، يحظى باحترام واسع، ويرأس الأرض الممتدة من رأس باغشوة إلى المصينعة، على امتداد يقارب ٣٥ ميلًا على ساحل البحر(٨١)، ولكن الكابتن هيتر بالرغم من توقفه في قصيعر ودراسته لها لم يشر إلى أي وجود سياسي للكثيري فيها، ولم يصف حصنًا فيها، بقدر ما كان مركزًا بقوة على الوجود الحمومي فيها، ولكن هذا لا يمنع من ذلك، فهو ربما اكتفى بالإشارة إلى وجود حاكم واحد مقرُّه الريدة يؤول إليه حكم المنطقة التي حددها هيتر بين رأس باغشوة والمصينعة.

٣- القعيطي في قصيعر ١٨٩٣- ١٨٩٤م:

اختلف الوضع عما هو عليه في قصيعر بين عهد زيارة هيتر ١٨٣٦م وزيارتي هيرش وبنت ١٨٩٣- ١٨٩٤م، فقد أضحت قصيعر تحت حكم القعيطي(٨٢)، وشهدت تغييرات في الجانب العمراني العسكري، وصارت محطةً بارزةً ومنطلقًا لهؤلاء المستكشفين الأوروبيين في رحلاتهم.

عندما زار ليو هيرش قصيعر عام ١٨٩٣م كان الحاكم في قصيعر آنذاك هو الشاب ناصر بن عمر بن عوض القعيطي(٨٣). وعند زيارة الزوجين ثيودور ومايبل بِنت إلى قصيعر في ظل حماية مقدم الحموم ابن حبريش الذي وصفاه في الكتاب بلقب (سلطان الحموم) وهو من ألقاب مقادمة الحموم المنحدرين من قبيلة بيت علي بيت السيادة في الحموم، وهذا يدل على أنه في ذلك العام كان بين الحموم والقعيطي صلح ومسالمة وليس عداءً وحربًا كما كانت علاقتهم مدة من الزمن- كان حاكم قصيعر رجلًا مسنًّا لم تذكر بنت اسمه، ولكنها ذكرت أنه كان

مسنًّا نحيلًا ملتحيًا شبيهًا بالدون كيخوته، ويصبغ شعره الخفيف ولحيته بالحناء الأحمر، وهو يشغل منصب الحاكم منذ خمس سنوات، وأعيد تعيينه الآن بناءً على طلب المدينة(٨٤). وهذا يدل على أنه كان متوليًا قصيعر ثم عُزِل، ثم أُعِيد تعيينه في المنصب بناءً على طلب أهل المدينة ثانيةً، وهذا يفسر كيف أنه في السنة السابقة عندما وفد ليو هيرش إلى قصيعر كان حاكمها هو الشاب ناصر القعيطي، الذي قد يكون ولي قصيعر بدلًا من الحاكم المسنِّ الشبيه بدون كيخوته بتعبير بنت، ويبدو أن الحاكم قدم قصيعر في وقت زيارة بنت ورفاقه، ويتضح ذلك من سياق حديث بنت عن الحاكم في العبارات الآتية: "وأعيد تعيينه الآن"، و"أتى بعض الأشخاص لِلِقائه عند الصخرة [على مشارف قصيعر]، وبعضهم بقي في المدينة، وبعضهم ظهر على قمم الأبراج" وقوله: "انشغال الحاكم اللطيف المسن بسبب استقباله من قبل أصدقائه الفرحين القدامى"(٨٥)، وكل هذه العبارة تدل على أن الحاكم وفد إلى قصيعر بعد إعادته للمنصب في زمن زيارة بنت.

ج- العمارة المدنية والعسكرية في مدن المشقاص بالقرن التاسع عشر:

لم ترِد كثيرٌ من المعلومات في جانب التكوين والعمارة المدنية والعسكرية لمدن المشقاص في القرن التاسع عشر الميلادي، لكن وردت إشارة في تقرير هيتر عام ١٨٣٦م أن الديس كانت حينذاك مدينة مسورة (٨٦)(Walled town)، ولم تأت تفصيلات عن هذا السور والحصون التي تتصل به، والحاجة ملحة للتأكد من هذه المعلومات ودراسة بقايا آثار هذا السور إن كانت معلومة هيتر صحيحة بالفعل.

أما قصيعر في زمن زيارة هيتر فلم تكن سوى مجموعة قليلة من البيوت(٨٧)، بيد أنَّها شهدت تطورًا ملحوظًا في الجانب العسكري خلال ستة عقود من تاريخ زيارة هيتر، وأعني بالذات العمارة العسكرية التي طرأت عقب سيطرة القعيطي عليها في أواخر ١٢٨٨هـ(٨٨) أو ١٢٩٤هـ(٨٩)، وقبل نزول هيرش إلى قصيعر عندما كان على ظهر السفينة كان يرمق منازل قصيعر البيضاء، ويذكر أنه بالقرب من ساحل البحر حصن ذو شكل مربَّع، وعلى مسافة أبعد توجد مبانٍ بيضاء مشابهة، وعندما قدم هيرش تلبيةً لدعوة الحاكم ناصر بن عمر بن عوض القعيطي مرَّ بحصن كبير ووصل عبر بوابة في سور المدينة، واطلع من غُلب الحصن على المدينة التي تحاط أفنية منازلها الطينية بسعف النخيل(٩٠).

والمدينة محاطة بسور من الطين تتخلله بعض الحصون، وأبراج طينية مستديرة لحراسة زوايا المدينة وُصِفت بأنها غير متقنة الصنع، وتسمى هذه الأبراج في قصيعر (النُّوب) نسبةً إلى نوبة الحراسة، وهي المدة التي يقضيها الحارس في عمله(٩١)، ويتم المرور عبر (السدَّة) المبنية على هيئة قلعة(٩٢).

وجاء في وصف الزوجين بِنت لقصيعر حين زيارتها عام ١٨٩٤م أنها تتموضع على نقطة صغيرة، وتبدو للناظر من الغرب أنها ذات أربع زوايا ومحاطة تمامًا بسور يوحي مظهره مع الأبراج والقلاع بالهيبة، لكن الحقيقة التي أدهشت المستكشفين أن الجانب البحري مكشوف ولا يوجد به سور، ما عدا أربعة أبراج متباعدة عن بعضها(٩٣)، وهذه الأبراج تسمى في قصيعر (النُّوب).

يلاحظ أن هيتر لم يشر إلى وجود سور حول قصيعر كما أشار إليه الزائرون اللاحقون كما سنرى، وهذا ربما يعطي احتمالًا أن السور شيده الحكام القعيطيون لاحقًا، بمعنى لم يشيده الكثيريون أو غيرهم.

ثانيًا: المادة الإثنوغرافية في كتابات المستكشفين الأوروبيين عن المشقاص

يُعرف علم الإثنوغرافيا (Ethnography) بأنه "الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة"(٩٤)، وتهتم بمظاهر السلوك من عادات وتقاليد، وتصف ثقافة الشعوب وأنماط معيشتهم، ومنذ القدم تزخر كتب الرحَّالة بالمعلومات الإثنوغرافية(٩٥)، لكن كتب الرحَّالة يغلب عليها طابع أدب الرحلات ومذكرات السفر اليومية، وعلى سبيل المثال كتاب البريطانيَّين ثيودور ومايبل بنت، نجد أنه تم التركيز فيه على رصد مذكرات السفر واليوميات، ولم يتم إيلاء الجانب الإثنوغرافي اهتمامًا خاصًّا(٩٦). والأديب الرحَّالة إثنوغرافي في ظاهره، يتفقد البلدان والمواضع، ويصف ما يتأثر به من مشاهد، وما تلاحظ عينه من عادات البلدان التي يزورها، بأسلوب تعبيري فني في نقل المحسوس والموجود، لكنه مفتقر

إلى العلمية والصرامة في الملاحظة، على خلاف الإثنوغرافي المتخصص الذي يتسلح بالأساليب العلمية ويسخّر العلوم المختلفة في دراسته الموضوعية، ولكنه لا يتقن التعابير والأساليب الإبداعية كما يفعل الرحّالة(٩٧).

لذلك تأتي محاولتنا في استخلاص المادة الإثنوغرافية المبثوثة في صفحات هؤلاء الرحالة، وترتيبها وتصنيفها، وهذه المادة المستخلصة تعرض لنا النتائج الأساسية لدراسة إثنوغرافيا المشقاص في القرن التاسع عشر الميلادي، والتي تشكل في رأينا منطلقًا رئيسًا لدراسة إثنوغرافيا المشقاص المعاصر.

١- المجتمع المشقاصي والثقافة:

أ- المأثورات الشعبية عن التاريخ:

لم تخلُ كتابات هؤلاء المستكشفين من ذكر بعض المأثورات الشعبية، والتي اتخذ بعضها الطابع الميثولوجي، وبعضها أقرب إلى الواقع وما يزال يتوارث حتى الآن.

نقل ليو هيرش عام ١٨٩٣م أن في معبر حصنًا شيَّده (الكفَّار)، وبعض الآبار من عهدهم(٩٨). وفي السنة اللاحقة ١٨٩٤م نقلت مايبل بنت إخبارية أخرى، تقول إن الحصن أسهمت (الجن) في تشييده، ويوجد حجر مرمي على الطريق، ويروى أن جنيًّا أحضره من الخارج، فاستوقفه جنيٌّ آخرُ، وقال: "لماذا تجلب الحجارة بينما تم الانتهاء من بناء الحصن؟"، فغضب وأوقع الحجر على الطريق، ويبدو أن الحكاية قد أفزعت مايبل بنت التي أكدت أن دخولهم للحصن كان تهوُّرًا: "تصرفنا بتهور على نحو كبير بدخول هذه الآثار، حيث لم يدخل إليها أحد على قيد الحياة الآن قبلنا، إن المبنى مسكون من قِبل الجني، وإذا قام أحد بالدخول فإنه لا يستطيع الخروج من الباب نفسه"(٩٩).

لعل الناس في ذلك الحين كانوا يمتنعون عن دخول هذا الحصن الخَرِب، وأن الزوجَين بنت قد كسرا هذا الحظر، وأخافهم هذا لدرجة أن مايبل وصفت نفسها بالمتهورة إثر إقدامها على دخول الحصن.

ولا يستبعد أن هذه المروية الأسطورية نشأت تأثُّرًا بقصص القرآن الكريم التي تتحدث عن تسخير الله الجن لنبيه سليمان، وتذليلهم له ليخدموه ويشيدوا القصور والصروح الممردة من القوارير، أو قد تكون متأثّرة بقصص تشييد الجن لقصر شداد بن عاد، أو مقتبسة من إحدى مدونات القصص العربي التي تعج بحكايات الجان والسحر الخيالية(١٠٠)، فاستعار القدماء من هذا الفضاء السردي الجنَّ أبطالًا لقصة تشييد هذا الأثر العظيم.

ولنلاحظ اليوم أن لا أحد يذكر أن الجن شيدوا الحصن، بل كل الروايات تقول إن الفرس أو الكفار هم من بنوه، وهو الكلام نفسه الذي سجله ليو هيرش كما أسلفنا، ولم تفصح مايبل عن مصدر هذه المعلومة، وهل هو شخصية من داخل البلاد أو من خارجها.

وروى ربان السفينة التي كان ليو هيرش على متنها أنه توجد في شرمة صهاريج لخزن مياه المطر ترجع إلى عهد بائد، ولم يخبره من شيَّد هذه الخزانات، لكن في رحلة إيابه أخبره ربان مهري أن هناك حصنًا يسمى (حصن الإفرنجي)(١٠١)، فهذه من الإخباريات التي تشير إلى وجود آثار للفرنجة في مناطق حضرموت، لهذا علَّق ليو هيرش: "ولا ريب في أنه يمكن تمامًا التصديق أن المستعمرين البرتغاليين لم يفرِّطوا في مرفأٍ آمنٍ بهذا القدر"(١٠٢). على أنه لم يؤكد من مصادره أن البرتغال كانوا فعلًا قد شيدوا حصنًا في شرمة، بالرغم من أن التاريخ الحضرمي يسجل هجماتهم على السواحل الجنوبية العربية.

وذكر هولتون وسميث أن بيت غراب يتحدثون عن قدوم أجدادهم من منطقة حصن غراب، واستقرارهم في هذه المنطقة(١٠٣).

ب- العادات والتقاليد:

١- القهوة:

عندما استُقبِلَ ثيودور ومايبل بنت ورفاقهم في الحامي قُدِّمَت لهم القهوة(١٠٤)، وفي عموم المشقاص تعد القهوة ثيمةً للكرم ورمزًا لإكرام الضيف يُبادر به قبل تقديم الطعام له، ولما كان بنت ورفاقه في قصيعر قُدِّمَ لهم (الحالي)(١٠٥) الذي سنتحدث عنه بعد قليل.

٢- إكرام الضيف:

ويمكن أن نلتمس كرم المشقاصيين وجودهم من خلال بعض الحوادث، مثل الاحتفاء بالرحَّالة وإكرامهم وتقديم أحسن الضيافة لهم، كما نلاحظ عندما استقبل قائم قصيعر الزوجَين بنت(١٠٦)، أو عندما استضافهم رجل مسن عند عودتهم إلى الريدة(١٠٧)، أو كما نجد عند هيرش الذي أرسل خادمه لكسب الصيد فأتاه بحوتٍ كبيرٍ لم يدفع مقابله أي شيء(١٠٨). ونجد هذه العادة موجودة حتى اليوم، إذ يعطي

الصيادُ مستقبلِيه صيدًا، ويسمي ذلك (حق السلامة)؛ شكرًا لله على نعمة السلامة.

٣- التعشير: الاستقبال بالبنادق:

عند وصول الزوجَين بنت ورفاقهما إلى قصيعر تعالت صرخات البنادق احتفاءً بقدومهم، هذه الطريقة لفتت نظر الكاتبة بنت فسجَّلتْها، وكانت صرخات البنادق تجلجل في السماء كلما مرُّوا بمدينة، أو على قمم الأبراج وافرة العدد في قصيعر؛ برهانًا على الابتهاج والاحترام للزوجين بنت ورفاقهم رفيعي المقام كسلطان الحموم ابن حبريش الذي يركب مطيته حارسًا مرافقًا للوفد(١٠٩). وما يزال التعشير مستمرًا حتى اليوم، ويستخدم في استقبال الضيف، أو الابتهاج بقدوم المسافر، أو لإعلان ولادة مولود، أو للإعلام بقدوم سيل في الوادي. على أن اللافت في حديث بنت قولها: "ولم تكترث حيواناتنا البتة"(١١٠). فهذه الحيوانات معتادة على سماع أصوات البنادق؛ لوجودها في محيط يعد الرصاص أحد لغاته الدائمة، وربما شاركت بعضها في المعارك، لذا لا تكترث لسماع صرخات البنادق.

ج- الطب الشعبي:

وردت ملاحظة وحيدة عن الطب الشعبي أوردها ليو هيرش، بالرغم من أنه صنفها بأنها عادة تجميلية، فقال: "سكان قصيعر لديهم عادة تجميل وجوههم عن طريق الحز، تشكل ثلاث ندوب عمودية طولها ثلاث بوصات على كل خد علامة الموطن، ولكن المرء يُزيِّن الذقن والأنف والجبين على غرار ذلك أيضًا"(١١١). وهذه الأخاديد العمودية الثلاثة في كل خد تسمى الفشاط، جمع فَشْط، وتستعمل قديمًا للوقاية من بعض الأمراض، ويفشطون منذ هم أطفال، وما يزال كثير ممن تم فشطهم على قيد الحياة، ويؤكدون أن الفشط كان نوعًا من الطب الشعبي وليس تجميلًا كما ظنَّ هيرش.

٢- مكونات النظام المعيشي:

أ- المساكن:

وصف هيتز عام ١٨٣٦م قصيعر بأنها قليلة المنازل وأغلب البيوت من الأكواخ(١١٢)، أما ليو هيرش عام ١٨٩٣م فقد وصف منازل قصيعر بأنها بيضاء تلوح له من البحر، ويبدو أن اللون الأبيض كان هو ما يميز الحصون عن البيوت الطينية الأخرى(١١٣)، وكانت البيوت الطينية تحاط أفنيتها بسعف النخيل(١١٤)، أما البدو فقد وردت الإشارة إلى منازلهم عند بنت ١٨٩٤م، أنهم كانوا يستخدمون الخيام، وذكرت بنت أن بيوتهم كانت من أبسط ما رأت في حياتها: "أربع بقع فقط ملتصقة في الأرض مع سطح من الحصر لمنح مأوى من الشمس، وعلى هذا السطح يقومون بتعليق أدوات المطبخ"(١١٥).

ب- الأزياء والزينة:

وفي الديس سجلت مايبل بنت أنها لاحظت مَنْ كانوا يضعون حول أعناقهم جوزة هند، وذلك بقولها من ضروريات التزين(١١٦). ولا ندري لعل ذلك كان نوعًا من الموضة في ذلك العصر. كما سجَّلَتْ أنَّ معظم السكان في الديس يفضلون العمامات القطنية ذات النقوش المربعة وأقمشةً خضرًا، وهذا ما أراح بصرها أكثر من اللون النيلي الذي كان أغلب السكان يلبسونه حينذاك(١١٧).

وكان حاكم قصيعر المسن وقت زيارة بنت يصبغ شعره ولحيته البيضاء بالحناء، لتأخذ اللون الأحمر(١١٨).

ج- الطعام:

عندما استُضِيفَ ليو هيرش في الحامي قُدِّمت لهم وجبة أرز ولحم(١١٩)، وهي وجبة مشهورة اليوم على نطاق حضرموت والجزيرة العربية عمومًا.

وذكر هيرش من مأكولات أهل القرى الساحلية (العَيْد) و(اليدُب)(١٢٠)، وهي أسماك صغيرة ولذيذة، وأنه عندما كان في ضيافة الحاكم ناصر القعيطي في قصيعر، ذبح لهم معزة، وأعطى خادم هيرش لحمًا وخضروات ليعد وجبةً لهيرش يتناولها منفردًا(١٢١)، وتوجد في ذلك الوقت مزارع في المنازح فيها أصناف الخضروات كما سنتناول لاحقًا.

وذكرت مايبل بنت أن من مأكولات البدو العصيدة، وشاهدت امرأة بدوية تغلي قدرًا من العصيدة، وأخرى كانت تقلي سمكةً على عصا، وأخرى تطحن الحبوب على الحجر(١٢٢). وهذا الحجر يسمى في المشقاص (المرهاة)، وهي لفظة قريبة من لفظة (الرحى) الفصيحة.

وذكرت مايبل بنت أنه عندما تم استقبالهم في حصن الحاكم بقصيعر قُدِّم لهم نوع قوي من (الشاي)، تم تحضيره من السكر والزنجبيل والقرفة(١٢٣). وهذا الذي أسمته شايًا، هو في الحقيقة ما يُطلق عليه في قصيعر (الحالي)، وهو مشروب يتكون من

الزنجبيل والقرفة والسكر (الأحمر) غالبًا، كما ذكرت هي، ولا يعد من الشاي عند أهل قصيعر، ويسميه بعض المشقاصيين (تنقويز)، ويُشرب إلى اليوم ويُحَضَّر بالتركيبة المذكورة نفسها.

واستغربت بِنت من التهام الأسماك في حالة متعفنة كما لاحظت في الريدة(١٢٤)، ولعلها تقصد اللحم أو المالح أو البغزيز، أو تقصد أنهم يفضلون أكل السمك بعد أن يصبح كما يسمى عاميًّا (داقّ أو حسوس)، ولا يتسمم المتعوِّدون على أكله.

وسجلت ملاحظتها لأحد جنود الحموم وهو يتناول وليمةً من السحالي دفعةً واحدةً بعد أن قام بشيِّها في النار(١٢٥). ولا نجزم بنوعية السحالي التي التهمها الجندي، ولكن معروف عند البدو أكل (الضب)، ويذكر هيرش أنه امتنع عن أكل وليمة الجنادب (شبيهة بالجراد) التي قُدِّمَت له في قصيعر(١٢٦).

د- تربية الحيوانات:

أشارت مايبل بنت إلى تربية الإبل في مكانٍ بالقرب من رأس باغشوة، وكان بعض الرجال يُحضِّرون كعكات الزيت لجمالهم(١٢٧). وكعكات الزيت المذكورة هنا الأرجح أن المقصود بها (التخ) الذي يُطعم للجمال، ويُحضر من المعاصر، وهو ما يفضُل من السمسم بعد عَصْره. واشترى هيرش مجموعة من الدجاج من قصيعر وأخذها معه(١٢٨).

٣. أشكال الاقتصاد:

أ- صيد البحر:

الصيد: يعمل سكان المشقاص بالصيد، وهو مصدر الدخل الرئيس في المناطق الساحلية(١٢٩)، وتعد مناطق ساحل المشقاص من أوفر المناطق على البحر بالصيد، وتوجد في أعماق بحارها مراعٍ جيدةٌ للأسماك ذات المذاق الفريد، وعندما نزل هيرش في شرمة أرسل خادمه لشراء سمكًا ليأكلونه(١٣٠)، فجاءه بسمكة كبيرة، ولكن لم يأخذ الصيادون منه نقودًا مقابلها، وتتحدث بِنت أن في جهة قصيعر البحرية كانت توجد قوارب صيد السمك(١٣١)، ووصفت الريدة بأنها قرية صيد كبيرة(١٣٢).

وقد لاحظ هيرش أن من أساليب الصيد في ١٨٩٣م إلقاء الشباك في البحر، وتثبيتها بالقرع المجوَّف -تسمى في المشقاص القوبة-، أو القِرَب المنفوخة التي تطفو على سطح الماء(١٣٣). وتستخدم هذه الطريقة لاصطياد القرش الذي يكثر حول رأس باغشوة، وهو الذي لم يفت الربان الشاعر سعيد سالم باطايع التنبيه عليه بقوله:

باغشوه الشيخ هب للديامين تربيخ
وان كان شي ليخ قبلك رفع في الصريَّه

في المقطع توصية للربان بأن يقوم بإرخاء حبل شراع الديمان؛ لتفادي ارتطام السفينة بالشباك، وواحدها (ليخ) بلغة الشاعر، وذلك لدفعها صوب البحر، حتى لا تفسد على الصيادين شباكهم، وهذا من أدبيات الملاحة البحرية وأخلاقها(١٣٤).

ب- الملاحة:

يعمل أهل المناطق المشقاصية في الملاحة، إذ كانوا ينقلون الأسماك والبضائع بين المشقاص والعالم، وتطرق سفنهم بوابات موانئ اليمن وعُمان والخليج العربي والهند وشرق إفريقيا، ونجد تلك الإشارات عن الملاحة في كتابات هيتر(١٣٥) وبِنت(١٣٦)، وإشارة عند هيرش إلى عضوين من طاقم السفينة الشراعية القديمة، وهما الربان والسَّرَنْج (قابض الدفة)(١٣٧).

وقد سجَّل ليو هيرش ملاحظة عن طرق الإبحار ومقاومة تيارات البحر، عندما كانوا أمام رأس باغشوة(١٣٨)، الذي كان كالمصطبة الممتدة أفقيًّا بارتفاع متوسط، وبسبب تيارات البحر ظلوا يجوبون بسفينتهم الشراعية أمام هذا الرأس، وحل الليل ولم تستطيع السفينة الالتفاف الذي يتطلب جهدًا، وتحدث جلبة قبل أن يلتف الشراع نتيجة مقاومة التيارات البحرية، ولم يستطيعوا التحرك حتى صباح اليوم التالي، وقد أصبحوا في واجهة ذلك الرأس الشامخ، والرياح ضعيفة وحركة البحر غير قوية، وقد علل ربان تلك السفينة هذه المسألة بقوله: "هناك تيار بحري عنيف يجعل التغلب على هذا الموضع مهمة مضنية طويلة الأمد في بعض الأحيان"، وفي النهار قاموا بمحاولة نصب شراعٍ ثانٍ على عمود صغير، ليساعد في تحريك السفينة بعد جهد جهيد مع مقاومة التيار الصعب، وعندما هبت الرياح الجنوبية الأزيب، تمكنت السفينة من مخر عباب البحر بسرعة(١٣٩)، وهذه الطرق معروفة عند الملاحين ومنسوبة إلى أسماء الأشرعة، فيقال: الجوش والديمان، يستخدمها الملاح تبعًا لتيارات البحر واتجاه هبوب الرياح.

ج- تجفيف السمك:

مع وفرة أسماك القرش التي يصطادها أهل قصيعر يتم فصل ذيول القرش وزعانفه، وتصديرها إلى السوق الصينية عبر مسقط العمانية وبومباي الهندية، وتجلب أرباحًا جيدة(١٤٠).

وهذه الصناعة ما تزال حتى اليوم على الساحل الحضرمي والمهري، وتشكل منطقة قصيعر المذكورة عند هيتز، أكبر سوق في حضرموت والجمهورية اليمنية لأسماك القرش، إذ يتم تنزيل أسماك القرش التي يجلبها الصيادون إلى ميناء القرين، ويتم شق حيتان القرش المسماة باللخم، وفصل زعانفها وذيولها وتجفيفها، ويُباع باقي اللحم على حدة، والذيول والزعانف على حدة.

وجاء عند ليو هيرش الذي زار المنطقة عام ١٨٩٣م أن في القرن –في مديرية الديس الشرقية حاليًّا– يتم تجفيف أسماكٍ كبيرة، وصفها "بالكريهة جدًا"(١٤١). ولعله يقصد اللخم الذي يأتي بالمواصفات التي ذكرها، ويُشَقُّ ويُجَفَّف ويُصَدَّر ويُؤكَل فيما بعد.

د- الزراعة:

ذكر هيرش بعض المناطق الزراعية إحداها غير بعيدة عن بوابة قصيعر (السِّدَّة) وهي (المنازح)، ويحمي زرعها (كوت)، أما الأخرى البعيدة نسبيًّا فهي (مهينم) التي تقوم عندها بعض أشجار النخيل(١٤٢)، وتوجد كذلك مزارع نخيل غنية في (معبر)(١٤٣)، ومن البحر شاهد هيرش بعض النخيل(١٤٤)، وذكر هولتون وسميث أن في معبر بساتين كثيرة للنخيل(١٤٥)، وكذلك يوجد بستان صغير من النخيل في السلسلة الجبلية الواقعة شرق وادي شخاوي(١٤٦).

وعندما احتاج لبعض المؤن اتجه هيرش إلى المنطقة الزراعية الأقرب، وهي المنازح الواقعة شمال غرب قصيعر، وتضم مزارعَ كثيرة، وتوجد زراعات كثيرة من الخضروات والحبوب والنخيل، ومن تلك المحاصيل الزراعية حينذاك: (الدِّير/ الدجر)، والباذنجان الذي كانوا يسمونه بحسب هيرش: (ينذال)، والباميا والغلفق، وكذلك الحلبة والثوم والقرع والبطاطا الحلوة. وفي وقت زيارة هيرش لم يكن هناك كثير من الخضروات، فقد استغرق جمع بعض المؤن له وقتًا(١٤٧)، ويصف هيرش الأراضي المزروعة في قصيعر بأنها صغيرة المساحة(١٤٨)، ولكن كل شيء هنا ينبت بكثافة؛ لوجود كميات كبيرة من الماء(١٤٩).

وكان من الممكن في ذلك العهد في قصيعر العثور على الماء بيُسر، عبر حفر الآبار، ونزح الماء بالثيران التي تسحب الدلاء، ثم يُفرغ الدلو في حوض يتوزع عبر السواقي إلى بركة صغيرة، تمثل مركز مزارع كل الملاك(١٥٠). ولا يزال نظام الري هذا معروفًا إلى اليوم، مع اختلاف في التكنولوجيا، إذ استعيض عن الحيوانات بمكينة الشفط، ويتم سحب الماء إلى حوض، وبعد تجميعه في الحوض ينساب عبر جدول إلى الجابية، ثم يتفرع عنها عتم يتوزع إلى عتوم فرعية تروي كل الأرض المزروعة.

وفي ١٨٩٤م ذكرت بنت أنَّ بالديس واحةً نضرةً تسبب في وجودها غيل(١٥١)، ووصف ج. هولتون وج. سميث أنَّ بالديس أراضيَ خصبةً تكثر فيها شتى أنواع الخضراوات والفواكه(١٥٢)، وتحدثا كذلك عن مزارع غنية في ناحية حمم من حلفون حيث يقطن بيت غراب، وبساتين نخيل مثمرة، وفي أماكن أخرى مساحات واسعة مزروع فيها البصل والثوم والبطاطا الحلوة، وأنواع مختلفة من البطيخ والتوت، وتوجد أشجار النبق (تسمى محليًّا العِلْب)، والنارجيل (تسمى محليًّا المَيْدع) بثمار وفيرة جدًا(١٥٣).

ه- الجملاة: النقل على ظهور الجمال:

بالرغم من أن مايبل بنت ركبت حصانًا في تنقلاتها؛ فقد استأجروا قافلة، وكان سلطان الحموم ابن حبريش يمتطي ظهر جمل، وكانت الجمال المستأجرة تحمل أمتعتهم(١٥٤). وقد كانت الكثير من القبائل المشقاصية تمتهن مهنة الجملاة، المشتق اسمها من الجمل، والحموم إحدى القبائل التي تعد النقل بالجمال رافدًا اقتصاديًّا لأفرادها، إذ تملك هذه القبيلة الكثير من الجمال، لكن كسدت سوق مهنة النقل على الجمال بعد شق طريق السيارات الرابط بين الساحل ووادي حضرموت بتسهيلٍ من السلطنة القعيطية، مما ولَّد لدى الحموم ردود فعل عنيفة تجاه السلطنة القعيطية(١٥٥).

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، خلاصتها على النحو الآتي:

– المادة التاريخية التي سجلها الرحالة والسياسيون الأوروبيون عن المشقاص في القرن التاسع عشر بإمكانها سد الثغرات التاريخية التي خلَّفتها المدونات الحضرمية المحلية.

– تحدثت الكتابات الأوروبية عن مجموعة من الآثار التي ما زال بعض منها قائمًا، وبعض مما كان قائمًا منها في القرن التاسع عشر أصبح بعد قرابة مائتي عام مدمرًا، لذلك فإن ما تبقى منها بحاجة إلى تدخل عاجل من هيئة الآثار لإنقاذها قبل الدمار.

– تم تسجيل مجموعة من النقوش ونشرها في المجلات الأوروبية، ولعل إعادة دراستها تشكل إضافات جديدة في التاريخ المشقاصي والحضرمي عمومًا.

– عرف المشقاص في القرن التاسع عشر ثلاثة كيانات هي الكسادي في الديس، والكثيري في الريدة وقصيعر، والقعيطي في قصيعر، كما ورد في الكتابات الأوروبية.

– وجدت في المشقاص في القرن التاسع عشر عادات وتقاليد راقية ما تزال هي نفسها اليوم، لتدل على الاستمرارية الحضارية في هذه المنطقة، وحفاظها على ثقافتها رغم المتغيرات.

– نظم الحياة المعيشية شهدت بعض التغيرات بفعل مواكبة موجات التطور المتوالية.

– الأشكال الاقتصادية التي كتب عنها الأوروبيون كالصيد والملاحة والزراعة ما تزال مستمرة، وإن تغيرت بعض أساليبها.

الهوامش:

70) **Haines: Memoir : p** 152.

71) **Haines: Memoir : p** 154

٧٢) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص٣٣.

٧٣) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦١، ٢٦٣.

٧٤) المصدر نفسه ص٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦.

٧٥) المصدر نفسه ص٢٦٣.

٧٦) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص٣٥.

٧٧) كتب حرف i في النسخة الأصلية بنقطتين، ولعله رمز صوتي ما، لكنني لم أهتدِ لمقصد هيتر منه.

78) **Haines: Memoir : p** 153.

٧٩) بامطرف، محمد عبدالقادر: المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الجمهورية اليمنية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص٩٠.

٨٠) المرجع نفسه ص٩٠– ٩١.

81) **Haines: Memoir : p** 154.

٨٢) يذكر صلاح البكري في تاريخ حضرموت السياسي أنه في أواخر ١٢٨٨هـ أرسل السلطان عوض بن عمر القعيطي إلى قصيعر ٥٠٠ رجل من يافع، وكان فيها جماعة من الحموم، فنشب القتال بينهم، وقُتل من الحموم سبعة ومن يافع ثلاثة، واحتلوها. اليافعي، صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ، ١/١٨٩.

٨٣) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٦٠.

٨٤) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦١– ٢٦٢.

٨٥) المصدر نفسه ص٢٦٢.

86) **Haines: Memoir : p** 153.

87) **Haines: Memoir : p** 154.

٨٨) اليافعي: تاريخ حضرموت السياسي ١/ ١٨٩.

٨٩) السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، اعتنى به: محمد أبوبكر باذيب ومحمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان– بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٥م، ص٢٢٧.

٩٠) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٦٠.

٩١) المصدر نفسه ص٦٠.

٩٢) المصدر نفسه ص٦١.

٩٣) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦٢.

٩٤) حسين فهيم: قصة الإنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة ٩٨، فبراير ١٩٨٦م، ص١٤–١٥.

٩٥) شائف، عبدالحكيم: مشاهدات إثنوغرافية عند الهمداني (صفة جزيرة العرب نموذجًا)، منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الهمداني: قراءات معاصرة، عدد خاص بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء المجلد ٣٣ العدد (خاص) ٢٠١٠م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة صنعاء (١١٩– ١٤٩)، ص١٢٤.

٩٦) رودیونوف، میخائیل: البحث الإثنوغرافي في حضرموت: نتائجه وآفاقه، ترجمة ومراجعة: سرجيس فرانتسوزوف وعبدالعزيز بن عقيل، مجلة آفاق، المكلا، العدد ٨، يونيو ١٩٨٥م، ٣١– ٤٣، ص٣٣.

٩٧) بن خروف، سماح: الإثنوغرافيا والخطاب الرحلي: أوجه التمايز وأبعاد الحضور، موقع أرنتروبوس، تاريخ الزيارة ١٠/ ١٢/ ٢٠١٩م.
http://www.aranthropos.com/الإثنوغرافيا–والخطاب–الرحلي–أوجه–ال/

٩٨) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٦٠.

٩٩) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦٦.

١٠٠) على أن سكن الجن للخرائب واقع بدليل بعض الآثار النبوية التي تحدثت عن ذلك، أو التي لمسها المجتمع قبل مُدَد من الزمن.

١٠١) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص ص٥٧–٥٨.

١٠٢) المصدر نفسه ص٥٨.

١٠٣) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص٣٤.

١٠٤) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص٢٥٨.

١٠٥) المصدر نفسه ص٢٦٢.

١٠٦) بنت: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦٢.

١٠٧) المصدر نفسه ص٢٦٤.

١٠٨) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٦١.

١٠٩) بنت: مصدر سابق ص٢٦٢.

١١٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

١١١) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٦٢.

112) **Haines: Memoir : p** 154.

١١٣) هيرش: مصدر سابق ص٥٩.

١١٤) المصدر نفسه ص٦٠.

١١٥) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦٠.

١١٦) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦٠.

١١٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

١١٨) المصدر نفسه ص٢٦١– ٢٦٢.

١١٩) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٥٥.

١٢٠) المصدر نفسه ص٥٧.

١٢١) المصدر نفسه ص٦١.

١٢٢) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦٠.

١٢٣) المصدر السابق ص٢٦٢.

١٢٤) المصدر نفسه ص٢٦٤.

١٢٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

١٢٦) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٦١.

١٢٧) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦١.

١٢٨) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٦٢.

129) Haines: Memoir : p 152.

١٣٠) هيرش: مصدر سابق ص٥٧.

١٣١) بنت: مصدر سابق ص٢٦٢.

١٣٢) المصدر نفسه ص٢٦٣.

١٣٣) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٥٧.

١٣٤) بامطرف، محمد عبدالقادر: الرفيق النافع على دروب منظومتي الربان باطايع، مطبعة السلام- عدن، ١٩٧٢م ص٦٧- ٦٨.

135) Haines: Memoir : p 154.

١٣٦) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦٩.

١٣٧) هيرش: مصدر سابق ص٥٩.

١٣٨) ورد الاسم خطأ: برغشوة.

١٣٩) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٥٨- ٥٩.

140) Haines: Memoir : p 154.

١٤١) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٥٧.

١٤٢) المصدر نفسه ص٦٠.

١٤٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

١٤٤) المصدر نفسه ص٦٢.

١٤٥) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص٣٤.

١٤٦) المصدر نفسه ص٣٥.

١٤٧) هيرش: رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٦١.

١٤٨) المصدر نفسه ص٦١.

١٤٩) المصدر نفسه ص٦٢.

١٥٠) المصدر نفسه ص٦٢.

١٥١) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص٢٥٩.

١٥٢) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص٣٢.

١٥٣) هولتون وسميث: وصف لبعض النقوش ص٣٤.

١٥٤) بنت، ثيودور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب ص٢٦٤.

١٥٥) الملاحي، عبدالرحمن، ومعيلي، علي حسن: تاريخ الصراع الحموي القعيطي ودوافعه ١٨٦٧- ١٩٦٧م، منشور ضمن: وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت ١٩٠٠- ١٩٦٣م، المنعقدة في كلية التربية المكلا ٢٦-٢٥ فبراير ١٩٨٩م، جامعة عدن، كلية التربية المكلا، هيئة التحرير: د. صالح علي باصرة، د. محمد سعيد داود. (٢٠٧- ٢٧٠)، ص٢٥٦.

المصادر والمراجع:

١- بافقيه، محمد بن عمر الطيب: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م.

٢- بافقيه، محمد عبدالقادر: آثار المشقاص ومكانها من ساحل حضرموت، نشرة الساعية الصادرة عن لجنة إحياء التراث البحري والشعبي بالحامي، العدد(٤)، ١٩٩٤م.

٣- بامخرمة، الطيب بن عبدالله: النسبة إلى المواضع والبلدان، مركز الوثائق والبحوث- أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٤- بامطرف، محمد عبدالقادر: الرفيق النافع على دروب منظومتي الربان باطايع، مطبعة السلام- عدن، ١٩٧٢م.

٥- بامطرف، محمد عبدالقادر: المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الجمهورية اليمنية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٦- بامطرف، محمد عبدالقادر: ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت، دار الهمداني للطباعة والنشر- عدن، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٧- بنت، ثيوردور ومايبل: جنوبي جزيرة العرب، ترجمة: هناء خليفة، تحرير وتعليق: د. أحمد إبيش، مراجعة: د. أحمد عبدالرحمن السقاف، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الإمارات، ط١، ٢٠١٢.

٨- بن خروف، سماح: الإثنوغرافيا والخطاب الرحلي: أوجه التمايز وأبعاد الحضور، موقع أرنتروبوس، تاريخ الزيارة ٢٠١٩/١٢/١٠م.
http://www.aranthropos.com/الإثنوغرافيا-والخطاب-الرحلي-أوجه-ال/

٩- بيستون وآخرون: المعجم السبئي (بالإنجليزية والفرنسية والعربية)، منشورات جامعة صنعاء (ج. ع. ي)، دار منشورات بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.

١٠- الجعيدي، عبدالله سعيد، والعوبثاني، عبدالله باصميدي: القائم عبدالله عوض مخارش وأضواء على وثائق من الأرشيف الإداري للسلطنة القعيطية، ط١، ٢٠١١م.

١١- الحداد، علوي بن طاهر: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، تريم للدراسات والنشر، مصوَّرة عن طبعة سنغفورة، ١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م، ط١.

١٢- روديونوف، ميخائيل: البحث الإثنوغرافي في حضرموت: نتائجه وآفاقه، ترجمة ومراجعة: سرجيس فرانتسوزوف وعبدالعزيز بن عقيل، مجلة آفاق، المكلا، العدد ٨ يونيو ١٩٨٥م، (٣١- ٤٣).

١٣- السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، اعتنى به: محمد أبوبكر باذيب ومحمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

١٤- شائف، عبدالحكيم: مشاهدات إثنوغرافية عند الهمداني (صفة جزيرة العرب نموذجًا)، منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الهمداني: قراءات معاصرة، عدد خاص بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء المجلد ٣٣ العدد (خاص) ٢٠١٠م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة صنعاء (١١٩- ١٤٩).

١٥- شنبل، أحمد عبدالله: تاريخ حضرموت المسمى تاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٣، ٢٠٠٧م.

١٦- فهيم، حسين: قصة الإنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة ٩٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، فبراير ١٩٨٦م.

١٧- الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم: الدلالات الاجتماعية واللغوية والثقافية لمهرجانات ختان صبيان قبائل المشقاص ثعين والحموم، (طبعة حجرية).

١٨- الملاحي، عبدالرحمن، ومعيلي، علي حسن: تاريخ الصراع الحموي القعيطي ودوافعه ١٨٦٧- ١٩٦٧م، منشور في ضمن: وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت ١٩٠٠- ١٩٦٣م، المنعقدة في كلية التربية المكلا ٢٥-٢٦ فبراير ١٩٨٩م، جامعة عدن، كلية التربية المكلا، هيئة التحرير: د. صالح علي باصرة، د. محمد سعيد داود. (٢٠٧- ٢٧٠).

١٩- هولتون، ج. جي، وسميث، ج: وصف لبعض النقوش التي تم العثور عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن، مجلة حضرموت الثقافية، السنة الثانية، العدد السادس ٢٠١٧م، ص٣٢- ٣٥.

٢٠- هيرش، ليو: رحلات إلى جنوب البلاد العربية وبلاد المهرة وحضرموت، ترجمة: عبدالكريم الجلاصي، منشورات القاسمي- الشارقة، الإمارات، ط١، ٢٠١٨م.

٢١- اليافعي، صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج١، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.

22- Haines, S. B, Memoir, to Accompany a Chart of the South Coast of Arabia from the Entrance of the Red Sea to Misen't, in 50° 43' 25" E, The Journal of the Royal Geographical Society of London, Vol. 9 (1839), pp. 125- 156.

56
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

الناقد العربي (عبدالعزيز حمودة) وإشكالية التحيز اللساني الغربي

(٢ - ٢)



صالح علي محمد العطاس

٢- المفاهيم الثنائية لمنهجه الفكري:

إنّ هذه الرؤية هي التي انبثقت عنها المفاهيم الثنائية التي تبناها في منهجه الفكري، والتي تمثلت بما يأتي:

أ- مفهوما الاختلاف والاتفاق:

إنّ اختلاف رؤيته الكلية لمصادر المعرفة عن الرؤية الكلية الغربية في عدم فصل الدين عن المعرفة ومن ثم فإنّ الدين أو الوحي هو مصدر معرفي، سينبثق عنه مفهوم الاختلاف إلا أنّ ذلك لا يعني الاختلاف بصورة مطلقة مع الرؤية الغربية، لأنّ الرؤية الإسلامية التي يتبناها تتفق مع الرؤية الغربية في كون العقل والحس أو التجربة مصدرين أيضا للمعرفة، ولكنهما ليسا المصدرين الوحيدين، مما يقتضي أنْ يكون مفهوم الاتفاق أيضًا من المفاهيم الأساسية في منهجه ومقارنًا لمفهوم الاختلاف، ومن ثمة فإنّ هذا المنهج سيرى أنّ الثقافات الإنسانية غير متماثلة وغير متفقة في كل شيء، أي أنّ في كل ثقافة لابد من وجود خصوصيات تخصها لا تدخل ضمن المشترك الإنساني، أو النتاج العالمي، وتخص واقعها التي أنتجت فيه، وكذلك لا يعني هذا أنّ الثقافات متضادة في كل شيء ولا يوجد ما يجمعها، بل لابد من وجود ما يتفقون عليه، ويتبع بعضهم بعضًا مع وجود الدليل، إلا أنّ ذلك لا يعني تبنى ما سمي بمبدأ المقايسة الذي يجعل من يتبناه يبحث عن التماثل والتطابق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية فحسب تحت مؤثر أيديولوجي غربي(٤٥).

ثم إنّ ممارسة حق الاختلاف كما يذهب (د. حمودة) لا يعني بالضرورة صحة مقولات الثقافة العربية أو المثقف العربي المنتمي لها، أو خطأ مقولات الآخرين، وتقبلنا لمقولات الآخرين واتفاقنا معهم لا علاقة له بوجود تلك المقولات ومدى تأثيرها، ثم إنّ اختلافًا معها لا يبطل وجودها أو تأثيرها، ولا يعني كذلك اتهام المخالفين بالجهل أو القصور أو التقصير، ما دام يقوم هذا الاختلاف على الحوار البناء، ومقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل(٤٦).

وهذا الاختلاف يقع كما يرى (د.حمودة) على مستويين: الفكري، والواقعي. فعلى المستوى الأول نجد (د.حمودة) لا يسلم بالموضوعية المطلقة لما انتجته الحداثة النقدية وما بعدها، وما قبلها ومصطلحاتها النقدية، ويؤكد انحيازها، للفكر والثقافة التي انطلقت منها(٤٧). ونحن نتفق معه في ذلك إذ لا نسلم بفرضية من يرى بأنه علينا التغاضي عن تحيزات ونقائص الحداثة حتى نندمج بها ونصبح جزءاً

57
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

منها(٤٨)؛ لأنّ التغاضي عن تحيزات المقولات النقدية الغربية، والرؤية الفلسفية الكلية المنطلقة منها، يجعلنا نقرأ تلك المقولات قراءة جزئية ومنقوصة، لا تصل إلى الأبعاد الحقيقة لتلك المقولات، بل إنّنا نجرِّدها من شروطها التاريخية، ونوظِّفها في سياقات مختلفة عنها، بل متناقضة ومتضادة معها(٤٩). فهناك اختلاف بين الثقافتين الغربية والعربية بصورة عامة، واختلاف بين الفكر الحداثي وما بعد الحداثي، وبين الفكر العربي بصورة خاصة، فالأزمة هي أزمة حضارية ثقافية فكرية بالدرجة الأولى(٥٠).

أما على المستوى الثاني، فيذهب (د.حمودة) إلى أنّ العالم الغربي هو عالم صناعي اقتصادي إنتاجي، في حين أنّ العالم العربي هو عالم استهلاكي، مستهلك لمنتجات الصناعة الغربية المتقدمة على الرغم من كل شعارات التصنيع والتحديث التي رفعها العالم العربي لما يقرب من قرنين، بل إنّ الاختلاف في التطور الصناعي والزراعي والاقتصادي يوجد داخل الواقع الغربي والدول الاستعمارية المسيطرة نفسها، ومن ثم فإنّ اندفاع دول العالم الثالث ومنها الدول العربية في اتجاه الحداثة أو ما بعد الحداثة الغربية دون أن تتوفر لها الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزتها، هو شبيه بتبني نتائج تقوم على مقدمات ليست مقدماتها، فإنّ النتيجة المؤكدة هي وقوع المجتمعات في حالة فصام مرضية، واختراق لثقافتنا العربية(٥١)، لأنّ ذلك سوف ينعكس على المجتمعات، مع أنّ هناك اختلافًا واضحًا بين المؤسسات الاجتماعية ووظائفها في المجتمع العربي وعلى رأسها الأسرة، وبين المؤسسات الاجتماعية الحداثية وما بعد الحداثية(٥٢).

ولهذا نجد (د.حمودة) يرى أنّ الحداثة الثقافية والنقدية على وجه الخصوص وما قبل الحداثة وما بعد الحداثة، ما هي إلا نتاج - بدرجة ما - لواقع غربي خاص بها، بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والفكرية الفلسفية خصوصًا، أي أنها لم تنشأ من فراغ، بل



عبدالعزيز حمودة

هي النتاج الطبيعي والمنطقي لتطورات الفكر الغربي الفلسفي بمذاهبه المختلفة، منذ القرن السابع عشر وحتى الآن، وثوراته العلمية الصناعية التي قلبت موازين العلاقات التقليدية في مجتمعاتها، وهي تطورات خاصة بالواقع والإنسان الغربي، وهي تطورات أدت بصورة ضرورية إلى ظهور المدارس الأدبية والنقدية بمصطلحاتها الخاصة التي تكتسب دلالتها وشرعيتها من ذلك الفكر بالدرجة الأولى، والتي تفسر ردود الفعل التي تثيرها الحداثة أو الحداثات الثقافية وما قبلها وما بعدها، ثم إنها بالطبع تفسر التعديلات المختلفة التي تدخلها كل ثقافة على مشاريعها النقدية. وعليه فإنّ نقل مفاهيمها ومصطلحاتها النقدية - كما يذهب (د.حمودة) - إلى الثقافة العربية في عزلة عن خلفيتها الفكرية والفلسفية سوف يفرغها من دلالتها، ويفقدها القدرة على تحديد معنى معين، ونقلها بعوالقها الفلسفية سوف يؤدي إلى الفوضى والاضطراب، بل يعده نوعًا من الترف بل العبث الفكري - كما يصفه - وذلك لأنّ القيم القادمة مع تلك المصطلحات تختلف بل تتعارض أحياناً مع القيم المعرفية التي طورها الفكر العربي المختلف - كما يعلل ذلك -، لذلك يتساءل: كيف يمكننا

نقل تلك المصطلحات بنفس المفاهيم التي تكتسب دلالتها من انتمائها للفكر والثقافة التي أفرزتها في المقام الأول، إلى الثقافة العربية المختلفة تمام الاختلاف عن مناخها الفكري؟ وعليه فإنّ عدم إدراك ذلك الاختلاف بين الثقافتين سيؤدي إلى الوقوع في خطر التبعية الثقافية للآخر الغربي(٥٣).

ثم إنّ مفهومي الاختلاف والاتفاق يقتضيان وجود أمور ثابتة في كل ثقافة تمثل خصوصيتها واختلافها عن الثقافة الأخرى، فضلاً عن وجود المتغيرات التي قد تكون من المشتركات بين الثقافات وإمكانية الاستفادة من ثقافات الآخرين لتقديم حلول لها، وهذا يجعلنا ننتقل إلى الثنائية المفهومية الثانية المكونة لمنهجه الفكري.

ب- مفهوما الثابت والمتغير:

إنّ هذين المفهومين مرتبطان بالمفهومين السابقين، فإذا سلمنا بوجود الاختلاف، فلابد من وجود أمور ثابتة لا تتغير مسلم بها وغير قابلة للنقاش، تتحيز لها الثقافات وتمثل خصوصيتها وتتأسس عليها، وتنطلق منها رؤاها الكلية، ثم إنّ كل حركة متغيرة لابد لها من محور ثابت ومن فلك تدور فيه، فلا وجود للحركة المطلقة من كل قيد، ولا وجود للتطور المطلق لكل الأوضاع والقيم.

والثابت: لغة هو كل ما لازم الشيء ولم يفارقه، يقال ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتًا، هو ثابت إذا أقام به. وأثبته السُّقم إذا لم يفارقه(٥٤)، واصطلاحًا هو ضد المتغير، فكل شيء لا تتغير حقيقته بتغير الزمان فهو شيء ثابت، ومنها الحقائق الثابتة الأبدية التي لا تتغير، كما يطلق الثابت على الموجود، أو على الأمر الذي لا يزول بتشكيك المشكك(٥٥). أما المتغير: لغة فهو الذي يتحول من حال إلى حال أخرى مختلفة، تقول غيرّت الشيء فتغيرّ، وتغايرت الأشياء إذا اختلفت(٥٦)، فهو اصطلاحًا ما يمكن تغيره، أو ما يمكن تغييره، أو ما ينزع إلى التغير(٥٧).

فما هو المبدأ المعرفي الثابت في منهجه الفكري، الذي تبناه وأسس عليه، وأثر في مواقفه وأراه النقدية؟ إنّ هذا المبدأ هو (مبدأ الثنائية: القائم على علاقة الوسطية المتوازنة).

- مبدأ الثنائية القائم على علاقة الوسطية المتوازنة:

وهذا المبدأ يقر بالثنائيات المعرفية ولا يقصيها، لصالح الأحادية المادية أو المثالية، وهو ينطلق من رؤية للوجود، لا تختزل الواقع أو الوجود إلى عناصره الأولية المادية، أو إلى عناصر مثالية، بل إنّ الوجود يضم عناصر من المحدود واللامحدود، التي تعد صدى للثنائيات الكبرى، ثنائية الخالق والمخلوق، الإنسان والطبيعة، ولذلك فهي لا تركز على الكلي دون الجزئي، ولا على العام دون الخاص، ولا على الاستمرار دون الانقطاع، ولا على عكس هذه الثنائيات، فالعالم هو كل متماسك مكون من كليات متماسكة مكونة بدورها من أجزاء متماسكة لكل شخصيتها ووظيفتها المقدرة وقيمتها في ذاتها، ولكنها لا تفهم إلا بالعودة إلى الكليات، ولكنها ليست كليات صلبة مادية، بل إنّ مركزها ومصدر تماسكها يوجد خارجها، ولذا فهي تظل كليات فضفاضة تحوي ثغرات داخلها، وعليه فإنّ هذه المعرفة تحاول الوصول إلى خصوصية الظاهرة وتنوعها دون أن تهمل عموميتها، وتحاول الوصول إلى النقط المفصلية التي تصل بين ظاهرة وأخرى وتفصل بينهما، دون أن ترد الجزء إلى الكل، أو الخاص إلى العام، أو تفرض الاستمرارية على الانقطاعات(٥٨). إنّ المنهج الفكري الكلي الذي ينطلق من هذا المبدأ القائم على علاقة الوسطية والتوازن والتكامل، يرفض مبدأ الأحادية الاقصائية، المادية أو المثالية، الذي يتبناه المنهج العلماني، بل يخالفه كليا، لأنّ مبدأ الأحادية يختزل الواقع إلى أحادية واحدة في تعليلاته وفي رؤيته، وهي إما أحادية مادية تختزل الواقع أو الوجود إلى عناصره الأولية المادية وتقصي ما عدا ذلك كما عند الاتجاهات التجريبية الغربية، أو أحادية مثالية، تختزل الواقع إلى عناصر مثالية وتلغي ما دون ذلك، كما عند الاتجاهات الذاتية الغربية. بل

هو يُسجل المتغيرات كما يُسجل الثوابت، ويعترف بالنسبي كما يقر بالمطلق.

فهذا المبدأ يسلم بالتعددية السببية وتعددية المؤثرات في فهمنا للطبيعة والإنسان وتفسيرنا لهما؛ لأن الظواهر الطبيعية والإنسانية معقدة ومركبة، فهي غير بسيطة، فمن الخطأ ردها إلى عنصر مادي واحد، وإنما لابد من النظر إلى الظاهرة بأبعادها الكاملة، ومن ثم يتم بعد ذلك تحديد أكثر الأبعاد فعالية أو تأثيراً(٥٩)، ومن ينطلق من هذا المبدأ لا يحاول تفسير ما هو إنساني بما هو طبيعي غير إنساني، فيخضع الإنسان والظواهر الاجتماعية بشكل مغلق لمنهج الضبط والقياس والتحكم والتفسير، أي لممارسات مناهج البحث في العلوم التجريبية نفسها، وهي المنهجية التي يتم عن طريقها فرض الواحدية المادية على جميع مستويات الوجود، وفرض منطق الأشياء على الإنسان، واختزال العالم إلى بعد طبيعي مادي واحد، تسري عليه القوانين العامة الطبيعية، ومن ثم تسقط الأبعاد القيمية، الغائية والأخلاقية...إلخ، وتظهر الحتميات المختلفة التي تفسر مستويات الوجود المختلفة، بشكل حتمي مادي مما يفضي إلى تركيز المعرفة على الكمي وما هو محسوس ومحدود وما يقاس مادياً، على حساب الكيفي وغير المحسوس واللامحدود ومالا يقاس مادياً، وهذا ما يسمى بوحدة العلوم، وإنما ترى بأنّ الإنسان لا يمكن تجاهله لصالح الطبيعي أو المادي، والتاريخ لا يمكن إسقاطه لصالح الحاضر، وكيفية الجمع بين هذه الثنائيات هو جوهر أطروحتها، فضلاً عن أنّ العلوم الإنسانية هي مستقلة عن العلوم الطبيعية وعن العلوم الشرعية، مع وجود علاقات تكاملية فيما بينها(٦٠).

وهذا يقتضي الاجتهاد في القراءة، والتثبت والتبين عند الأخذ من فكر الآخرين، والابتعاد عن التقليد سواء أكان تقليداً للتراث الغربي أم للتراث العربي والإسلامي، وهذا الأمر يقودنا إلى مفهومي الاجتهاد والتقليد.

ج- مفهوما الاجتهاد والتقليد:

إنّ الاجتهاد العلمي يتطلب من الباحث بذل ما في وسعه في طلب العلم، وتفريغ غاية جهده في تحصيل المقصود بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد، والابتعاد عن التقليد، الذي هو الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، بحيث يوجب عليك قبوله ويلزمك إياه، مع جواز الإتباع الذي هو الرجوع إلى قول ثبت عليه حجة ودليل بحيث يوجب عليك قبوله(٦١).

إنّ البحث يرى أنّ (د.حمودة) استخدام هذه الثنائية المفهومية في خطابه النقدي بصورة متكررة(٦٢)، فهي تعد من المفاهيم الرئيسة في منهجه الفكري، وصفة العلمية في وصف الاجتهاد لا تقتصر عند (د. حمودة) على العلم بمفهومه التجريبي، فالعلم بحسب الرؤية التجريبية الغربية، يشير إلى معنى ضيق ينحصر في المعرفة التي تحكمها قوانين المادة، والتجريب المادي فحسب، فيفسر كل الظواهر على أساس مادي تجريبي، فيقبل ما يثبت التجريب المادي وجوده وصحته، ويرفض ما يثبت التجريب المادي عدم وجوده أو صحته، أو حتى ما لا يقبل القياس أو الحكم التجريبي(٦٣). في حين أنّ (د.حمودة) يرفض حصر مفهوم العلم بهذا الإطار الضيق، لأنّ هذا العلم بمعناه الضيق التجريبي إذا كان قادراً على تفسير الموجودات الحسية فهو يقف عاجزاً عن تفسير العديد من الظواهر الميتافيزيقية، وهذا ما أدركه العقل الغربي أخيراً، لذلك فإنّ (د.حمودة) لا يقبل تطبيق قواعد العلوم الطبيعية والتطبيقية أو تعميمات التاريخ الطبيعي أو قوانين الفيزياء على أمور لا تخضع للتجريب والقياس العلمي بهذا المعنى الضيق ولا ينبغي إخضاعها له، مثل العلوم الإنسانية، ويتبنى مفهوماً واسعاً وشاملاً للعلم، أوضحه شكري عياد بأنه معرفة منظمة أو نافعة، يقينية أو غير يقينية أي ظنية، تشتمل على قضايا كلية يمكن تسميتها أحكاماً عامة، أو قواعد، أو

قوانين، تنطبق على كل حالة خاصة، يمكن أن تعرض مما يدخل تحت موضوعها(٦٤)، فتحت هذا المفهوم يمكن أن يدخل مفهوم العلم التجريبي ومفاهيم العلوم الإنسانية والشرعية؛ لأنها جميعها معارف تنطبق عليها صفة التنظيم والنفع، واليقينية والظن، فضلا عن احتوائها على أحكام عامة أو قواعد أو قوانين.

وانطلاقًا من هذا المفهوم نجد أنّ (د. حمودة) يشترط بذل الجهد والوسع لفهم منجزات العقل العربي (التراث/ الأصالة)، وإنجازات العقل الغربي (الحداثة وما قبلها وما بعدها/ المعاصرة)، لكي نستطيع الوصول إلى آراء أدبية ونقدية عربية ناضجة، وعدم تبسيط الأمور والأخذ بأبسط الحلول المتمثلة بالتقليد، والسقوط بخطر التبعية الغربية، وبذلك نزيل التكلسات التي رسَّبَتْها عصور الانحلال الطويلة فوق تراث البلاغة العربية حتى نعيد الاتصال وليس القطيعة مع ذلك التراث ونطوره في ضوء معارفنا، ومعارف الآخرين الجديدة، ليصبح أكثر خصوصية وارتباطًا بالعقل العربي(٦٥)، مع إدراك الاختلاف بين الثقافتين العربية والغربية، وإدراك ثوابت ومتغيرات كلّ منهما، ومن ثم انعكاس ذلك على الآراء والمفاهيم والنظريات والمصطلحات، مما يؤدي إلى تحيزها للرؤية الكلية الفكرية المعرفية التي انبثقت عنها.

ثم إنّ هذا لا يمنع من الاستفادة من ثقافة الآخرين واتباعهم إذا توافر الدليل والحجة على آرائهم وأقوالهم، دون تقليدهم تقليداً أعمى من دون توفر دليل يلزمنا بذلك، لهذا نجد (د. حمودة) لا يدعي لرؤيته وآراءه النقدية أن تكون جديدة كل الجدة، بل إنّ هذا أمر مستحيل في العلوم الإنسانية بخلاف العلوم الطبيعية(٦٦). ونحن نتفق معه في ذلك؛ إذ إنّ الظن بوجوب الصيرورة إلى اجتهاد علمي جديد يفي بحاجة النقد الأدبي العربي في عالم سريع التغير ظن صحيح، لكننا كأننا أسرتنا جاذبية الاجتهاد الجديد والتطور والتقدم من أجل التطور والتقدم، وطرافتهم فشغلتنا عن تدقيق العلم اللغوي والبلاغي والنقدي السابق، الذي فيه العديد من الحلول التي تفي بحاجاتنا المعاصرة، مما يعفينا من تكلف اجتهاد جديد.

٣- أثر مفاهيم منهجه الفكري في عدد من مواقفه وآرائه النقدية:

أ- ثنائية الحداثة والتحديث:

إنّ (د. حمودة) لا يتبنى الدمج بين هذين المفهومين في كتاباته النقدية، وهذا أمر أجده طبيعيًّا وضروريًّا في منهجه الفكري؛ لأنه يتبنى مبدأ الثنائية القائم على علاقة الوسطية المتوازنة، وهو بخلاف ما ذهب إليه الحداثيون الغربيون عندما دمجوا بينهما، وموقفهم هذا لم يأت اعتباطًا، بل له إطار مرجعي أو رؤية فلسفية كلية للوجود والمعرفة، أو تركيبة ثقافية معينة، فالحداثيون عدّو من معاني الحداثة - كما يذهب د. حمودة مستشهداً بكلام د. جابر عصفور - بأنها "البحث الذي لا يتوقف لتعرف أسرار الكون والسيطرة عليه فكريًّا وعلميًّا"(٦٧)، وذلك ليضفوا على ثقافتهم صفة العالمية والعلمية، التي لا تقبل الاختلاف، فالحداثة الثقافية الغربية تبنَّتْ ذلك المفهوم الضيق للعلم، وجعلته جزءاً لا يتجزأ من مفهوم حداثتها "إلى درجة يؤكد معها الجميع أن الحداثة في أحد معانيها الجوهرية صنو العقلنة أو العقلانية أو مرادف لها"(٦٨) أي العقلانية التجريبية، ومن هذه الحداثة، الحداثة النقدية التي سعت إلى تكوين علم نقدي أدبي، فأنتجت البنيوية الأدبية، المعتمدة على البنيوية اللغوية.

في حين أنّ (د. حمودة) لا يدمج مفهوم العلم بمعناه التجريبي بمفهوم الحداثة، إذ يرى أنّ التحديث يعني "الحفاظ على منجزات العقل العربي مع الاستفادة من منجزات العقل الأوربي في العلوم والتكنولوجيا"(٦٩) والحقائق العلمية، والمختبرات التجريبية، فهو يقوم بالفصل بين الحقائق العلمية التي لا تقبل الجدل

والاختلاف، مثل دوران الأرض حول الشمس، والتي ترتبط بالتحديث، وبين الآراء ووجهات النظر والرؤى المختلفة، التي تقبل الاختلاف، والتي ترتبط بالحداثة، فليس صحيحًا أنّ هذه الاستفادة لا تتم إلا بتبني الحداثة بأخطائها وصوابها، بعيوبها ومحاسنها، بشرها وخيرها، والارتماء الكامل في أحضان الحضارة والثقافة الغربية، والوقوع في خطر التبعية الثقافية لها، فالحداثة الثقافية، هي ليست حقائق علمية لابد من التسليم بأفكارها وطروحاتها، بل هي إنجازات ثقافية غربية لها خصوصيتها، يمكننا الاتفاق أو الاختلاف معها، ولا تعني هذه الاستفادة ضرورة القطيعة المعرفية مع الماضي أو التراث بكامله، وإنجازات العقل العربي واحتقارها، وعدم الانطلاق منها، لبناء إنجازاتنا الحاضرة، وإنّما هذا سوف يعني قطع جذورنا مع واقعنا وحضارة وثقافة امتنا والوقوع في خطر الغربة أو الاستغراب والابتعاد عن الهوية الواقية(٧٠).

فدوافع "نشر الحداثة الغربية في الثقافات الأخرى ليست الرغبة البريئة في نشر سيادة العقل والتفكير العقلاني، بل الرغبة في سيطرة المركز الحداثي على الثقافات الواقعة على المحيط بهدف استغلالها تجاريًّا وصناعيًّا وعن طريق الاستعمار غير المباشر"(٧١)، والاستعمار الغربي مارس خديعة كبرى "مع الشعوب المقهورة حينما ربط بين الكونية الجديدة والعقلانية بكل ما فيها من إغراءات وغواية. لكنه قبل ذلك كان قد قصر العقلانية على عقلانيته هو، على قوميته الخاصة، وهكذا حينما يبيع لنا الغرب الكونية الجديدة فإنه يبيع لنا نسخته القومية الخاصة من سيطرة العقل والحداثة. ونسخة الغرب العقلانية تقوم على عدم الاعتراف بأي مكتسبات من الماضي، ولهذا تدعو للتخلص من كل المعتقدات والأنظمة السياسية والاجتماعية التي لا تتأسس على العقلانية والعلمية"(٧٢).

ب- ثنائية الحداثة والتراث:

إنّ عملية التطور في العلوم الإنسانية حسب مفهوم (د.حمودة) لا يلغي اللاحق فيها السابق، فيصبح اللاحق ثقافة تقدمية والسابق ثقافة رجعية، بل إنّ التطور يأخذ شكل أمواج متداخلة، وحلقات يربط بعضها بعضًا، فيبطل بذلك أنّ من لوازم العلمية والثقافة هو القطيعة المعرفية مع المعطيات السابقة والتراث والماضي، كما ادعت الحداثة والنقد الحداثي، فتاريخ "الفكر لا يمثل بالضرورة موجات متعاقبة أو متوالية تكمل الواحدة منها الأخرى اتفاقًا أو اختلافًا، لكنه في الواقع يمثل موجات يكون فيها التداخل أكثر من التعاقب المحدد البدايات والنهايات"(٧٣). لذلك يرى أنّ "المدارس والمذاهب النقدية منذ عصر النُّقَاد الأُوَل، وحتى الآن، تتطور على شكل دوائر يكون فيها تداخل المحيطات أكبر بكثير من تباعدها"(٧٤)، وبناءً على ذلك يتبنى الدعوة إلى التطوير انطلاقًا من التراث ومرورًا بالحاضر، الانطلاق من الدراسات الجادة للتراث، "والتأسيس عليها، بما يتفق مع روح العصر ومتطلبات العالم الجديد في عصر العولمة وثورة المعلومات بهدف تطوير نظرية نقدية عربية خاصة بنا"(٧٥).

لهذا فإنّ (د.حمودة) ينتقد شرط الحداثة النقدية الغربية وجوهرها، ورفضه الشديد لكون القيم والمبادئ الجمالية الأدبية التراثية القديمة العربية أضحت قرينة إطار مرجعي مرفوض، صار التمرد عليه قرين التحرر الفردي الذي ينطلق من إطار مرجعي مضاد، هذا الإطار المرجعي المضاد الجديد يعني استبدال الحاضر بالماضي، والغرب المتقدم بالشرق المتخلف، والحداثة بالتراث الذي أصبح من الضروري القطيعة المعرفية معه أو هدمه، ومن ضمنه القطيعة مع القيم الجمالية والأدبية والأصول النقدية القديمة والتعويل على الأصول النقدية الغربية التي هي ليس من صنع العقل العربي المتخلف ولا من تراثه، بل من صنع

الغرب المتقدم الذي أصبح اللحاق به منذ ذلك الوقت حلا لأزمة التخلف، وهذا التحرر من الإطار المرجعي القديم ونتاجه المعرفي والقيمي المتخلف المكبل للحريات اتخذ تسميات متعددةً وصيغاً متنوعةً، فهو تحرر وثورة مثلاً على التقاليد السائدة، أو على القيم والأعراف المهيمنة، أو خروج على المعايير المستتبة، أو هو إدانة للمجتمع وقوانينه وأنظمته لما فيه من ظواهر التخلف والتعسف والكبت والظلم والتشويه، أو هو دعوة لأنسنة الدين وتغيير الفكر العربي القديم المتخلف والعاجز عن التفكير الكلي والمركب وتوقفه عند الجزئيات، أو هو في مجال الإبداع تحطيم للأساليب التقليدية، أو يأخذ شكل اتهام اللغة العربية بالقصور وغير ذلك، فخطاب (د.حمودة) يرفض قرن الإطار المرجعي العربي القديم بصفة التخلف، بل يذهب إلى أنّ العقل العربي القديم لم يكن متخلفاً ونتاجه غير علمي، ولم تكن الثقافة العربية القديمة مفلسة أبداً، وهو ينتقد هذا الاحتقار المعلن أو الخفي لإنجازات العقل العربي القديم أو تجاهل هذه الإنجازات(٧٦).

بل إنه يرى أنّ الأطر الثقافية والقيم المعرفية العربية متميزة ومغايرة تماماً للأطر الثقافية والقيم المعرفية الغربية، لذلك فهو يرفض تبني أي إطار فكري غربي بصورة كاملة وعد ذلك تحيُّزاً وسقوطاً في التبعية للثقافة الغربية، وهو مع الاستفادة والتزاوج مع الضروري من فكر الآخر الحديث، إن كان منسجماً مع الثقافة العربية والواقع العربي، وبذلك نستطيع تطوير هوية واقية من فناء ثقافة المغلوب في ثقافة الغالب، فضلاً عن أنّه لا يميل إلى تبني الفكر الغربي وحداثاته المختلفة، فهو كذلك لا يميل إلى تبني أصولية دينية تدعو إلى القطيعة مع الآخر، بل هو يتبنى العودة إلى الأصول وتطوير حداثة عربية دون انسحاب جزئي أو كلي من ثقافة الآخر وحضارته، فهو مع تحديث العقل العربي ذاته في آليات ومناهج أدائه دون أن يؤدي ذلك بالضرورة إلى قبول مقولات الحداثة الغربية من ناحية، أو أصولية مغالية تقهر الذات وحرية التفكير والتعبير من ناحية أخرى، ولتحقيق ذلك لابد من الفهم الكامل للحداثة الغربية حتى يتم اختيار ما يغني الفكر العربي(٧٧). مع الانطلاق من التراث، ورفض موقف من يرفض التراث العربي القديم بشكل لا يخلو من الحدة، أو موقف من يدعو صراحة إلى تحقيق قطيعة معرفية مع التراث قبل تحقيق تحديث العقل العربي، أو موقف من يحاول إمساك العصا من منتصفها بين التراث العربي والحداثة الغربية، فينادون بوسطية ثقافية نقدية ثم يستخدمون كل أدوات المناهج النقدية الحداثية وما بعد الحداثية الغربية ومصطلحاتها(٧٨). فهو مع الموقف الوسطي الذي يتعامل مع التراث من موقف اتصال مع عدم الانفصال عن الحداثة الغربية(٧٩).

فهو يرفض أن يكون التراث العربي القديم مرادفًا للجهل والتخلف، وأنه قد فقد شرعيته التاريخية، مع فتح باب الاجتهاد في التعامل مع التراث النقدي والبلاغي العربي(٨٠). لذلك يسعى في خطابه إلى البحث كما يقول "عن توازن أكثر خصوصية بثقافتنا بين تحديث الحداثة الغربية والقيم الدينية والروحية العربية"(٨١) كما يصفها، ويحاول تخليق (synthesis) نظرية أدبية من معطيات عربية وغير عربية في تأكيد انتمائه إلى الجذور الثقافية العربية والاتصال بالآخر(٨٢). وقد استطاع العقل العربي أن يحدِّد موقفًا خاصًّا به ولاسيما في باب البلاغة والنقد الأدبي، معتمداً في ذلك على الاستعارات التي لا يمكن إغفالها وعلى خاصية الثقافة العربية وأغراض الشعر العربي الخاصة، أي أنه استطاع أن يطور موقفاً أصيلاً من ناحية، ومعاصراً يمكن وضعه داخل تيار النقد العالمي في القرن العشرين من ناحية أخرى(٨٣). أما اللغة العربية فقد عبرت عن الثورة الفكرية العربية في مجالات الرياضيات، وعلوم الفلك، والطب، والفلسفة، وتم نقلها إلى الثقافات الغربية عبر قنوات كثيرة، أبرزها الوجود العربي في الأندلس، وأسهمت في تحقيق النهضة الأوربية(٨٤).

فهو يحاول الانطلاق من وسطية متوازنة متكاملة، أكثر خصوصية بالثقافة العربية كما يصرح، توازن بين العلم التجريبي الإنساني وبين العلم الإلهي، بين الخطاب الإنساني وبين الخطاب الإلهي، بين تحديث الحداثة الغربية وبين القيم الدينية والروحية الإسلامية، فهي منطقة وسط يأخذ فيها المثقف العربي من التراث أفضل ما فيه، ومن الآخر خير ما يقدِّمه وما يتناسب مع ثقافته العربية وتراثه الخاص، فهو توازن صحي بين إنجازات العقل العربي وإنجازات العقل الغربي، يرتكز على الوعي بالحاضر بدلاً من تقديس الماضي، لا يرفض الجديد كله، ولا يقبله كله، ولا يقف عند القديم يتفاخر بإنجازاته في سلبية وعجز، بل يتعامل مع التراث من موقف اتصال، مع عدم الانفصال عن ثقافات الآخرين وفتح باب الاجتهاد العلمي في ذلك، فعلاقة (د.حمودة) بالتراث هي علاقة اتصال وانفصال متزامنين، فهي عودة للتراث لتأكيد شرعيته لا شرعية الحداثة، والتمسك بهذا التراث وإحيائه وتطويره(٨٥)، ثم إنّ "قراءة النص القديم لا تحقق عملية تأثير الماضي في الحاضر فقط، بل تأثير الحاضر في الماضي بالقدر نفسه. فنحن كما يقول عندما نقرأ نصًّا لعبدالقاهر عن الصورة الشعرية فلابد أنّه يؤثر في فهمنا المعاصر للصورة لغويًّا وبلاغيًّا، وفي الوقت نفسه فان القارئ الحديث، وهو يحمل تحت جلدة وعيه كل ما يعرفه من التراث النقدي، داخل أرشيفه الثقافي، الذي جاء بعد عبدالقاهر، من ناحية، وتراثه الحاضر من ناحية أخرى، يدرك أشياء لم يدركها الماضي – عبد القاهر في هذه الحالة – عن نفسه"(٨٦). أي إنّه يحاول قراءة التراث ضمن سياقه ومحيطه التاريخي الخاص، وفي عصره الذي عاش فيه، مع عدم إسقاط مفاهيمه المعاصرة عليه، وبذلك سوف ينفصل عنه ثم إنّ هذه المفاهيم التراثية سوف تؤثر في مفاهيمنا المعاصرة وواقعنا النقدي فنحاول توظيفها فيه، فضلاً عن إضافة ما استجد من اجتهادات نقدية علمية، لم يدركها التراث، في عصره(٨٧).

فهو في سعيه لإيجاد مذهب أو نظرية أدبية عربية، يسعى أن تكون وسطية توازن بين القيم الدينية والأخلاقية وبين الحرية الجمالية المطلقة، فرؤيته النقدية لا ترفض القيم الدينية والأخلاقية، كما تحرر الإبداع من قيود الحكم القيمي على أساس تلك القيم في الوقت نفسه(٨٨).

فهو يرى أنّ "الموقف الفقهي من الشعر والشعراء في صدر الإسلام كان أقل صرامةً وتشنُّجًا بشكل واضح من موقف المتطهرين (Puritans) الأوربيين منذ منتصف القرن الخامس عشر الذي قام على رفض جميع أنواع الإبداع لكونها محققة للذة، مما لا يتفق مع طبيعة العقاب المفروضة على أبناء آدم لكونهم حمالين للخطيئة الأولى، خطيئة العصيان، ولم يستثن من ذلك الحظر إلا الكتابات الدينية والشعر الديني"(٨٩)، المنتمي للمتطهرين بالطبع بخلاف الكتابات والأشعار الدينية الأخرى. إلا أنّ (د.حمودة) وجدناه يشترط وجود إطار من القيم يتقيد بها المبدع في كتابته، بوصف الإبداع نتاج الوعي فضلاً عن اللاوعي، ويتقيد بها الناقد أيضا في قراءته وتقييمه للنص الأدبي.

الهوامش:

(٤٥) ينظر: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة، د.عبدالله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، الدار البيضاء–المغرب، ط١، ١٩٩٩م: ١٧ – ٢٩، ٣٠.

(٤٦) ينظر: المرايا المقعرة: ٨، ١٢، ١٠٥.

(٤٧) ينظر: الخروج من التيه: ٨. المرايا المقعرة: ٨–٩.

(٤٨) ينظر: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين: ١٥.

(٤٩) ينظر: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: ٧–٨.

(٥٠) ينظر: المرايا المقعرة: ٥٢–٥٣، ٥٥–٥٦.

(٥١) ينظر: المصدر نفسه: ٥٨، ٥٩، ٦١–٦٢. المدينة وظهور الحداثة، ريموند وليامز، ضمن كتاب: الحداثة وما بعد الحداثة، إعداد وتقديم: بيتر بروكر، ترجمة: د.عبد الوهاب علوب، مراجعة: د.جابر عصفور، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٩٥م: ١٤٦–١٤٧. ما بعد الحداثة والمجتمع الاستهلاكي، فريدريك جيمسن، ضمن كتاب: الحداثة وما بعد الحداثة: ٢٥٧–٢٥٨. نقد الحداثة: ٢٤٣–٢٤٤، ٢٤٦–٢٤٧.

(٥٢) ينظر: المرايا المقعرة: ٦٤-٦٥. نقد الحداثة: ٣٢-٣٣.

(٥٣) ينظر: المرايا المحدبة: ١٠-١١، ٦٣، ٧٠، ٨١، ٨٤. المرايا المقعرة: ٢٢، ٥٠، ٥٢، ومصدره. عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، اديث كيرزويل، ترجمة: جابر عصفور، دار آفاق عربية للصحافة والطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥: ١٥، ٢٠٢، ٢٥٩. مدخل إلى قراءة النص الشعري: المفاهيم معالم، محمد مفتاح، مجلة فصول، العدد١، ١٩٩٧: ٢٤٩.

(٥٤) ينظر: لسان العرب المحيط، ابن منظور، تقديم: عبدالله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت-لبنان، (د.ت)، المجلد١: ٣٤٦، مادة (ثبت).

(٥٥) ينظر: المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت-لبنان، القاهرة-مصر، ١٩٩١م، الجزء٢: ٣٧٣.

(٥٦) ينظر: لسان العرب، المجلد٢: ١٠٣٥، مادة (غير).

(٥٧) ينظر: المعجم الفلسفي، الجزء٢: ٣٣٠.

(٥٨) ينظر: فقه التحيز، د.عبد الوهاب المسيري، ضمن كتاب: إشكالية التحيز: ٤٩، ٩٩-١٠٠. في أهمية الدرس المعرفي، أ.د.عبد الوهاب المسيري، ضمن كتاب: نحو نظام معرفي إسلامي: ٥٢-٥٤.

(٥٩) ينظر: فقه التحيز: ٥٥، ١٠٠-١٠١. في اهمية الدرس المعرفي: ٥٢، ٦٠.

(٦٠) ينظر فقه التحيز: ٥٣-٥٤، ١٠٠.

(٦١) ينظر: أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن القيّم الجُوزيّة، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت-لبنان، ١٩٧٣م: الجزء٢، ١٩٧.

(٦٢) ينظر: المرايا المقعرة: ١٨٤، ١٨٥، ٢٠١.

(٦٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨٢-٤٨٤.

(٦٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨٤-٤٨٥. المذاهب الأدبية العربية والغربية: ١٥-١٦.

(٦٥) ينظر: المرايا المقعرة: ٩١، ١٠٤، ٢٠٠،

(٦٦) ينظر: المصدرنفسه: ١٨٤.

(٦٧) المرايا المحدبة: ٢٤. وينظر: أنوار العقل، د.جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م: ١١٧-١١٨.

(٦٨) المرايا المقعرة: ٥٥. وينظر: نقد الحداثة: ٢٩-٣٠.

(٦٩) المرايا المقعرة: ٣٠.

(٧٠) ينظر: المرايا المقعرة: ٢٥-٣٢، ٣٥-٣٦، ٣٧-٣٨، ٤٠، ٤٢-٤٣، ٩٢، ١٨٦، ١٩٨-١٩٧، ومصادره. المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين: ١١-١٥. من إشكاليات النقد العربي الجديد، شكري عزيز الماضي: ٥٥، ١٠٥.

(٧١) المرايا المقعرة: ٧٢.

(٧٢) المصدر نفسه: ٧٢. وينظر: نقد الحداثة: ١٨٨-١٨٩.

(٧٣) المرايا المحدبة: ٦٨.

(٧٤) المصدر نفسه: ٢٠٠. وينظر: المصدر نفسه: ٣٠١-٣٠٢.

(٧٥) المرايا المقعرة: ٥٢-٥٣.

(٧٦) ينظر: نقد الحداثة: ٢٧٠. المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين: ٦٠-٦٢. قراءة التراث النقدي، جابر عصفور، عربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م: ٣٧-٣٨، ٤٦. جدلية الخفاء والتجلي: دراسات بنيوية في الشعر، د.كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م: المقدمة، ٩. فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية، عبد الرحمن حامد حمد، مجلة عالم الفكر، العدد٢٣، ٢٠٠٠: ١٠. المرايا المقعرة: ٤٣-٤٧، ٧٠-٦٩، ٩٧، ٤٨١، ٤٨٩، ٤٩١.

(٧٧) ينظر: المرايا المحدبة: ٣٣. المرايا المقعرة: ٥٩، ١٠٣-١٠٤.

(٧٨) ينظر: الغربال، ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل، بيروت-لبنان، ط١٢، ١٩٨١م: ٤٧-٤٩. المرايا المقعرة: ١٦٦-١٦٨، ومصدره.

(٧٩) ينظر: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، الولي محمد، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ١٩٩٠م: ١٧٣. اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري عياد، انترناشونال برس، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م: ٩. المرايا المقعرة: ١٧٤-١٧٥.

(٨٠) ينظر: المرايا المقعرة: ١٦٨-١٧٠، ١٧٣-١٧٤.

(٨١) المصدر نفسه: ٥٦.

(٨٢) ينظر: الخروج من التيه: ٣٢١-٣٢٢.

(٨٣) ينظر: المرايا المقعرة: ٣٧٣.

(٨٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٥.

(٨٥) ينظر: المرايا المقعرة: ٣١، ٥٦، ١٧١-١٨٥. الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي: ٦٦، ١٧٣. اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي: ٩. نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، د.محمد عابد الجابري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م: ١٦. قراءة التراث النقدي: ١٤.

(٨٦) المرايا المقعرة: ١٨٠-١٨١. وينظر: قراءة التراث النقدي: ١٤.

(٨٧) ينظر: المرايا المقعرة: ١٧٥-١٨١.

(٨٨) ينظر: المرايا المقعرة: ٤٢٢.

(٨٩) المصدر نفسه: ٤٢١. وينظر: المصدر نفسه: ٤١٦-٤١٧، ٤١٩-٤٢٢. حول روافد النقد الأدبي عند العرب: نظرة تحليل وتأصيل، أحمد طاهر حسنين، مجلة فصول، العدد١، ١٩٨٥: ١٤. مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، ، د.جابر أحمد عصفور، المركز العربي للثقافة والعلوم طباعة نشر توزيع، ١٩٨٢م: ٩٧.

65
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

إضاءات مشرقة

في حياة التربوي .. المربّي القدير

الأستاذ/ سالم سعيد عبيد باريدي (رحمه الله)

حاوره/ سالمين باسلوم



توطئة:

الشيخ التربوي الأستاذ/ سالم سعيد عبيد باريدي (رحمه الله) عرفناه.. من سني تكويننا الدراسي الأولى.. معلماً جاداً.. مثابراً.. متواضعاً.. لا يرتاح له بال إلا إذا سارت حصة الدرس إلى غايتها التي يراد لها..

كان محباً لوظيفته.. وينقل عن أحد زملائه أنه كان يقول: وددت أنه لا توجد إجازة صيفية للتلاميذ.. وذلك حباً ورغبة منه في المزيد من العمل في المدرسة.. وكان يقضي جل وقته في المدرسة..

يأتي مبكراً.. ويغادرها متأخراً..

كان يجلس مع تلاميذه يتعرف على معاناتهم اليومية في داخل الصف.. ويسعى جاهداً.. ومخلصاً.. إلى علاج مشكلاتهم أولاً بأول..

لم نكن نعرفه.. إلا معلماً.. يحترم الإدارة والمدرسة والمدير.. وكان منضبطاً في حضوره وانصرافه.. ويقدر جهد الإدارة المدرسية، ويسعى قدر استطاعته لمساعدتها في نجاح عملها.. فهو يؤمن بأنه جزء من هذه الإدارة وهذه المدرسة.. وأن له نصيباً فيها من الرأي والمشورة وتحسين الأداء وتطويره.. في إطار صلاحياته.. ومسؤولياته.

وبقدر ما يؤدي ما عليه من واجبات تجاه التلاميذ داخل الصف وخارجه.. يحق له أن يطالبهم بالطاعة والاحترام.. لذلك كان شديداً مع التلاميذ الذين لا يحترمون نظام المدرسة أو يقللون من احترامهم للمعلم.. وفي الوقت نفسه عطوفاً وودوداً مع التلاميذ المقبلين على التعليم.. المحترمين للمعلمين.. قولاً.. وسلوكاً.. وتعاملاً.. وأخلاقاً.

كان محباً للاطلاع والقراءة، وينصح تلاميذه دوماً بحب القراءة والاطلاع وعرفنا عنه.. فيما بعد.. أنه كان من رواد المكتبة السلطانية.. بل هو من أبرز روَّادها في ذلك الزمن الجميل.. وكتب مقالات عدَّة في صحف ذلك الزمان.. كصحيفة الطليعة والرأي العام، والرائد.

وحقيقة.. كنت قد التقيت الأستاذ والشيخ التربوي / سالم سعيد عبيد باريدي في بيته قبل وفاته- عليه رحمة الله- وكان يجلس بجانب مكتبته المنزلية التي تضم الكثير من الكتب والمراجع والمجلات التي كان يشترك فيها شهرياً كمجلة العربي الكويتية، ومجلة الهلال المصرية.. وغيرها.

فقدنا أستاذنا المربي الشيخ الفاضل / سالم سعيد عبيد باريدي في ٢٧ رمضان ١٤٤١هـ الموافق ٢٠ مايو ٢٠٢٠م...

رحمة الله تغشاه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

66
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م



"كنت أتحمل مسؤولية مدرسة، وأدرِّس (٣٠) حصة في الأسبوع"

•.....؟

- بدأت الالتحاق بسلك التدريس بعد تخرجي في المدرسة الأهلية بالمكلا.. وكان التعليم الأهلي ذا مرحلتين، مرحلة الابتدائية والأخرى ما يشبه الإعدادية.. كان ذلك أيام حكم السلطنة القعيطية.. في حوالي عام ١٩٥٧م.

•.....؟

- خدمت في التدريس (٤٥) عاماً دراسياً.. عشر سنوات منها في التعليم الأهلي وخمس وثلاثون سنة دراسية في التعليم الحكومي.. وأتذكر من زملائي في التدريس المدرس/ حمزة محسن السقاف والمدرس/ مبارك عوض ربيع.. كان يعمل في التربية وفي القسم الفني وبعد ذلك تحول إلى دائرة محو الأمية.. والمدرس/ إبراهيم محمد السقاف.. وكثيرين.

•.....؟

- كانت أجواء التعليم زمان مشجعة.. تؤدي حصتك ودرسك على أحسن ما يكون.. طلبة مثاليون.. ومجتمع مثالي.. وتربية مثالية.. وقد توليت في تلكم السنين مسؤولية مدرسة.. وأدرس ثلاثين حصة في الأسبوع.. تخيَّل!! ولا نشتكي.. ولا نصيح.. نعمل بكل تفان وإخلاص.. وأمانة.. لأن معلم زمان متسلح بالصبر وبالإيمان، وبرسالة التعليم وبحب العلم والتعليم.. وبحب العمل.. والكثير من معلمي اليوم لديهم ذلك ولكن بشكل ضعيف.. وأكثرهم يجرون وراء المادة.. إلى جانب العامل السياسي الذي أثر تأثيراً واضحاً في مخرجات التربية والتعليم في كل النواحي.

•.....؟

- نعم.. نعم.. أعتز بالعمل مع بعض المديرين والمعلمين الأكفاء وعندهم أهلية كالأستاذ يحيى بن علي الحاج.. وواحد من حضرموت الداخل اسمه/ أحمد بريكان هذه الشخصيات التربوية وغيرها أثَّروا فينا.. كانوا يعملون في مدارسهم بجد ويشجعون على العمل وكانوا يدلُّونك على الأجود والأفضل.. فكانوا خير المديرين الذين عرفناهم، كم أتمنى أن ينال المعلمون

67
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م



والتربويون استحقاقاتهم وحقوقهم ومطالبهم كلها.. وأن تكون مدارسنا منارات إشعاع وركائز مضيئة لنلحق بركب الأمم الناهضة.. فلا حياة اليوم.. حياة كريمة إلا بالعلم وبالجد والمثابرة والمساعي الحثيثة نحو الغد الأرحب.. فالطريق طويلة والبحر غزير والآمال كثيرة والطموح أكبر.

• .....؟

- نعم.. بخصوص المتقاعدين التربويين نسأل الله أن يمد في أعمارهم.. وأقترحُ في هذا الشأن أن يبادر مكتب وزارة التربية والتعليم في المحافظة المحمية بعون الله وحفظه وكرمه إلى إنشاء أو تكوين مجمع تربوي أو منتدى أو نادٍ للمتقاعدين، والاستفادة من ذوي الخبرات والاختصاص والمهارات والكفايات العالية، والاستفادة من عطاءاتهم وقدراتهم في المجالات التي كانوا يعملون بها بدلاً من تركها تضيع وتهدر في دهاليز الإغفال والتناسي والإهمال.

• .....؟

أقول لكم.. إنَّ كلي شوق وشغف إلى اليوم الذي أرى فيه إعادة حصص المكتبة المدرسية.. ضمن البرنامج

"جلست ثمانيَ سنوات أتابع من أجل تعديل الراتب والشهادة!"

الدراسي.. لما للمكتبة من دور مهم في تنشئة الأبناء، وإكسابهم المزيد من المعارف والعلوم في أثناء القراءة الحرة وبتوجيه من المربين.. زيادة على ما يستجد من نهضة وتطور في كل مناحي الحياة في العالم كله.. لذا على الأبناء الولوج في عالم القراءة والكتاب.. هذا العالم الواسع حتى ينالوا حظاً من الثقافة العامة وينال كل منهم بغيته.

• .....؟

- في البداية، وقبل الاستقلال كان المجال حراً للكتابة.. كنت أكتب في صحيفة (الطليعة) مقالات عدَّة.. ومن ضمنها سلسلة مقالات ما قبل الاستقلال.. وكانت مجرد خواطر وأحاديث اجتماعية وتربوية وسياسية.. وكتبت في صحيفة (الرأي العام) وغيرها من صحف ذاك الزمان.. ولكن لما جاء الاشتراكي (الله يصلحه) ويصلح جماعته.. كمَّم الأفواه، ومن قال كلمة، قالوا له: هات معناها.. والحليم تكفيه الإشارة!!

•.....؟

- في تلك الفترة كان فيه نشاط نقابي تربوي تتنافس فيه نقابتان، نقابة المعلمين، ونقابة المهن.. وكنت متحمساً لنقابة المعلمين وأفضِّلها على النقابة الأخرى، وكان فيها الأستاذ الشيخ التربوي / عمر محمد بن سهيلان (رحمه الله).. والحقيقة أنَّ نقابة المعلمين لها من اسمها نصيب فهي تخص المعلم الذي يمارس الطبشورة والسبورة، أما نقابة المهن.. فهي تضم السائق والكاتب والإداري والمعلم وغيرهم.

وأتذكر أنَّه كانت هناك احتكاكات بين الجبهة القومية وجبهة التحرير.. وأقحموا النقابتين معهم في صراعاتهم السياسية.. وكتبت مقالاً في ذلك الوقت بعنوان: (لا أريد إلا الإصلاح ما استطعت) وكتبت رأيي فيما يحدث.

"معلم زمان.. يتحلى بالصبر.. الإيمان.. وحبه للعمل"

•.....؟

- نعم.. وهناك نشاط ديني مارسته في مجال تدريس القرآن الكريم وتحفيظه في المساجد.. والفكرة جاء بها وشجعنا عليها الشيخ الأستاذ/ عوض محمد بانجار (رحمه الله).. وكان يلقي دروسه في مسجد (جامع البلاد)، وكانوا يطلقون عليه في ذلك الوقت مسجد (بن شاهين).. واستطاع الشيخ/ عوض بانجار تشجيع الشباب وتحفيزهم على عمل الخير ودراسة القرآن وتحفيظه.. وعندما غادرَنا بانجار ترك ثغرة كبيرة عندنا في حي الشهيد.. وفكَّرنا نحن في إحياء حلقات القرآن في مسجد جامع البلاد.. والشباب كان عندهم الميول التي عندي فاجتمعنا مع بعض وأحيينا هذه الحلقات.. وقد شجعنا المرحوم بإذن الله تعالى/ عمر محمد بامدهاف.. وكان خير داعم لهذه الحلقات.

"إن عاد بي الزمان إلى الوراء سأختار مهنة التدريس لأنها مهنة إنسانية؟!"

•.....؟

- من الأشياء التي تركت أثراً سيئاً في نفسي وخاصة من جانب مكتب وزارة التربية والتعليم أنني كنت أتابع مؤهلي.. ومرتبي.. إذْ كانوا- للأسف- يعاملونني بشيء من الجفوة.. وجلست ثماني سنوات وأنا أتابعهم من أجل تعديل الراتب والشهادة.

أما الخبر الذي فاجأني هو سماعي لخبر وفاة الزميل العزيز/ صالح فرج بامطرف/ ، ولم أكن أعرف أنه متوفٍ إلا من خلال ما قرأته في نشرة (أخبار التربية) التي كانت تصدر عن مكتب وزارة التربية والتعليم ساحل حضرموت.. وقد كان بيني وبين المرحوم احترام كبير نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته.

•.....؟

- نعم.. لأنهم ظلموني في مرتَّبي.. وأنا أتابعهم فترة طويلة من أجل تعديل الراتب والشهادة إلى المعاش، إذْ معي شهادة جامعية من كلية التربية دبلوم/ تخصص لغة عربية.. وأحلت للمعاش التقاعدي عام ٢٠٠٣م بشهادة الثانوية ولم يتم تعديل الشهادة إلى الشهادة الجامعية، وتقاعدت وكان راتبي حينذاك سبعة وخمسين ألفًا وعشرين ريالاً (٥٧٠٢٠) ريالاً، وهذا من الأشياء التي تركت أثراً سيئاً في نفسي. وأرجو أن ينظروا إلى تظلمي في رفع راتبي وتغيير شهادة تخرجي من ثانوية إلى جامعية.. وضمها إلى ملف الخدمة ورفعه لإدارة المعاشات.. هذا ما أتمناه.

•.....؟

- على فكرة.. كان لي دور في الأنشطة المدرسية الصحية.. أخذت دورات صحية في مستشفى باشراحيل بالمكلا عام ٧٠/ ١٩٧١م، وكان النشاط المدرسي الصحي في المدارس في ذلك الوقت ممتازًا جداً.

69
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

الشيخ التربوي سالم سعيد عبيد باريدي في سطور

- من مواليد المكلا عام ١٩٤٤م.
- تتلمذ في المدرسة الأهلية في المكلا على يد السيد الأستاذ/ محسن علوي شيخان السقاف.. وآخرين.
- التحق بالعمل في التعليم الأهلي (المدرسة الأهلية) في ١/١/ ١٩٥٧م.
- والتحق بالتدريس في المدارس الحكومية في العام الدراسي ٦٥ /١٩٦٦م.
- المستوى الدراسي: كلية التربية/ دبلوم تخصص اللغة العربية.
- تقاعد: في عام ٢٠٠٣م.
- كرم من مكتب وزارة التربية والتعليم / ساحل حضرموت عام ٢٠١٠م في احتفال يوم المعلم بمركز بلفقيه الثقافي بالمكلا.
- أخذ دورات صحية بمستشفى باشراحيل بالمكلا عام ٧٠/ ١٩٧١م ونال شهادات تقديرية بذلك.
- كان له كثير من النشاطات الاجتماعية والنقابية والصحية والدينية. وله اهتمامات صحفية وكتب عدة مقالات في صحف ذاك الزمان كصحيفة الطليعة والرأي العام والرائد.. وغيرها.
- كان من أبرز رواد المكتبة السلطانية بشهادة أمينها الأستاذ/ عبدالله السكوتي.
- تولى مسؤوليات مدارس بموجب التنقلات العامة.. وتولى مسؤولية نائب مدير مدرسة.. وتحمل مسؤولية الإرشاد ورئيس شعبة اللغة العربية والتربية الإسلامية في الكثير من المدارس بمدينة المكلا وغيرها.
- عاصر الكثير من مديري التربية والتعليم بحضرموت والمديرية منهم / محمد سعيد بن جوهر وعبدالله حسين البار وعلي بانجار.. وعبداللاه هاشم السقاف.
- عندما سئل: إذا عاد بك الزمان قليلاً إلى الوراء.. إلى سنوات توظيفك الأولى.. هل ستختار مهنة التدريس؟ كان جوابه: سأختار وبكل فخر مهنة التدريس.. لأنها مهنة إنسانية.
- توفي عليه رحمة الله.. في ليلة مباركة ٢٧ رمضان ١٤٤١هـ الموافق ٢٠ مايو ٢٠٢٠م.

رحمة الله تغشاك أستاذنا/ سالم سعيد باريدي..
إنا لله وإنا إليه راجعون

•.....؟

- كرمت مرة واحدة.. بعد ما أحلت إلى المعاش التقاعدي من قبل مكتب وزارة التربية والتعليم بساحل حضرموت عام ٢٠١٠م في احتفال يوم المعلم في مركز بلفقيه الثقافي.

•.....؟

- أتذكر موقفاً طريفاً حدث معي.. وأنا تلميذ صغير في الابتدائية.. في المدرسة الأهلية بالمكلا.. لم أكن أعرف ما معنى: الامتحان؟! وصادف يوماً أن عملوا امتحانًا في المدرسة، وأخبرونا أنه في نهاية الأسبوع سيختبروننا في هذا الامتحان.

وسألت: ما الامتحان؟

قالوا لي: الامتحان فيه ناس يفوزون وفيه ناس يسقطون. وأنا خفت من كلمة يسقطون!! لم أفهم بعد.. ما المقصود بالسقوط؟ ففزعت.. وخفت.. وغبت أسبوعاً كاملاً عن المدرسة إلى أن انتهى الامتحان.. ولما أدركت ذلك فيما بعد.. ضحكت على نفسي كثيراً.

•.....؟

- إن على المعلم مسؤوليات كبيرة.. فأنا أشوفهم هذه الأيام - أعني المعلمين - يدخلون الصف ولا يعرفون كم عدد طلبة الصف، ولا يسألون عن أسمائهم، ولا يسجلون الغياب في حصصهم.. نحن كنا زمان ما ندخل الصف نسأل عن الغياب ونسجل أسماء التلاميذ وفي اليوم التالي نوقفهم ونعرف منهم سبب غيابهم ويأتي الجزاء من جنس العمل.. كما كنا نعرّفهم بأنفسنا.. ونسجل ذلك على السبورة.. ونحاول أن نتعرف عليهم واحداً واحداً وعلى أحياء سكنهم.. وغيرها من المعلومات.. هكذا كانت تمشي الأمور في المدارس زمان.

•.....؟

- رسالتي للتربية والتعليم وهم عليهم في مكتب الوزارة مهام جسام.. أنا أرى منها إلغاء الفترة المسائية.. وأن يضعوا هذا الأمر في أولوياتهم.. لأن التعليم في هذه الفترة قضى على جوهر التعليم وأصبحت هذه الفترة يسودها اللامبالاة وعدم الانضباط والتدني في مستوى التحصيل العلمي.. وعندهم اليوم إمكانيات كبيرة جداً ولكن الأمر في اعتقادي يحتاج إلى شجاعة وأمانة وإخلاص وشعور بالمسؤولية.

70
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

من (بلدان حضرموت) إلى (صوفية حضرموت)

ملاحظات على طبعة (دار المنهاج) لكتاب (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت)

لابن عبيد اللاه السقاف



الشيخ/ علي بن سالم بن سعيد بكير

(١)

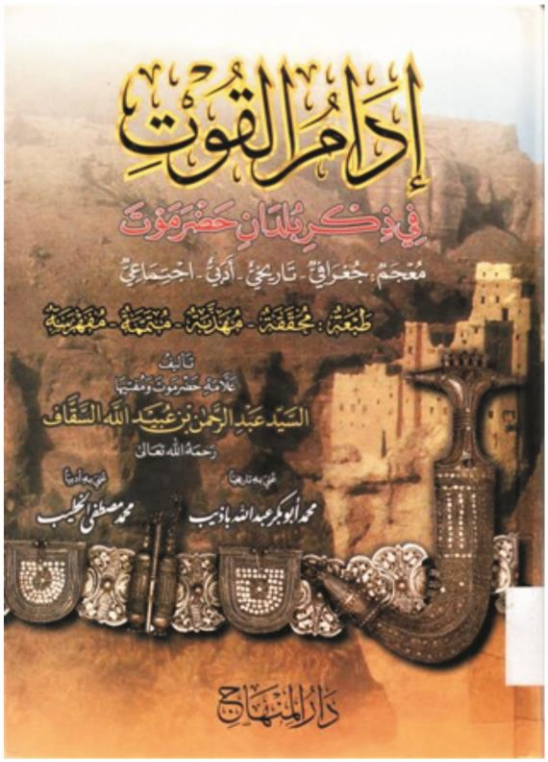
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الصادق الأمين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فهذه ملاحظات تاريخية، واستدراكات علمية، كتبتها منبِّهًا على ما جاء في تعليقات (باذيب) على كتاب (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت)، للسيِّد العبقري العلامة الفذ عبدالرحمن بن عبيد اللاه السقاف رحمه الله تعالى، في الطبعة التي أصدرتها (دار المنهاج) بجدة، وكان عدد صفحات الكتاب في هذه الطبعة (١١١٠)، وقيمة النسخة من هذه الطبعة (٢٨٠٠) ريالٍ يمنيٍّ. في حين كان عدد صفحات النسخة في الطبعة التي سبقتها (٦١٦)، وثمنها (٨٠٠) ريالٍ يمنيٍّ فقط ! ولو كانت هذه التعليقات التي أثقلت كاهل الكتاب، وضاعفتْ قيمته المادية أكثر من مرتين، وزادتْ من صفحاته إلى ما يقارب الضعف، أقول لو كانت هذه التعليقات ذات فائدة تذكر أو لو أنها جاءت في كتاب مستقل لما كان لنا أن نأسف أو نحزن أو نعترض، لكن أن تجيء هذه الزيادات والإضافات في كتاب تاريخي جغرافي، لكاتب عملاق، وأديب فذ، في حجم العلامة الكبير ابن عبيد اللاه، فذلك ما يملأ النفس أسًى، ويقطع الكبد حسرات، ولسْنا بهذا نعطي العصمة لابن عبيد اللاه ولا لغيره، فما زال العلماء ينبِّهُ بعضُهم على بعض، ويستدرك لاحقُهم على سابقهم، ولكن أين هذا من صنيع باذيب؟! الذي استعرض معلوماته في هذه التعليقات، وخرج بالكتاب عن مجراه الطبيعي من التاريخ والجغرافيا، وجعل منه كتاب مناقب وتراجم لفئة معينة ممَّن سكنوا حضرموت، وكان بإمكان (باذيب) أن يخرج معلوماته تلك في كتاب مستقلٍّ، ينسبه لنفسه، وينظر من يقرأ له، في الوقت الذي كان في وسع العلامة ابن عبيد اللاه أن يجعل كتابه هذا في المناقب والتراجم لو أنه أراد، وهو أقدر على ذلك من باذيب نفسه . مع أنه قد جاء على غلاف الطبعة

71
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

التي علق عليها بـــاذيب تحت اســـم الكتاب : (معجم جغرافي تاريخي أدبي اجتماعي)، (طبعة محققة مهذبة متمّمة مفهرسة)، وجاء في صفحـة أخرى أسـماء اللجنة العلمية للكتاب ذكر أسـماء عشرين شـخصًا، جاء اسـم بـاذيب أوّلهَا، وكتب عليه أنه عُني به تاريـخيًا، فأين هي العنايـة التاريخية أو غير التاريخية التي بذلها بـاذيب لخدمة الكتاب؟ وقـد حـذفت من نسـخة الكتاب المخطوطة في بـعض المواضع صفحات بكاملها في هذه الطبعة المحقّقة المهذّبـة المتمّمة، بـل إننا نجد الحذف في بـعض المواضع بـين هذه الطبـعة وطبـعة (المقحـفي) التي لم تنفدْ نسـخُها بـعدُ من الأسـواق عندما ظهرت طبـعة دار المنهاج، التي تحمل العشرين اسماً في لجنتها العلمية . وكمثال على ذلك ما جاء في ترجمة السيد علي بـن محمد الحبـشي عند ما ترجم له ابـن عبيد اللاه في معرض كلامه عن سيئون.

(٢)

وفي الواقـع أنه لم يكن في نيَّتي التعرُّضُ لبحـث هذه التعليقـات أو الرَّدُّ على صاحبـها، وليس عندي من الوقت متسَّعٌ لذلك، بيد أني رأيْتُ كثيرًا من القُرَّاء إنْ لم نقلْ أكثرهم لا يعرفون شيئًا عن مؤلِّف الأصل السـيد ابن عبـيد اللاه عليه الرحمة والرضوان، وليسـت لديهم الخلفية التاريخية التي يسـتطيعون بها التمييز بـين الغث والسمين، وبين الصحيح والسقيم، وقد يضعون الثقـة في هذه التعليقـات التي قلبـت الحقـائق التاريخية رأسًا على عقب، وقد جاء فيها صاحبُها بالمضحـك المبـكي، وستصبحُ هذه التعليقات في يوم من الأيام حقائقَ ثابتةً غيرَ قابـلة للنقـاش إنْ لم تُفنَّدْ، كما أصبـح للأسـف الشـديد كتاب المقحـفي (معجم البـلدان والقبـائل اليمنية) من مصادر باذيب في تحقيقه لكتاب ابـن عبـيد اللاه، ومن مصادر الموســوعة اليمنية التي أصدرتهْا مؤسسة العفيف الثقافية.



(٣)

لقـد صُدِّرَتْ هذه الطبـعة بمقـدِّمة كتبَها الشـيخُ حمد الجاسر عندما قام بنشر كتاب إدام القـوت أوَّلَ مرَّة في مجلة (العرب)، وتصدير الكتاب بهذه المقـــدمة شيء جميل وحســـن، لكن الشيء الذي لا ينبـــغي أن يكون هو التعليقات الكثيرة المُقحَمة على هذه المقـدمة التي بـلغت (٢٩) تسـعًا وعشرين تعليقـة، في حـين جاءت المقـدِّمة نفسُها مع التعليقـات التي أدخلت عليها في (١٤) أربـع عشرة صفحـة، أي أن هذه التعليقـات كانت أكثر من المقـدِّمة نفسِها، وما هي هذه التعليقـات؟ هي عبـارة عن تراجم لشـخصيات ليسَ لها أية علاقـة بـالكتاب ولا بـموضوعه، فما يكاد الشـيخ حمد الجاسر يذكر أيَّ اسـم حتى يبادر هذا المعلِّق فيقوم متبرِّعًا، بـالتعليق على التعليق، فيكتب ترجمة طويلة لهذه الشخصيات، فقد ترجم للسـيد (هادون العطاس) والمستشرق (سـارجنت)، ولم ينسَ أنْ يُتحفَنا بسـنة ميلاده، وأين تعلَّم، والأعمال التي قـام بها،

وأسماء مؤلفاته، وسنة طباعتها، كما ترجم في تعليقاته على هذه المقدَّمة للسيد عبد اللاه الحبشي، وللسيد عبد الله بن محمد السقاف، وبنته السيدة خديجة، والسيد إبراهيم السقاف، والسيد أحمد السقاف، والشيخ الناخبي، والمستشرق فاندرمولن الذي استغرقت ترجمته من هذه التعليقات سبعة وثلاثين سطرًا، وقد استدرك في هذه التعليقات على الشيخ حمد الجاسر، وكان الحق فيها مع الشيخ الجاسر مثل قول الجاسر: "إن أسرة آل السقاف تنمى إلى السيد سقاف بن محمد بن عمر الصافي العلوي النسب"، فيأتي باذيب ليقول مستدركًا على الجاسر: "بل تنمى إلى الشيخ الكبير عبد الرحمن السقاف المتوفى بتريم سنة (٨١٩ هـ) عن (٨٠) عامًا".

(٤)

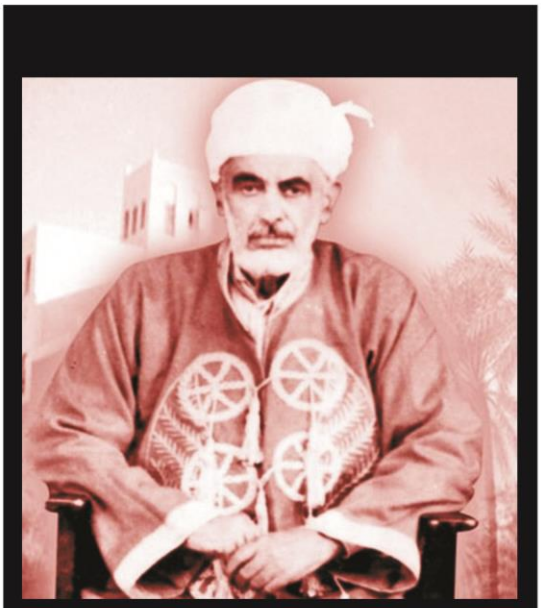
قال السيد ابن عبيد اللاه بعد مقدمة قصيرة لم تستغرق سوى أحد عشر سطرًا، واستغرقت تعليقات باذيب عليها ثلاثين سطرًا، في تسع تعليقات لم تكن مقدمة السيد ابن عبيد اللاه في حاجة إليها، ثم يأتي أوَّل عنوان من عناوين الكتاب الأصلية فيقول ابن عبيد اللاه رحمه الله في رأس صفحة (٤١): (حضرموت) "ساكنة الضاد، مفتوحة الميم" فيأتي المعلِّق ليقول: "حضرموت بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم، ومنهم من يضم الميم فيجعلها حضرموت على وزن عنكبوت" فماذا صنع باذيب بهذا الضبط بعد ضبط المؤلف؟

قال ابن عبيد اللاه في صفحة: (٤٨) "وأنشد ياقوت لبعض شعراء الحضارم:

جاب التنائف من وادي سكاك إلى

وادي الأراك إلى بطحاء أجياد

وهو في عدة أبيات لها قصة طويلة أوردها الهمداني في الإكليل وغيره". فيقوم باذيب بالتعليق على كلام ابن



عبدالرحمن بن عبيد اللاه السقاف
مؤلف كتاب (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت)

عبيد اللاه هذا متبرِّعًا بنقل القصة بحذافيرها من الإكليل مع الأبيات بكاملها في (٣٤) سطرًا، فهل بلغ به ظنُّه أنَّ السيِّدَ ابن عبيد اللاه ينتظر حتى يأتي باذيب فيكمل معلوماته رحمه الله ؟ مع أن من المعلوم عند علماء الحديث والسير والتاريخ أن القصة موضوعة. ولعلَّ هذا هو ملحظ ابن عبيد اللاه في تركه لرواية هذه القصة. وإن مثل هذا التصرف يعطي صورة واضحة للتدخل في صميم تفكير المؤلِّف، الذي عُرِفَ عنه منذُ صِبَاه أنَّه يرفضُ فرضَ الرأي بالإكراه، ونفورُه الشديد من التبعية والتقليد الأعمى.

لقد كثرت في الكتاب التعليقات المقحمة التي ليست لها أية صلة بالنص، فهي مما لا يوضح غامضًا، ولا يفصِّل مجملاً، وكمثال على ذلك التعليقة التي جاءت في صفحة: (٥٨) تحت رقم (٣) وكان أوَّلُها: "وكذلك من الأمور التي اشتهرت بها حضرموت ما يلي ..." وسرد لنا المعلِّق تحت هذا الرقم سبعة أسطر كاملة سردًا مُملاًّ بعيدًا كُلَّ البُعدِ عن الموضوع الذي هو في صلب الكتاب، ومثلها التعليقة التي جاءت في صفحة (٦٥) تحت رقم (١)،

والتي نقل فيها أربعة أسطر من كتاب : الشامل للسيد علوي بن طاهر الحداد المعاصر للسيد ابن عبيد اللاه . ومثلها التعليقة التي بعدَها والتي صدَّرها المعلِّق بقوله: "يُستفَادُ بعد التمحيص والسبر ..."

أما في صفحة (٦٧) وعندما كان المؤلِّف ابن عبيد اللاه يتكلم عن منطقة : (بالحاف) تحت عنوان رئيس في صلب الكتاب، وعرَّفه بقوله: "هو من وراء عين بامعبد إلى جهة الشرق، وهو مرسى لآل أحمد بن هادي آل عزان". جاء هذا المعلِّق بتعليقتين استغرقت إحداهما تسعة عشر سطرًا، يقول فيها ما يلي عن الشيخ سعيد بن عمر بلحاف (القرن السابع الهجري): "أحد كبار الأولياء العارفين بالله، ومن أعيان صوفية حضرموت في العصور الوسيطة، تخرج بالإمام الكبير الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي (ت٦٥٣ هـ)، ولعل هذه المنطقة تنسب إليه أو إلى أسرته المعروفة بها، كان هذا الرجل من الأكابر، ولكن لم تصل إليه أقلام المؤرِّخين، ولم يترجموه في كتبهم، واكتفوا بإشارات عابرة فقط، كان من أهل الذوق والوجدان والعرفان، له شعر رمزي عجيب غريب، عثرتُ في بلدنا شبام على مجموعة صغيرة من شعره، وقد كان للسادة بني علوي اهتمام بشعره، واعتنى جماعة منهم بشرح بعض قصائده الغريبة الفريدة سنأتي على ذكرهم، ومن الآخذين عنه والمعاصرين له الشيخ الجليل عبد الله باعلوي حفيد شيخه الفقيه المقدم كما ذكر في ترجمتها من "المشرع". ثم ذكر لنا المعلِّق شرَّاح شعر بالحاف هذا، ولم يبخل على القراء أن يتحفهم بنموذج من شعره، فذكر لنا مطلع إحدى قصائده وهو: "نحن لكم من قبل أن يولد نوح ...". وانظر إلى هذا الاستنتاج العجيب المقلوب المنكوس المعكوس ؛ إذ جعل البلد المنسوب إليها الرجل -إن صحت نسبته إليها- جعلها منسوبة هي إليه أو إلى أحد أفراد أسرته، ثم انظر أيها القارئ -الذي هو أبعد ما يكون عن السياق التاريخي والجغرافي الذي هو موضوع الكتاب- انظر كم خرج بنا وبك هذا المعلِّقُ عن السياق الأصلي إلى سياق صوفي أسطوري، هو أبعد ما يكون عن تفكير المؤلِّف وموضوع كتابه، حتى ننسى أننا مع كتاب ابن عبيد اللاه (في ذكر بلدان حضرموت)، فنكون مع كتاب جديد في هامشه لباذيب (في ذكر صوفية حضرموت)، كان حريًّا به أن ينشره ويستعرض فيه معلوماته، وأنْ يشرِّق به ويغرِّب، ولكن لا يحقُّ له بأي مقياس من المقاييس أن ينشره متطفِّلاً به على كتاب ابن عبيد اللاه، وليتصوَّر القارئُ كَمْ يكونُ غضبُ ابن عبيد اللاه -وله الحقُّ أنْ يغضب- عندما يقرأ مثل هذه الترُّهات في كتاب له، حرص كل الحرص أن يخرجه للناس في أنصع صورة، وأبين منطق، ولم يكن ابن عبيد اللاه تعجزُه مقدرته العلمية - وهو مَنْ هو - أن يجمع لنا في كتابه هذا أضعاف أضعاف معلوماتك أيها الباذيب، ولكنه كما عرف عنه يتميز باحترام تخصُّصه، ودقة تحرِّيه، والبعد عن التفكير الخرافي ..... ومثل هذه النماذج من هذه التعليقات كثير، بل هي أكثرها، وكمثال على ذلك انظر كيف يُحِيلُكَ هذا المعلِّق في التعليقة الثانية من هذه الصفحة إلى كتاب: (ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان).

وفي صفحة: (٧٠) قال: ابن عبيد اللاه: "ثم انعقدت بأثرها على القرب بينهم معاهدة أخرى بتاريخ (٢٢ نوفمبر) من السنة المذكورة". فيأتي المعلِّق ليشرح لنا أن نوفمبر اسم الشهر الحادي عشر من شهور السنة الشمسية الميلادية بحسب التقويم الرُّومي، ثم يرسم لنا جدولاً في الهامش فيه أسماء الشهور الرومية وما يقابلها من الشهور السريانية، فهل نسي باذيب ما هو عمله في هذا الكتاب ؟ وهل هذا التفسير لشهر نوفمبر يدخل في موضوع تحقيق

الكتاب أوتهذيبه أوتتميمه أو فهرسته أو العناية به تاريخيًا كما جاء في صفحة العنوان لهذه الطبعة، وإذا كان الأمر كذلك فليفسرْ لنا أيضًا معاني كل كلمة وردت في النص المذكور، ويأتي لنا بما يقابلها من اللغات الأخرى.

وفي صفحة (٩٢) كان المؤلف يتحدَّث عن (حجر) حضرموت. فيعلِّق عليها باذيب بتعليقة استغرقتْ خمسة أسطر، لم يأت فيها بجديد، ثم قال ابن عبيد اللاه: "وباليمن موضع يقال له حجر على مسافة عشرة أيام من زبيد". علق باذيب عليه بما يأتي: "زبيد هي البلدة المشهورة، صنّف في تاريخها مصنفاتٌ، أجودها لابن الدَّيبع الشيباني، ومن أجمل ما كتب عنها الكتاب المسمى: زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ) للأستاذ الفاضل: عبدالرحمن عبدالله الحضرمي (١٩٣٣ـ١٩٩٣) رحمه الله، صدر عن المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء في: (٢٠٠٠م)".

وحقُّ هذا الكلام أن ينشر في صحيفة يومية لا أن يعلق به على موضوع الحديث عن حجر حضرموت، ولو أنه حدَّثنا بشيء عن حجر اليمن لكان له بعض العذر. وفي صفحة (٩٧) كان المؤلِّف يتكلَّم عن قبائل نوّح فقال: "ومنهم الخامعة تشمل باصرة وباقديم وباسلوم وبارشيد .....". فيعلِّق باذيب بقوله: "آل باصرة هؤلاء غير آل باصرة سكان حوفة وتولبة من بلاد وادي دوعن الأيسر، فإن أولئك سادة أشراف من بني علوي الحسينيين، وسيأتي التنبيه على هذا في موضعه لاحقًا". ونحن نقول له: مادام أن السيد ابن عبيد اللاه يعدِّد قبائل الخامعة فما هي فائدة تعليقك هذا؟! لولا أنه من باب عرض المعلومات والتكثر بما لم تعط، ومادام أنه سيأتي التنبيه على هذا في موضعه لاحقًا فلماذا تشغلنا بالتنبيه عليها هنا مع أنَّ المقام نفسه لا يحتاج إلى تنبيه أصلاً لا هنا ولا هناك!. وفي صفحة (١٠٣) يذكر السيد ابن عبيد اللاه في معرض حديثه عن حجر فيقول نقلاً عن شيخه المشهور: "وللسيد أبي بكر البيتي ابن إبراهيم بن السقاف عقب منتشر بحجر وكنينة". فيعلِّق على ذلك باذيب بترجمة للسيد الفاضل محمد رشاد البيتي، يذكر لنا فيها سنة مولده وشيوخه وطلبه للعلم وتخرجه في القضاء وآثاره العلمية ومحل إقامته الآن ... ثم ذكر أيضًا السيد العلامة أحمد الغزالي وطلبه للعلم وتولِّيه للقضاء، ثم انتقاله بعد ذلك إلى عمان ولا ينسى أن يذكِّرنا بأنه صهر العلامة السيد حامد الجيلاني الآتي ذكره في الخريبة وأنه من شيوخ القاضي محمد رشاد وأنه توفي سنة ١٣٨٠ هـ تقريبًا، ثم تلتْ هذه تعليقات أخرى كلُّها تختص بنسب السادة الأشراف آل أبي علوي مما ليس له أدنى تعلُّق بموضوع الكتاب الأصل وسياق الحديث عن التعليقة أربع حجر وإنما محل هذه المعلومات (القيمة) هي ذاكرة المعلِّق باذيب. وفي صفحة (١٠٥) عند ذكر المؤلِّف (لبروم) قال: "هي مرسى حصين من عواصف الرياح أحصن من مرسى المكلا - على حصانته- فإليه تأوي السفن عند اضطراب الأمواج وهيجان البحر، وهو واقع بين ميفع والمكلا". فكرَّر باذيب هذه المعلومات نفسها في تعليقة استغرقت أربعة أسطر، في حين لم تستغرق هذه المعلومات في الأصل سوى سطرين و ختم هذه التعليقة بقوله: "وقد شهد العديد من الحوادث سيذكرها المؤلف هاهنا"، ونقول له: مادام أنه سيذكرها هاهنا فما فائدة كلامك هذا إذن ؟

وفي صفحة (١٠٦) لم يكتف باذيب بما أثقل به الأصل من التعليق المقحم حتى ذهب ليتحفنا بعنوان يحمل لنا فائدة هامَّة، ترجم فيها للسيد حسن بروم، مبيِّنًا سبب تسميته بهذا الاسم، وتبرع بذكر سنة وفاته، وتفلسف فلسفة غريبة عجيبة، ليس لها أدنى علاقة بموضوع الكتاب.

وفي صفحة (١٠٧) قال السيد ابن عبيد اللاه: "ومن أعيان بروم في القرن الثامن الشيخ مزاحم بن أحمد باجابر". علق باذيب على ذلك بقوله: "صوابه القرن التاسع وإنما لم يقف المؤلف على تاريخ وفاته فظنه من أهل القرن الثامن، وكانت وفاته كما في تاريخ شنبل سنة ... ٨١٧ هـ". ونقول: إن كلام ابن عبيد اللاه هو الصواب؛ لأن الشيخ مزاحم عاش جُلَّ سنيِّ حياته في القرن الثامن فنسبته إلى القرن الثامن أنسب من نسبته إلى القرن التاسع كما هو واضح.

وفي صفحة (١٢٠) يتحفنا باذيب بفائدة لتحويل التاريخ الميلادي إلى الهجري، ونقول له شكر الله لك صنيعك بما تتحفنا به من فوائدك واستعراض معلوماتك عن القبب والزيارات والمزارات، ولكننا نذكِّرك في الوقت نفسه بأن هذه الفوائد النفيسة ليس محلُّها هوامش كتاب إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، وإنما محلُّها مذكراتك الخاصة، وذاكرتك التي تختزن مثل هذه المعلومات ذات التوجه الميتافيزيقي، وليس في كتاب يُعنَى بالجانب الفيزيائي الجغرافي المحسوس.

أما في صفحة (١٣٠) فيتحفنا (المحقق) باذيب بتسعة أسطر، ترجمة منه للضابط السياسي إنجرامس، لا ينسى فيها ذكر سنة مولده، ومشاركته في أحداث الحرب العالمية الأولى، وترقيه إلى رتبة ملازم، وما كان له ولزوجته من أعمال خيرية بحضرموت كما يزعم باذيب . والحقائق تؤكِّد والواقع ؛ والناس يعرفون في حضرموت ما هي أعمال إنجرامس الإجرامية في البلاد والعباد.

وفي صفحة (١٤٨) تكلم ابن عبيد اللاه عن السيد الفاضل محسن بن جعفر بونمي بما أراد أن يذكر بمناسبة حديثه عن غيل باوزير، فيأتي باذيب ليعلِّق بتعليقة استغرقت ستة عشر سطراً بمعلومات عن السيد محسن المذكور، هو جدير بها وبأكثر منها، ولكن ليس هنا محلُّها، فلماذا لا تكتب يا باذيب عن السيد العلامة الفاضل محسن أبو نمي كتاباً مستقلاً و لك الفضل والشكر.

أما التعليقة الغريبة العجيبة المنافية للحكم الشرعي فهي ما جاء في صفحة (١٧٤) قال باذيب تعليقاً على قول المؤلف عن القباب المبنية على القبور ما يأتي: "أي يحرم بناؤها إن كانت المقبرة مسبَّلة، ولا يحرم ذلك إن كانت ملكًا خاصًّا ...". ومن المعلوم أن الحكم الشرعي هو حرمة البناء على القبور سواءً كانت المقبرة مسبَّلةً، أو موقوفة، أو ملكًا خاصًّا كما يؤخذ ذلك من الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك فلا وجهَ لتخصيص التحريم بالمقبرة المسبَّلة.

وفي صفحة (١٩٦) عندما كان ابن عبيد اللاه يتكلم عن الشحر قال: "وخرج من الشحر جماعة من العلماء الفضلاء كآل أبي شكيل وآل السبتي وآل بن حاتم وغيرهم. وإليها ينسب خلق كثير". فيعلِّق باذيب على كلام ابن عبيد اللاه فيقول: "لم يذكر المصنف هنا أحداً من علماء آل باشكيل وحقُّهم أن يذكروا فمن أجلِّهم"، وذهب يذكر لنا من يعرفهم هو من علماء آل باشكيل مع إنه من المعروف أن آل باشكيل إنما عُرفوا في غيل باوزير، وحتى بعض الذين ذكرهم هو كمحمد بن مسعود باشكيل الذي ذكر أنه ولد بغيل باوزير، ولماذا يلزم باذيب ابن عبيد اللاه أن يذكر علماء آل باشكيل ولم يلزمه أن يذكر علماء آل السبتي وآل بن حاتم وغيرهم، فكأنه بهذا يريد أن يلزم ابن عبيد اللاه باستعراض المعلومات التي يعرفُها هو ظنًّا منه أن ابن عبيد اللاه لا يعرف هذه المعلومات، ولا يدري أن ابن عبيد اللاه ملتزم التزاماً منهجيًّا بموضوع كتابه، وكما ذكر ابن عبيد اللاه نفسه بعد أسطر أنه: "لا يحصى كثرة من أنجبته الشحر من رجالات الفضل والعلم، وقد ألَّفتْ لذلك الكتب، ككتاب (نشر المحاسن

المسكيَّة في أخبار فضلاء الشحر المحمية)". وقد بلغت التعليقات على مادة الشحر من الأصل أكثر من مائتين وعشر من التعليقات، أكثرها تراجم لفضلاء السادة العلويين، كان بإمكان باذيب أن يفردهم بكتاب خاص ينسبه لنفسه ولا يتطفل بهذه المعلومات على كتاب العلامة ابن عبيد اللاه وعلى موضوعه في التاريخ وجغرافية بلدان حضرموت . وكمثال على ذلك التعليقة التي أوردها الباذيب في صفحة (٢١١)، واستغرقت منه ثلاثة عشر سطرًا، وهي عبارة عن ترجمة للسيد علوي بن علي الجنيد، الذي ترجم له العلامة ابن عبيد اللاه في الأصل بسطرين فقط، وهي إشارة شافية كافية في مثل هذا الموضع، ولا يجوز لباذيب ولا لغيره أن يأتي إلى كتاب ابن عبيد اللاه فيقحم فيه مثل هذه العناوين : "ملاحظة : أسرة المترجم تعرف بآل الجنيدي بياء النسبة، وهم غير آل الجنيد أهل تريم، فأولئك ينتسبون إلى محمد با حسن جمل الليل" ... إلى آخر ما يقوله باذيب الذي وضعه في غير محله؛ ليدلِّل لنا على سعة معلوماته بأنساب السادة العلويين.

وفي صفحة (٩٠٢) يقول ابن عبيد اللاه وهو يتحدث عن طبقة من في عصر الفقيه المقدم فمن بعده وأن لهم من الأعمال والرياضات ومجاهدات النفوس ما لا تستقر له العقول ولا تتصوره الأفكار، ولا تقدر على تصديقه القلوب إلا بعد ضرب الأمثال من المشاهدات ... مما يصدق قول المغربي السابق : "إنهم بالملائكة أشبه". فيعلق باذيب فيقول: "يشير إلى "رحلة المغربي إلى تريم" التي جرت في سنة (٨٦٥ هـ)، وهو شخص مجهول لا يعرف اسمه، وجرى كلام حول صحة ومصداقية هذه الرحلة، لكن الشيخ محمد بن عوض بافضل أوردها بتمامها في نهاية (صلة الأهل)، وعضَّدها بكونها قرئت على مولانا الحبيب أحمد بن حسن العطاس فأيَّدها، ينظر "الصلة" (٣٢٦ـ٣٤٢)". ونحن نقول له: إن هذه الرحلة لا أصل لها في الواقع، وإنما هي عبارة عن مقامة أدبية متخيَّلة، مثل مقامات الحريري وغيرها، وضعها السيد العلامة حسن بن علوي بن شهاب المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ، كما ذكر ذلك السيد محمد أحمد الشاطري في الجزء الثاني من كتابه أدوار التاريخ الحضرمي ص : وقال إن الأستاذ محمد بن هاشم أخبره أن السيد حسن بن علوي بن شهاب قال له إنه هو واضع هذه الرحلة، والسبب في وضعه لها معروف ومن الأدلة على أن هذه الرحلة موضوعة وليست حقيقية على ما ذكره باذيب نفسه من أن الشيخ محمد بن عوض بافضل أوردها بتمامها في نهاية صلة الأهل . ونحن بدورنا نسال باذيب هل إيراد الشيخ محمد بافضل لها بتمامها في صلة الأهل يكون دليلاً على صحتها؟ أو ما ذكره مولانا العطاس من تأييد أهل الباطن لها يكون دليلاً على صحتها؟ ونقول له: يا باذيب: إن هذه الرحلة التي تطنطن وتدندن لتثبت وقوعها، إنها ما احتاجت لتأييد أهل الباطن لها إلا لأن أهل الظاهر أنكروها، ثم نسأله أيضًا من هم أهل الباطن؟

وفي صفحة (٩٢٦) عندما كان ابن عبيد اللاه يتحدَّث عن تريم والمدارس العلمية بها قال رحمه الله: "وفتحت في الأخير مدرسة على نفقة خيرات المرحوم شيخ بن عبد الرحمن الكاف إلا أنهم لم يبنوا لها منها مكانًا، وقد تخرج منها جماعة أنجبهم الشيخ سالم سعيد بكير ومبارك عمير باحريش". وقد علق باذيب على كلام ابن عبيد اللاه هذا بتعليقتين خطَّأ فيهما ابن عبيد اللاه، والحقيقة إنَّ الغلط في فهمه هو وفي معلوماته التي لا يتحرَّى مصادرها، ففي التعليقة الأولى يقول:

وفي صفحة (٩٦٣) قال المؤلف: "(الجِرَب) بكسر الجيم وفتح الراء: مكان واسع كانت به قرية جرت فيها الحادثة المشهورة سنة ٩٥٨ هـ". علق باذيب على كلام ابن عبيد

اللاه هذا بقوله: "ضبط الجرب هكذا غريب، لمخالفته عرف أهل حضرموت، والجَرْب عنهم معروف وهو بفتح الجيم وسكون الراء. بل كذلك ضبطه بافقيه في تاريخه والعيدروس في النور السافر كلاهما في حوادث سنة ٩٥٨ هـ".

ونقول: إن الغريب العجيب هو عقل باذيب هذا وقفزاته الكبيرة! فانظروا إليه معاشر القُرَّاء كيف انتقل بنا وبكم من منطقة الجِرَب بكسر الجيم وفتح الراء - وهكذا هو ضبطها وما يزال الناس ينطقون بها إلى اليوم حتى العوام منهم، التي هي مكان واسع شرقي مدينة تريم، كانت به قرية جرت فيها الحادثة المشهورة التي يشير إليها بافقيه والعيدروس، فيأتي باذيب لينتقل بنا فجأة إلى الجرب بفتح الجيم وسكون الراء الذي هو مساحة محددة من الأرض الزراعية - ولم يكفه هذا التلاعب حتى يذهب إلى تغليط المؤلِّف ويستغرب من ضبطه الصحيح للكلمة، ويدَّعي أن ذلك مخالف لعرف آل حضرموت فيا سبحان الله!: ما يبلغ الأعداء من جاهل، ما يبلغ الجاهل من نفسه.

وفي صفحة (٩٧٠) يقول ابن عبيد اللاه بعد أن ذكر دمون ثم الفجير: "وهي بيوت قليلة حواليها مزارع ومغارس نخيل". فيحدِّثنا باذيب عن هذه الفجير وأنها غير الفجير التي بسيئون، وقد فات باذيب أن يقول لنا إن في تريم (أسمرة) و(لبنان) و(التواهي)، وأنها غير التواهي التي في عدن.

وفي الصفحة نفسها يقول ابن عبيد اللاه: "ثمَّ: حصن دُكين وهو ثغر دمون، وقد سبق ذكره في أخبار آل غرامة. ورأيت في بعض المذكَّرات أن عبد الله عوض غرامة هجم على هذا الحصن...". فيعلق الباذيب على كلام ابن عبيدالله فيقول: "يقول القاضي المشهور عن بير الدكين أنها: "تقع قريبًا من بير السوم القريبة من مسجد بروم". وقال: "بير الدكين، المعروفة والمعمورة بالزراعة والنخيل، وقد كانت مشحونة بالسكان كما بلغنا" اهـ (صـ٦)"، هذا كلام باذيب وتعليقه على كلام ابن عبيد اللاه، فانظر إليه كيف يفكِّر، وكيف يتصوَّر؟! ففي حين يتحدث ابن عبيد اللاه رحمه الله عن حصن، والمشهور يتحدث عن بئر نجد باذيب يوحد بينهما ليفسر الحصن بالبئر، ويربط الشعرة بالبعير.

أناديه زيدا وهو يسمع خالدا وينطقها بكرا ويكتبها عمرا

وفي الصفحة نفسها من الغلط، ما نسبه باذيب إلى صاحب كتاب (بغية من تمنى)، وهو عالم معاصر معروف، وليس له أي اهتمام بالتاريخ، ومع ذلك نسب إليه باذيب عندما ذكر ابن عبيد اللاه قرية (الغويضة) أن القاضي المشهور سماها (الغويطة)، ويتفلسف باذيب فيقول: *ولعل الاسم تحرَّف على العامة*. ونقول: إن الغويضة هي الغويضة بالضاد المنقوطة عند العامة وعند الخاصة، وعند السيد المشهور صاحب (بغية من تمنى)، ولم تتحرَّف الكلمة عند أحد قط إلا في دماغ باذيب. ولعل النقطة سقطت في النسخة التي وقف عليها باذيب من كتاب (بغية من تمنى)، ولو أن السيد المشهور رحمه الله اطلع على كلام باذيب هذا لزجره أشد الزجر، ولن يرضى بنسبة هذا الزعم إليه.

وفي الأخير نقول كما تقدم سابقًا إن ما أحزننا وآلمنا هو أن تكون هذه الزيادات والإضافات في كتاب تاريخي جغرافي لكاتب عملاق وأديب فذ في حجم العلامة الكبير ابن عبيد اللاه، وكان بإمكان باذيب أن يخرج معلوماته تلك في كتاب مستقل ينسبه لنفسه وينتظر من يقرأ له.

78
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

تضارب المداخل والاتجاهات في مقال د. صادق عمر مكنون

ملاحظات على بحث د. عبدالقادر باعيسى الموسوم بـ «كتاب المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي - قراءة تحليلية»

(الجزء الثاني)



د. عبدالقادر علي باعيسى

وبعد أن أورد د. مكنون ما يراه عن المنهج التحليلي واضطرب فيه، وصل إلى النتيجة نفسها التي وصل إليها من خلال إسقاطه التفكيكية على قراءة د. باعيسى، فقال: "وعليه فإن د. باعيسى خالف في تحليله أسس منهج التحليل العلمي والتي سوف نبينها في ملاحظاتنا على متن البحث"[٤٧] وسنتابع معه ملاحظاته.

يقول: "يصدمك د. باعيسى من البداية ودون مقدمات بوصفه اليقيني للكتاب أنه كتاب يقوم على الغيبيات التي تحضر في أذهان المؤمنين بها، ويدخل إلى موضوع الكرامات دون مقدمات ليفرض على القارئ من البداية التصورات والانطباعات المسبقة التي لديه عن الكتاب"[٤٨] ويضيف: "إن وصف الكتاب أنه يقوم على الغيبيات بالمعنى السلبي لمجرد ذكره للكرامات، يمكن أن نقول عنه في أحسن الأحوال إنه وصف غير موفق، لأن الكتب التي تتناول الموضوعات الدينية في تخصصاتها المختلفة بما فيها كتب تراجم علماء الدين، لا تخلو من ذكر الغيب (الله، الملائكة، الجنة، النار، وكل أمور الآخرة، والمعجزات والكرامات.. إلخ)"[٤٩] وهنا أبعد د. مكنون النجعة، فما عرضنا لشيء مما ذهب إليه من غيب الجنة والنار والملائكة وأمور الآخرة التي نؤمن بها، فضلا عن إيماننا بالله سبحانه، ولو أكمل التنصيص لظهر الأمر للقارئ بأننا نعني بالغيبيات الكرامات تحديدا، ولكنه بتره عن سياقه، ومفاده أن كتاب (المشرع الروي) "كتاب يقوم على الغيبيات التي تحضر في أذهان المؤمنين بها بصورة تبدو أنقى من اليقين، بوصف الناقلين (للكرامات) مرجعيات دينية وأخلاقية رفيعة يعتمد عليها المؤلف في تقديم الموروث دليلاً حيًا قادما من الزمن الماضي لتأكيد صحة اعتقاده في

هذا المنحى"[٥٠] ويعود في موضع آخر فيقول: "فالغيب موجه للقيم في حضرموت منذ أن اعتنق أهل حضرموت الإسلام، وليس بعد صدور كتاب المشرع الروي"[٥١] فيمزج مرة أخرى بين الغيب الذي أقصده في القراءة، وهو الاتصال بين عالم الأحياء والأموات، وأسرار عالم الكرامات، والغيب بمعناه المطلق المتعلق بأمور البرزخ والآخرة الذي فصل فيه القرآن الكريم، والسنة الشريفة.

ويقول د. مكنون بعد أن أورد عدداً من المقولات للعلماء ابن تيمية وعبدالله بن أسعد اليافعي والشوكاني والقرطبي تتحدث عن الكرامات، وحصولها، والتصديق بها[٥٢] يقول: "مما سبق يمكن القول إن ما جاء في (المشرع الروي) يتسق مع التراث العلمي الحضرمي، والسياق المعرفي الإسلامي"[٥٣] ونحن لا ننكر ما قاله الأئمة من أمر حصول الكرامات، ولكن تظل مجرياتها وكنهها أمراً خاصاً يحصل لبعض الناس، ولذلك أشرنا إلى أنها موضوع مكتف بذاته يعرفه الذين حدثت لهم الكرامات من غير أن نعرف نحن عن الكيفيات والعلاقات التي تجري فيها،[٥٤] ولم نعرض لوقوع الكرامات، أو عدم وقوعها، حتى يناقشنا د. مكنون في هذا الشأن، ولسنا مختصين في ذلك، كما أن د. مكنون ليس مختصا فيه، لكن أن تندرج الكرامة، بل أن (تتسق) مع التراث العلمي الحضرمي، والسياق المعرفي الإسلامي فهذا ما نناقش فيه د. مكنون حيث تتداخل الأبعاد والفضاءات في مقاله، وهي في نظره فضاء واحد متسق: الكرامة- العلم- المعرفة، فثمة علاقات تركيب وتواصل غير منطقية بين فقرات مقاله الذي يقول في موضع آخر منه "كما تطرق أي كتاب المشرع الروي- إلى بعض القضايا الفقهية العلمية ومن ضمنها موضوع الكرامات"[٥٥] حيث يجتمع الفقه- العلم والكرامة، من غير أن يحيل إلى رقم الصفحة أو الصفحات التي عرض فيها الشلي للقضايا الفقهية المندرج في إطارها موضوع الكرامات.

إن ما يزعمه د. مكنون من اندراج الكرامات في إطار العلم، وفي إطار المعرفة، وفي إطار الفقه ذلك ما أسأله فيه، فمَن مِن علماء المسلمين رتب الكرامات في مقام المعرفة، والعلم، والفقه، أو أدرجها في ضمن أساسياتها وبنودها حيث يبرز النشاط المنهجي للعلم، والضوابط الموضوعية للمعرفة، والاستنباط الدقيق الواقعي لأحكام الفقه؟ وإنما تندرج في باب الإيمان من باب العقيدة. ثم ما هو التراث العلمي الحضرمي الذي يقصده؟ إلا إذا أراد كتاب المشرع الروي وما سبقه وتلاه من كتب في سياقه.

وكما تتسق الكرامات مع العلم والمعرفة في نظر د.مكنون، فهي مفهومة عقلا ومنطقا أيضا، يقول: "إن القضايا التي أشار إليها د. باعيسى هي واضحة ومفهومة عقلاً ومنطقًا في السياق المعرفي الإسلامي عند العلماء والعامة. فحالة الموت لا تعني الفناء وإنما هي انتقال من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ، وهو عالم غير منقطع، له تعلق بالآخرة، وتعلق بالدنيا، وعليه فالتواصل بين الأحياء والأموات ممكنة لمن تهيأت له الأسباب"[٥٦] وأعود وأسأله من الذي قال بأن حالة الموت تعني الفناء، أو نفى الاتصال بين عالم الدنيا والبرزخ حتى يورد هذا القول؟ هل يريد د. مكنون أن يستدعي إلى ذهن القارئ أفق توقع مختلف عن قراءة د. باعيسى ويؤثر سلبا عليه؟! وما أريد أن أقف فيه معه هنا هو كيف تكون الكرامات مفهومة عقلا ومنطقا؟ بل كيف تكون مفهومة عقلا ومنطقا حتى عند العامة، والسؤال الذي يضع نفسه: كيف يفهم د.مكنون مع مفهومي العقل والمنطق؟ وكيف يقدمهما لقارئه؟ لا يورد شيئًا من التفصيل عنهما لتنوير القارئ سوى إلقاء المفاهيم والمصطلحات بتعميم شديد (التراث العلمي الحضرمي. السياق المعرفي الإسلامي. العقل. المنطق) إلى درجة أن يقول في سياق نصه المستشهد به في هذه الفقرة:

"وعليه فالتواصل بين الأحياء والأموات ممكنة لمن تهيأت له الأسباب"[٥٧] فهل يندرج هذا التواصل في إطار الفهم العقلي والمنطقي التي يتحدث عنه؟!.

واللافت أن د. مكنون بدفاعه عن الكرامات[٥٨] يثبت بصورة عفوية أن كتاب المشرع الروي في جزء أساسي منه كتاب كرامات، وأنها ليست عرضية فيه، بينما يورد في مواضع أخرى أنه كتاب تراجم وسير[٥٩] كأن الكرامات والسير موضوعان متقابلان، منفصل أحدهما عن الآخر، والواقع أن الكرامات جزء أصيل من التراجم، وعلاقتها بها علاقة الجزء بالكل، أو العضو بالجسد، وفي هذه الحالة لا يمكن تحديد ثقل الكرامات في كتاب المشرع الروي وأهميتها بالكم، بل بحركتها الوظيفية والدلالية داخل النص التي سمحت لنا بأن نراها مهمة في الكتاب، وكافية لإجراء القراءة عليها. ولو جئنا إلى الكم تماشيا مع د. مكنون، فأن يترجم الشلي لمائتين وأربعة وثمانين شخصا، ويذكر لمائة وأربعة منهم كرامات، أمر ليس بالهين، بغض النظر عن نسبة هذه الكرامات إلى غيرها من المعلومات عن الشخص المترجم له التي يرى د. مكنون أنها نسبة ضئيلة جدًا،[٦٠] ذلك لأن الشلي لو ذكر لكل شخص كرامة في حدود ثلاثة أسطر فقط، بحجم خط طبعة دار التراث الدقيق ونوعه، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها والتي يتراوح فيها السطر بين خمس عشرة وعشرين كلمة تقريبًا، نكون أمام ما يربو على ثلاثمائة سطر من الكرامات، أي أمام ما ينيف على خمسة آلاف وخمسمائة كلمة في أقل تقدير، كافية لإثبات موضوع الكرامات في الكتاب، وإجراء القراءة عليها، في الوقت الذي يريد د. مكنون من خلال رده التغاضي عن موضوع الكرامات، وعدم الخوض فيه، يقول في إطار دفاعه عن الكتاب "أما كتب الفقه والسير والتراجم والتاريخ العام فلا يمكن أن نصفها بذلك الوصف، وإن ذكرت فيها أمور غيبية، لأنها ليست غالبة، فلا يمكن على سبيل المثال أن نصف كتابا في جغرافيا بأنه كتاب رياضيات، لمجرد وجود أرقام إحصائية، وعمليات حسابية وردت فيه"[٦١] ويقول: "إن القراءة الموضوعية العلمية تفيد أن كتاب (المشرع الروي) هو كتاب تراجم على نسق كتب التراجم في حضرموت والعالم الإسلامي"[٦٢] ويقول: "ولكن الحقيقة الموضوعية لكل مستقرئ للواقع أن آل باعلوي ليسوا الوحيدين في حضرموت من كتب تراجم لعلمائهم وصلحائهم سواء في عصر الشلي أو قبله أو بعده، فكثير من الأسر الحضرمية كتبت تراجم علمائها وصلحائها وذكرت فيها كراماتهم"[٦٣] ويورد أمثلة على الأسر الحضرمية التي كتبت تراجم عن علمائها وصلحائها كآل باجمال، وآل باوزير، وآل الخطيب، وآل باقشير[٦٤] ويضيف: "كما أن بعض كتب تراجم آل أبي علوي كتبها علماء من غير آل أبي علوي"[٦٥] ويورد أمثلة على ذلك كالشيخ عبدالرحمن بن علي بن حسان، والفقيه عبدالله بن عبدالرحمن باوزير، والشيخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب، والعلامة الشيخ محمد عمر بحرق، وأن كثيرًا من الأسر والقبائل الحضرمية في العصر الحاضر تنشر تراجم صلحائها وأعيانها في كتب وموسوعات[٦٦] وما يمكن قوله هنا هو أن التراجم صنف كتابي له مساره التاريخي الخاص به في التطور والتحول المرتبط بتغير الأزمان والايديولوجيات، وكيفيات الكتابة، فلا يمكن القول بتماثل التراجم الحضرمية -هكذا بعموم- مع تراجم العالم الإسلامي، أو بتساوي التراجم المحلية في رؤاها، وغاياتها، ومضامينها، فالتمايز الايديولوجي والفكري والسياسي يقف وراء نوعية كتابة السير والتراجم، باختلاف المواقع الفكرية والسياسية والايديولوجية والمراتبية لكاتبيها، أو من يمثلونهم، أو يكتبون عنهم، فالتراجم في المحصلة الأخيرة إفرازات ايديولوجية وثقافية متعددة، وليست

متماثلة بعفوية كما يذهب د. مكنون، ويضعها في سلة واحدة، مما لا يمكن أن يتفق مع المنظور العلمي، ولا الزمني، ولا الأسلوبي، ولا الطبقي، ولا الايديولوجي.

فهل يمكن أن تتماثل -على سبيل المثال- كتابة التراجم في العصور الوسطى، وكتابة التراجم اليوم من حيث الأسلوب، واللغة، وطريقة العرض، والاهتمام ببعض القضايا دون بعضها، حتى لو كان الأمر يتعلق بالصالحين والعلماء فقط، أي بفئة محددة من الناس، فالتراجم وما هو خارج وقائعها الكلامية من ظروف ومواضعات يختلف، كالأوضاع المقامية لأصحاب التراجم، ودرجات ما يحيط بهم من التقدير الاجتماعي والسياسي، وكيفيات تقبل الآخرين لمختلف التراجم، وأصحابها، وما يتعلق بذلك من تحليل أو تفسير لأبعادها الايديولوجية الظاهرة والمضمرة، مما لا يمكن أن يتسق مع الرأي الذي قدمه د. مكنون في القول بتساوي التراجم، ويدخل أساسًا في إطار التداول الذي تنشط معه هذه الأبعاد وغيرها بكيفيات متعددة[٦٧].

ويشير د. مكنون إلى أن كتاب المشرع الروي "تم تأليفه في الحجاز، فهو موجه لجمهور القراء في العالم الإسلامي، وليس للداخل الحضرمي الذي تسود فيه البيئة القبلية الزراعية البسيطة بحسب وصف د. باعيسى، والتي تغلب عليها الأمية، وهو غير متيسر لكل القراء. لهذا ألف كتاب المسلك السوي"[٦٨] ولنفترض جدلاً مع د. مكنون أن كتاب المشرع الروي ألف لمخاطبة شعوب مختلفة، فإن تأثيره على حضرموت سيكون بالغ الأثر لاختلاف المدارك العقلية والاجتماعية والشعورية للشعوب، فدرجات التفاعل مع الكتاب في مختلف أقطار العالم الإسلامي لن تكون بالمستوى نفسه الذي سيحدث في حضرموت، لأنه نتج أصلا من طبيعة البيئة الحضرمية حيث يشكل المكان، والتاريخ، والجغرافيا، والموروث، والعادات والتقاليد بنى متماسكة تجعل علاقة الكتاب بحضرموت أساسية، فلا يمكن فصل الكتاب عن الشروط الاجتماعية والثقافية والزمنية التي انطلق منها في حضرموت، وإن كتب في مكة، أي لا يمكن قراءته خارج السياق الثقافي العام الذي جاء منه، فهو مصوغ بصورة ثقافية واجتماعية متعلقة بحضرموت إرسالا وتلقيا بصورة أكثر من غيرها من البلاد، ثم إنه من الناحية الشخصية متعلق بالمكان الخاص الذي نشأ فيه المؤلف، تريم تحديدًا، والقيم التي تشربها، وليس كما يريد د. مكنون أن يدفع بأن الكتاب ليس موجها للداخل الحضرمي[٦٩] في طرح بدا متجاوزًا واقع الحال بدرجة كبيرة.

وما الذي يضير إذا أردنا التعرف على حياة أجدادنا الماضية مادام هذا الكتاب ينطق بها ويصورها تصويرًا ناطقًا بكثير من وقائع العصر الذي كتب فيه، وأن نتعرف عليه في بعض مناحيه بوصفه جزءا من موروثنا نحاول قراءته، لاسيما أن ما ينقله ليس تجربة رجل واحد، ولا تجربة جماعة بعينها، بل تجربة مجتمع بأكمله، ولذا استشهدنا منه بنماذج لآل باعلوي وغير آل باعلوي، وأشرنا إلى أنه يشكل جزءًا من بنية زمنية وتراثية سابقة عليه يندرج في إطارها مثل كتاب (الجوهر الشفاف في كرامات السادة الأشراف) للشيخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب الأنصاري، وكتاب (غرر البهاء الضوي، في مناقب السادة بني علوي) للسيد محمد بن علي خرد باعلوي[٧٠] وأراد د. مكنون أن تكون قراءتنا شاملة لكل كتب الكرامات السابقة على كتاب المشرع الروي عندما أشار بأن د. باعيسى "بنى تحليلاته عن الكتاب خارج المنظومة النسقية الزمنية والتراثية لحضرموت، وحصره في منظومة خاصة بآل باعلوي"[٧١] وقد جاء حصر الموضوع في كتاب المشرع الروي وفقًا وعنوان المؤتمر العلمي الثالث الذي أقامه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وهو (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرنين الحادي عشر والثاني

عشر الهجريين، السابع عشر والثامن عشر الميلاديين) ويسعدنا أن نراجع موروثنا بشكل مستمر في مناح وتواريخ متعددة سواء غلبت عليه الرؤية الواحدية الجاهزة، أو عدة رؤى، إننا لا نبحث عن مصدر للخطأ بقدر ما نبحث عن مصدر للحوار في إطار جدل الحاضر - الماضي لمعرفة ماضينا بصورة جيدة، وفهم ما فيه لصالح واقعنا المعاصر.

ويرى د. مكنون أن د. باعيسى "لم يعط للقارئ نبذة عن المؤلف مع أن السيد الشلي قد كتب نبذة عن حياته في المشرع الروي"[٧٢] بل يورد بنفسه نبذة عنه في مقاله موضوع النقاش[٧٣] وكان قد طلب من د. باعيسى وفق رؤية فكر ما بعد الحداثة التي عرضها في أول مقاله- بأن يميت الشلي إماتة كاملة معتمداً على نصه فقط، وخطّأه في أنه أشار إلى أنه مؤلف كتاب المشرع الروي سواء جاء قوله في إطار حديثه عن الفكر الحداثي العام أو التخصيص المقصود به الشلي[٧٤] ويعود هذا الاضطراب إلى تباين المداخل المنهجية والفكرية التي انطلق منها، بحيث أفقد مقاله الوظيفة التفاعلية المتكاملة نصيًا ومنهجيًا، بل أفقده وحدة ملامحه الشكلية التي تمنحه عناصر التماسك الظاهر في الأقل.

ويشير د. مكنون إلى أن "من يقرأ مقدمة المؤلف لكتاب المشرع الروي يكتشف أن العنوان الذي وضعه المؤلف لكتابه لم يضف إليه (السادة الكرام) يقول السيد الشلي: سميته المشرع الروي، في مناقب بني علوي"[٧٥] وسواء وضع الشلي تلك الكلمة في عنوان كتابه، ولم يوردها في مقدمته، أو وضعها غيره، فهي موجودة على غلاف الكتاب حيث يتم التعامل مع نص مرسوم بين أيدينا، مما يدل فعلاً على التضخيم الذي حصل، سواء كان من المؤلف، أو من النساخ، أو من الذي أشرف على طباعة الكتاب، أو قام بطباعته، ولو أسقطنا كلمة (الكرام) أو (السادة الكرام) من العنوان، ماذا سيقال حينئذ؟ أقل ما يمكن أن يقال: هو أن د. باعيسى تعمد إسقاط جزء من عنوان الكتاب، وأنه لا يتمتع بالنزاهة العلمية. والمفارقة هي أن د. مكنون عندما ذكر مؤلفات الشلي في النبذة التي قدمها عنه[٧٦] ذكر منها كتاب المشرع الروي بالعنوان الذي انتقد فيه د. باعيسى الموجود على غلاف الكتاب، وهو: (المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي)!.

ويقول د. مكنون: "كل من اطلع على كتاب المشرع الروي سيجد أن د. باعيسى لم يستقرئ كل جزئيات الكتاب الذي يريد تحليله، بل لم يستقرئ كل ما ورد في الكتاب عن الجزئية التي ركز عليها في تحليله، وهي كرامات الأولياء، وهذا خطأ منهجي يؤدي إلى الخلوص إلى نتائج خاطئة"[٧٧].

أما أن د. باعيسى لم يستقرئ كل جزئيات كتاب المشرع الروي، فلأن موضوع قراءته اقتصر على الكرامات، وإن سقط لفظها من العنوان لسبب غير مقصود كما أوضح ذلك سلفا، ومتن قراءته يدل على أنه قصدها دون غيرها، وأما أنه (لم يستقرئ كل ما ورد في الكتاب عن الجزئية التي ركز عليها في تحليله) وهي الكرامات، فلا أدري ما الذي دل د. مكنون على ذلك؟ وقد اكتفى د. باعيسى -من حيث العرض- ببعض النماذج دون كلها، وهو أمر معروف في كتابة البحوث والدراسات، ولا مشاحة في ذلك.

ولعل أحدا يناقش بأن ما قدمه د. مكنون ملاحظات لا تستلزم الوحدة المنهجية والموضوعية، ومن ثم لا تستلزم هذا الرد الباحث عن التماسك، ولكن الأمر ليس كذلك، فنحن أمام مقال متكامل جعل له د. مكنون مقدمة، وقسمه قسمين: أولا، وثانيا، قسم الأول منهما (أولاً) جزئين أ، ب، وقسم الجزء (ب) إلى أجزاء أصغر وضع لها أرقاما (١، ٢، ٣) وقسم القسم الثاني (ثانيًا) جزئين لم يجعل لهما أحرفا أبجدية على غرار أولا، بل جعل للأول رقما، في مخالفة واضحة لعملية الترتيب التقني، وترك الثاني بغير ترقيم، وهو متصل بالأول اتصالا مباشرا، واختتم بعنوان منفرد، وذلك على النحو التالي:

المقدمة.

أولاً: الملاحظات المنهجية.

أ- منهج فلسفة ما بعد الحداثة.

ب- منهج البحث العلمي الأكاديمي، ويشمل:

١ - عنوان البحث.

٢ - منهج البحث.

٣- التحليل عند علماء مناهج البحث العلمي.

ثانيًا: ملاحظات على متن البحث، ويشمل:

١ - الكتاب والمؤلف.

-السياق المعرفي للكتاب.

إشكالية البحث الاجتماعية.

ليس هذا فحسب، بل إنه أراد لمقاله أن يؤدي عملية التوجيه والتصويب العلمي، وأسنده إلى ما رآه مناسبًا من مراجع فكرية ومنهجية تجاه ما يراه في قراءة د. باعيسى من خلل، يقول: "لهذا رأيت أنه يلزم علي أن أستعرض بإيجاز شديد منهج ما بعد الحداثة لمعرفة مدى استخدام د. باعيسى لهذا المنهج[٧٨] ويقول: "ولكي نتعرف على مدى استخدام الباحث هذا المنهج، نستعرض بإيجاز مفهوم هذا المنهج عند علماء مناهج البحث العلمي، ومدى استخدام د. باعيسى لهذا المنهج"[٧٩] مما يشير إلى أن د. مكنون، قصد إلى بناء مقاله بناء فكريا ومنهجيا متينا من وجهة نظره، ولم يقصد إلى تقديم ملاحظات شتى، لكن وقد عز عليه في ما يبدو- إيجاد عنوان جامع يلم شتات ما ذهب إليه سمى مقاله (ملاحظات...).

وأرجو أن يقف معي القارئ عند هذه العبارة الدالة على الأستاذية المتعالية: (... لمعرفة مدى استخدام د. باعيسى لهذا المنهج) يقصد ما بعد الحداثة، وكأنه يخاطب طالبًا مبتدئًا، يقول هذا- وهو الأستاذ المتخصص في التاريخ- في زميل له متخصص في مجال الأدب والنقد، عمل على تدريس مبادئ النقد الأدبي الحديثة واتجاهاته لمساقي الماجستير والبكالوريوس في كليتي التربية والآداب بجامعة حضرموت أكثر من عشرين عامًا، وألف في ذلك عددا من الكتب النظرية والتطبيقية[٨٠] واشترك مع عدد من الأساتذة في تأليف كتب أخرى[٨١] وناقش وأشرف على عدد من الرسائل العلمية[٨٢] وحكّم بحوث أساتذة في الحداثة للترقية في الألقاب العلمية[٨٣] وكتب مقالات منثورة في بطون الصحف والمجلات المحلية والعربية[٨٤].

ونحن لا ننزه أنفسنا عن النقد، لكن من الناحية المبدئية والعلمية، كيف يمكن لأستاذ من مجال أكاديمي مختلف أن يسمح لنفسه بالخوض، وباستعلاء، في مجال أستاذ آخر متخصص فيه. نحن لا ننقد المناقشة، ونرحب بالتصويب، فلم يكمل أحد نصاب العلم، وإنما ننقد الاستعلاء غير المسوغ ومحاولة فرض الأستاذية والتوجيه في نطاق أكاديمي لا علاقة له به بشكل مباشر.

كما أرجو أن يقف القارئ عند عبارته الأخرى (ولكي نتعرف على مدى استخدام الباحث هذا المنهج) يقصد منهج البحث التحليلي كما سماه، وقد ناقشناه في ذلك، غير أنه قام بعد ذلك- بشرح خطوات التحليل من حصر جزئيات المادة المطلوبة للدراسة من قبل الباحث، وتصنيفها، وترتيبها، وتنظيمها[٨٥] وهي خطوات يقوم بها الباحث عند إعداد بحثه، وتظهر آثارها في متن البحث بكيفيات مختلفة، حسبما يراه الباحث، ولا أدري ما إذا كان د. مكنون يريد أن يشرحها للدكتور باعيسى، أو للقارئ، فهي مما يتعلمه الباحث في أوليات حياته البحثية، ويكفي أن نشير إلى أن العنوانات الداخلية لقراءة د. باعيسى، وهي:

- تعريف بالكتاب انطلاقا منه.
- وظيفة الكتاب.
- الكتاب انطلاقا من الشلي.

تدل على القيام بتلك الإجراءات من الترتيب، والتصنيف، والتنظيم.

الهوامش:

٤٧) مقال د. مكنون، ص٣٠.

٤٨) نفسه، والصفحة نفسها.

٤٩) نفسه، والصفحة نفسها.

٥٠) كتاب المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي، قراءة تحليلية، مرجع سابق، ص٥٥.

٥١) مقال د. مكنون، ص٣٢.

٥٢) ينظر نفسه، ص٣٥-٣٦.

٥٣) نفسه، ص٣٦.

٥٤) ينظر كتاب المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي، قراءة تحليلية، مرجع سابق، ص٥٦- ٥٧.

٥٥) مقال د. مكنون، ص٣١.

٥٦) نفسه، ص٣٥-٣٦.

٥٧) نفسه، ص٣٦.

٥٨) ينظر نفسه، ص٣٥-٣٦.

٥٩) ينظر نفسه ص٣٠-٣١.

٦٠) ينظر نفسه، ص٣٢.

٦١) نفسه، ص٣٠.

٦٢) نفسه، ص٣١.

٦٣) نفسه، والصفحة نفسها.

٦٤) ينظر نفسه، والصفحة نفسها.

٦٥) نفسه، والصفحة نفسها.

٦٦) ينظر نفسه، والصفحة نفسها.

٦٧) ينظر عالم الفكر، العدد٤، المجلد٣٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت٢٠٠٤م، ص٢٥٣.

٦٨) نفسه، ص٣٢.

٦٩) ينظر نفسه والصفحة نفسها.

٧٠) ينظر كتاب المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي، قراءة تحليلية، مرجع سابق، ص٥٥.

٧١) مقال د. مكنون، ص٣١.

٧٢) نفسه، ص٣٣.

٧٣) ينظر نفسه، ص٣٤-٣٥.

٧٤) ينظر نفسه، ص٢٦-٢٧، ص٢٨.

٧٥) نفسه، ص٣٤.

٧٦) ينظر نفسه، والصفحة نفسها.

٧٧) نفسه، ص٢٩.

٧٨) نفسه، ص٢٥.

٧٩) نفسه، ص٢٩.

٨٠) منها:

- في مناهج القراءة النقدية الحديثة، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، مركز عبادي للدراسات والنشر، دار حضرموت للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية ٢٠٠٤م.

- ضمن الوجه، تكشفات قرائية في خصوصيات شعرية يمنية، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، مركز عبادي للدراسات والنشر، دار حضرموت للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية ٢٠٠٤م.

- استئناف الكلمات، قراءة في نصوص شعرية حضرمية، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، الجمهورية اليمنية ٢٠١٦م.

٨١) منها:

- المحضار بأقلام عشاقه، دراسات ومقالات (كتاب آفاق-٥) صادر عن فرع اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، المكلا، حضرموت، الجمهورية اليمنية ٢٠١٠م.

- شهاب غانم في بستان طاغور، قراءة في منجزه الإبداعي، إعداد وتقديم عبدالحكيم الزبيدي (سلسلة الإبداع-٣١) مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون، الطبعة الأولى، صنعاء١٤٣٥ه- ٢٠١٤م.

- سعيد محمد دحي وتجليات الإبداع، إصدار سكرتارية اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بمحافظة حضرموت، وجامعة عدن. د. ت.

٨٢) منها:

- البنية السردية في شعر امرئ القيس، رسالة ماجستير، جميل علوان علي مقراض، كلية الآداب، جامعة حضرموت، نوقشت بتاريخ٢٨/ ٦/ ٢٠٠٩م.

- التماسك النصي في شعر كعب بن زهير، رسالة ماجستير، علي أحمد راجح خليفة، كلية التربية، جامعة عدن٢٠١٤م.

- الأنساق الثقافية في شعر النقائض في العصر الأموي، رسالة ماجستير، وهيب سالم عبدالله السعدي، كلية الآداب، جامعة عدن ٢٠١٥م.

٨٣) منها:

- ملامح التأثير والتأثر بين مناهج النقد الأدبي الحديث، جامعة ذمار.

- ديوان نسمات الربيع، دراسة أسلوبية، جامعة حضرموت.

- التناص في رسائل القاضي الفاضل، جامعة ذمار.

٨٤) منها:

- دورين انجرامز والكشف عن واقع حضرموت من الداخل قبل سبعين عاما (الحلقة الأولى) مجلة المكلا، العدد١١، اكتوبر- ديسمبر ٢٠١١م، و (الحلقة الثانية) المجلة نفسها، العدد١٣، ابريل- يونيو٢٠١١م.

- بنات الرياض والإفضاء بهموم الذات والجسد، مجلة الرافد، مجلة شهرية ثقافية جامعة، تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، العدد ١٧٥ ربيع الثاني ١٤٣٣هـ- مارس٢٠١٢م.

- قراءة ثقافية في الشعر العامي الحضرمي، ديوان بخيتة ومبخوت نموذجا، شعاع الأمل، الأعداد ١٢٩- ١٣١، حضرموت، الجمهورية اليمنية، صفر١٤٣٤هـ/ يناير٢٠١٣م ربيع الثاني ١٤٣٤هـ/ مارس٢٠١٣م.

٨٥) مقال د. مكنون، ص٢٩.

85
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

لَمحاتٌ وذكْرياتٌ عن فَقيهِ المُكلاّ الشّيخ الفَقيه المُربيِّ

سعيد بن عمر بن عوض باوزير -رحمهُ اللهُ تعالى-

المقدمة:

حمداً لله تعالى على إكرامه للعلماء والأولياء، فخَصَّ من خلقه لخلقه، فنالوا بذلك رِضَاه وغناه، وأكرمهم في الدنيا والآخرة، أحمده سبحانه على توفيقه وهدايته ولُطفه وعنايته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيّد الخلق، الذي دعا الناس للحق، وعلى آله نجُوم العلماء، وسادة الأولياء، وأصحابه السُعداء، ومن سَار على دَربهم واهتدى، أمّا بعد:

فهذه لَمحاتٌ عابرة وذكريات مُشوّقة، عن حياة شيخنا العلامة الفقيه سعيد بن عمر باوزير -رحمه الله- وإلا فحياة شيخنا حافلة بالمجاهدات، والاجتهادات العلمية، والاجتماعية، والدعوية، والتربوية.

ولكن هذا أقلّ القليل، والقليلُ في هؤلاء العلماء لا يُقال له: قليل، فكم أثّرتْ فينا صفاته الأخلاقية، وعُلومه وتوجيهاته، فأرجو أن تكون هذه اللمَحات تفي بما له علينا من حق التعليم والتوجيه، وأسأل الله تعالى لي الإخلاص والتوفيق، وما كتبتُه عنه هو بحسب صلتي به، ولعلها بادرة لأبنائه وتلاميذه؛ لإظهار حياة الشيخ سعيد، المليئة بالإنجازات الكثيرة، وعلى الله التكلان.



بقلم تلميذه/ د. زين محمد حسين العيدروس

١- نسبه وولادته:

هو: شيخنا سعيد بن عمر بن عوض بن طاهر باوزير، والمشهور في كتب التاريخ نسبة المشايخ آل باوزير إلى الشيخ يعقوب بن يوسف -رحمه الله-، وهو مِنْ أوائل من سكن مدينة المُكلا، وُلد المترجم له بمدينة المكلا في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٧ هـ، بعد وفاة شيخ شيوخه السيد العلامة أحمد بن محسن الهدّار بشهر أو شهرين.

٢- شيوخه وقراءاته في الكتب:

شيوخ شيخنا الشيخ سعيد باوزير كُثُرٌ، ولا يخفى أن مدينة المكلا يقصدها العلماء، وطلبة العلم، خصوصاً أيام السلطنة القعيطية، التي تعتني بالعلماء، ومن سلاطينها من أهل العلم، وقد التقى الشيخ سعيد بهم، واستفاد منهم إلا أن من شيوخه المشهورين والذين دائماً يذكرهم هم:

١) والده الشيخ عمر بن عوض بن طاهر باوزير.

٢) الشيخ محمد بن عبدالله باجنيد.

٣) الشيخ مبارك الجوهي الصدفي.

٤) الشيخ القاضي عبدالله بن عوض بكير.

٥) السيد القاضي حسين بن محمد بن مصطفى بن الشيخ أبو بكر.

٦) السيد المحدث علي بن محمد بن يحيى.

٧) السيد القاضي عبدالله بن محفوظ الحداد -رحمهم الله تعالى-.

ولعلّ من أوائل من تلقّى العلم على يديه والده، والشيخ الجوهي وباجنيد، وقد قرأ الشيخ على أيدي شيوخه كتبًا كثيرة، والتي من أشهرها متن أبي شجاع، والمقدمة الحضرمية، وتنوير القلوب، والمنهاج مع مغني المحتاج، وفتح المعين وشرحه إعانة الطالبين، والخلاصة في الفرائض لبافضل، وتكملة زبدة الحديث لابن حفيظ، والتحفة السنية بشرح الآجرومية، والأشباه والنظائر للسيوطي، ونيل الرجاء بشرح سفينة النجاة، وكفاية الأخيار للحصني، وغيرها.

٣- نشأته:

وشيخنا منذُ نعومة أظفاره تربّى في بيت صلاح وتقوى، ولوالده أثرٌ كبير في تربيته، وتنشئته النشأة الصالحة، وقد كان والده من أهل الصلاح، ويروي عنه قصصًا عجيبة تدل على أنه من أولياء الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وقد تزوّد منه التواضع والورع، وحبّه للعلم وأهله، وتلقّى العلم في بدايته عند شيوخه المُربين من أمثال: الشيخ مبارك الجوهي، والشيخ محمد باجنيد، وهما: آيتان في الجدِّ والاجتهاد، ونفع الخلق والقيام بإحياء بيوت الله تعالى بالصلوات، والدعوة إلى الله تعالى مع شظف العيش، وقلة متاع الدنيا، فهذا شيخه الشيخ محمد بن عبدالله باجنيد يحكي عن والده أنه شكى عليه بعض الناس عند السلطان صالح القعيطي، وقالوا: إنه يأخذ من الناس في أقضيته المال، فاستدعاه السلطان، وأمامه هؤلاء الناس المُدّعون عليه، وقال له: تأخذ من الناس الفلوس، ولا ترد منهم شيئًا فقال: نأكل الرضيح، ونحكم بالصحيح، ونرزح على قولنا رَزِيح، فالتفتْ السلطان للمدّعين، وقال: ماذا تقولون؟ فقالوا: لا نقول عليه شيئًا بعد اليوم.

وقد كان شيخنا مُقتديًا بشيوخه، فكان يُلقي دروسًا فقهية عامة للناس مع صديقه الشيخ سعيد الرباكي - رحمه الله - ورآهما الشيخ العلامة عبدالله بن عوض بكير،



الشيخ/ سعيد بن عمر بافرين

وفرِحَ بهما، وأراد أن يُؤهلهما في الفقه أكثر فكلّم لهما السيد العلامة حسين بن محمد بن الشيخ أبو بكر؛ ليدرسهما فاعتذر؛ لانشغاله بالعمل في المحكمة، ففرّغه يومين أو أكثر قبل الظهر؛ من أجل أن يفقههما، فوافق السيد العلامة حسين، مع أن الشيخين السعيدين يَدرُسان عنده في أوقات أخرى، هكذا حَرِصَ العلامة بكير بالشيخين من أجل أن يتفقه الناس منهما أكثر، فرحم الله تعالى شيوخنا وجزاهم خيرًا وحُبورًا وسرُورًا.

٤- زهده وأوصافه:

أما عن زهد الشيخ وورعه، فيُحدِّثك عامة الناس فضلاً عن أحبابه وأقاربه، قد رضي بالكفاف من العيش، فبدأ حياته بتجارة مُتواضعة، بدُكان صغير بقرب مسجده باحليوة مع حرصه على التعليم والتعلّم، وكان بعيدًا عن المسؤولين في الدولة، لا يطلب منهم معونة ولا شيئًا، مُنْشغلاً بنفع طلاب العلم والعوام من الناس، في مُنتهى الأدب مع سلف الأمة، لا يجُهّل أحدًا من أهل العلم، ويذكر أقوال المخالفين ويدعو لهم بالهداية، يتحمّل أذى الناس، خصوصًا المتخاصمين، عندما يقوم بالإصلاح بينهم فترفع أصواتهم عنده، ولا ينهرهم بل يعاملهم

بـرفق، مَنْ أخطأ في حقـه لا يُعنّفه، ولا يردُّ عليه، ويعرض عنه فقط، وقد ذكّرني بقول أحد علماء شنقيط:

إن السيادة في اثنتين فلا تكن
يا ابن المشايخ فيهما بالزاهد
حملُ المشقةِ واحتمالِ أذى الورى
ليس المُشمّر في العُلى كالقاعد
قل للذي طلب العُلى في سِواهم
هيهات تضربُ في حديدٍ بارد

وكان هادئ الصوت، لا يرفع صوته، لينّ الجانب، دائم الفكر، مُنشغلاً في كل أوقاته، إمّا درسًا أو فكرًا أو ذكرًا أو قرآنًا.

٥- ثناء أهل العلم عليه:

أثنى على الشيخ سعيد علماء كثيرون من شيوخه وغيرهم، فكان شيخه وقرينه السيد عبدالله الحداد يصفه بالفقيه، ولا يناديه إلا بلفظ الشيخ سعيد، ولا يبدأ في الدرس إلا إذا حضر الشيخ، وقد أثنى عليه السيد العلامة القاضي علي بن محمد مديحج ووصفه بالفقيه المربيّ، وكان لا يمرُّ السيد عمر بن حفيظ المكلا إلا زاره، وأمر تلامذته بالاستفادة منه، والأخذ من علومه، ويسأل عنه في حال غيابه عن المكلا، وقد أطنب في الثناء عليه الشيخ عوض بانجار قبل الصلاة عليه بمسجد عمر، وقال: إنه فقّه الشباب، وقت الحرب على العلم وأهله، وبموته خسرت المكلا فقيهًا ضليعًا.

٦- جهوده التعليمية:

لم آت إليه مرة ووجدته فارغًا ساكتًا، وإنما ذاكرًا أو متأملاً أو مُعلماً، يبذل كل وقته لطلبة العلم، ويحرص على أن يفيد طلاب العلم مهما طال الوقت، له في اليوم الواحد أكثر من سبعة دروس من بين خاص وعام: درس بعد صلاة الظهر، ودرس بعد صلاة العصر في رياض الصالحين لعامة الناس، ثم يعقد درسًا لمجموعة من الطلاب، ثم يبدأ طلبة آخرون إلى المغرب، ثم بعد المغرب يقرأ القرآن في حلقة، أو يعقد درسًا، وتارة يقوم بدرس للنساء في مسجده، وبعد أذان العشاء درس عام للناس، ثم بعد صلاة العشاء درس خاص لطلبة العلم، يستمر نحو ساعة ونصف أو أكثر أحيانًا.

لم يشغل وقته لنفع طلبة العلم فحسب فهو في مسجده يستقبل أسئلة الناس، من بعد صلاة الظهر إلى العشاء، ويقوم بالإصلاح بين الناس، وقد يخرج إلى بيوتهم ويُقسِم التركات، وتأتيه الإحالات من القُضاة، فقد كان القاضي عصام السماوي دائماً يحُيل مسائل وأقضية للشيخ سعيد، وكان يثق به ويحبه، ويثني عليه ثناءً جميلاً، ويصفه بالفقيه.

وتمتاز دروس الشيخ بالأسلوب المُيسرّ السهل، مع ربط المسائل بقصص ووقائع أحوال، تُثبّت في ذهن الطالب المسائل، وهذا يدل على تمكّنه في الفقه، أما علم الفرائض فهو المتمرّس فيه، وإذا قالوا: القضاء يُفقّه فأقول: قسمة المواريث تجعل العالم فرضيًا، فهو بحق فقيه وفرضي حاضر، وقد انشغل بالتدريس عن التأليف، إلا أن له رسالتين: إحداهما في الحيض، والأخرى في الأوراق البنكوتية، وله فتاوى مكتوبة تحتاج إلى جمعها في كتاب، وقد سُجّلت بعض دروسه، ومنها شرح المقدمة الحضرمية كاملاً.

لا يخفى على المطّلع لزمن شيخنا وعصره، فإنه أدرك حكم السلطنة، وحكم الاشتراكية، فأُبلي في زمن الاشتراكية بلاءً حسنًا، فقد ضُيّق في تلك الحقبة على العلماء والمتدينين، ورُموا بالكهنوتية والمُخرفين إلا أن الشيخ وأمثاله من العلماء صبروا وصبروا، فقاموا بتعليم طلاب العلم سرًا، فقد كان الشيخ يعقد دروسًا في بيته وبه مُربعة (غرفة صغيرة)، ويتوافد الناس عليه سرًا بعد أن مُنع من التدريس في المساجد، فكان جهده وزملائه الشيوخ مُتنفّسًا لتلك الحقبة من الزمن، وبيته منارًا يُضيء في الظلام الحالك فهدى الله تعالى به خلقًا كثيرًا، حتى انقشعت الظلمة، وسقطت الاشتراكية على أُمّ رأسها في ليلة واحدة!!

توافد طلاب العلم صغارًا وكبارًا وشيوخًا وشبابًا ذكورًا وإناثًا ينْهلون من دروس الشيخ، التي لم يفتأ بتركها ليلاً أو نهارًا، بل زاد نشاطه، وعلت همّته؛ لعله يُدرك ما فاته وقت الليالي السوداء، التي أعاقت دروسه، فأقل عدد دروسه في اليوم والليلة: سبعة دروس للعامة والخاصة كما تقدم.

وكان يتنقل من مسجد إلى مسجد فأحيا دروسًا بالمساجد الجامعة كمسجد عمر، ومسجد الروضة، ومسجد جامع البلاد في الفطر وفي رمضان، وأنشأ دروسًا بمدرسة النور العريقة، بعد صلاة العشاء في الأسبوع يومان، فقرّر في كتاب بلوغ المرام للحافظ ابن حجر، وأهم الواجبات والمندوب للسيد حسين بن محمد الهدار، وعقد دروسًا لمدرسات معهد الزهراء لتحفيظ القرآن الكريم؛ ليفقههن في الدين، بالإضافة لدروسه للنساء بمسجده. وألقى محاضرات بكلية البنات قسم الدارسات الإسلامية بجامعة الأحقاف فاستفدن منه طالبات الجامعة، فقد جمع الشيخ بين طريقة التدريس التقليدية والحديثة.

وكان مسجده مقصداً يقصده السائلون في أمور دينهم، ومأوى للمتخاصمين عند الاختلاف في أمور دنياهم، ومركزًا يهرع إليه الورثة؛ لمعرفة أنصبائهم في تركة أمواتهم، ويلزم من ذلك أن مسجده مفتوح في الليل والنهار، فكان يستقبل تلك الوفود بصدر رحب، وطلاقة وجه، بأجوبة سهلة الفهم، كافية للسائلين، مُقنعة للمتخاصمين، فلله درّه من شيخٍ حكيمٍ، وفقيه حاضر وفرضي مُمارس، وصوفي مُتحقق، ومُربٍّ مُشفق، رحمه الله رحمة الأبرار.

٧- جهوده الدعوية والاجتماعية:

للشيخ سعيد جهود دعوية وعلمية كثيرة فمنها: تولّيه لإمامة مسجد باحليوة، لا يقل عن أربعين عامًا، ورأسَ مركز تحفيظ القرآن الكريم التابع للجمعية الإسلامية الاجتماعية الخيرية، وأظهر جهوداً مباركة في تحفيظ كتاب الله تعالى، وإقامة المسابقات الرمضانية لحفظ كتاب الله تعالى، وعمل مكتبة بمؤخرة مسجد باحليوة، وجمع مراجع تحتاج الآن إلى أن تستثمر هذه المكتبة، وقد شارك في البعثات اليمنية لحج بيت الله الحرام، وشارك في دورات تأهيلية لمعلمي القرآن الكريم، والتربية الإسلامية.

وكان الشيخ سعيد يعتني بإحياء المناسبات الدينية؛ لبث رُوح الإسلام، ويحيي ليلة النصف من شعبان، وليلتي العيدين بالقرآن والذكر، وإحياؤه لهذه المناسبات يُعد منهجًا سلوكيًا ومسلكًا تربويًا، وقد كان شغوفًا بمحبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحياء ليلة ميلاده، وقراءة قصة المولد في المناسبات السنوية، وليلة الجمعة بمسجده، ولا تفارقه مسبحته حتى في الدروس العلمية.

٨- منهجه وبعض اختياراته الفقهية:

كان الشيخ سعيد شافعيًا مُتحررًا، يُقرر المذهب، ويعرف الآراء ووجهاتها، ويُقرره تقرير خبير ممارس للفقه يوميًا بل في كل ساعة! وبعد وفاة شيخه العلامة شيخنا عبدالله الحداد -رحمه الله- تولّى إقامة الدروس في بيت شيخه، وواصل برنامج الفتاوى بإذاعة المكلا، فكان يجيب عن جميع أسئلة المستمعين، بعلم غزير، وفهم مستنير، وكان كشيخه وصديقه السيد العلامة عبدالله بن محفوظ الحداد -رحمه الله- يأخذ بالآراء التي لها وجاهة من حيث الدليل والتعليل؛ لرفع المشقة والضرر عن الناس، مع مراعاة للمصالح وللمقاصد الشرعية، ومن المسائل التي أخذ بها مع أنها خلاف المعتمد والمقرر في المذهب:

١) إن من النجاسة المغلظة نجاسة الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما -هذا المقرر- لكنه يأخذ بقول علماء الطب، بأنه لا يتصور التوالد بينهما أو من أحدهما إلا إذا كان من جنسه كأتان مع خيل.

٢) لا يشترط على المتوضئ الذي به جبيرة في اليدين مثلاً أن يرتب بأن يغسل وجهه، ثم يتيمم ثم يغسل الصحيح من يديه ثم يمسح رأسه ويغسل رجله، فله أن يقدم التيمم أو يؤخره بعد الوضوء، وهذا قول غير معتمد كما قال في (المنهاج): «قيل: مُحدِث كجنب»، واستدل الشيخ لذلك: أن الترتيب يسقط في الوضوء، إذا جاء وقت فريضة أخرى ولم يحدث يتيمم فقط، فلم يشترطوا الترتيب في الأثناء دون الابتداء، وهذا تفريق في أمر واحد، وقد ذكر الإمام النووي الأقوال في المسألة في مذهب الشافعي وقال: «أما المحدث إذا كانت جراحته في أعضاء الوضوء ففيه

ثلاثة أوجه مشهورة عند الخراسانيين أحدها: أنه كالجنب فيتخيّر بين تقديم التيمم على غسل الصحيح، وتأخيره وتوسيطه، وهذا اختيار الشيخ أبي علي السِنْجي بكسر السين المهملة وبالجيم، وبه قطع صاحب الحاوي -للماوردي-، قال: والأفضل تقديم الغسل، والثاني: يجب تقديم غسل جميع الصحيح، والثالث: يجب الترتيب فلا ينتقل من عضو حتى يكمل طهارته، محافظة على الترتيب فإنه واجب، وهذا هو الأصح عند الأصحاب صححه المتولي والروياني، وصاحب العدة وآخرون من الخراسانيين»(١).

٣) المعتمد أن صوراً لأحكام الجبيرة، تجب فيها إعادة الصلاة، لكن الشيخ يقول: ينبغي أن لا نشدد على الناس في ذلك، ما دام أن هناك قولاً لأهل العلم: بعدم وجوب الإعادة عليهم، وكان كثيراً ما يذكر هذا القول، وينقله من المجموع شرح المهذب للإمام النووي وعبارة نصه: «من الأصحاب من جعل مسألة الجبيرة من العذر العام، وهو حسن والله أعلم. ونقل إمام الحرمين والغزالي أن أبا حنيفة رحمه الله قال: كل صلاة تفتقر إلى القضاء لا يجب فعلها في الوقت، وأن المزني رحمه الله قال: كل صلاة وجبت في الوقت وإن كانت مع خلل لم يجب قضاؤها، قالا: وهما قولان منقولان عن الشافعي رحمه الله. وهذا الذي قاله المزني هو المختار؛ لأنه أدى وظيفة الوقت، وإنما يجب القضاء بأمر جديد، ولم يثبت فيه شيء بل ثبت خلافه والله أعلم»(٢).

٤) كان الشيخ يُرجّح مذهب أهل اللقط في الحيض على مذهب السحب وهو المعتمد، ويقول: مذهب أهل اللقط هو قول في مذهبنا، ورأي كثير من الفقهاء كالمالكية، وهو الأفضل تيسيراً على النساء، والأقوى دليلاً فإن الدم هو الأذى، وهو رأي ابن عباس لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ * قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ * وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ * فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٥) وكان يقول إن الكدرة والصفرة قبل الحيض وإن كان في وقته ليس حيضًا لحديث أم عطية رضي الله عنها قالت: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة -بعد الطهر- شيئًا»(٣)، لكن المعتمد أنهما وقت الحيض حيض، وله رسالة في الحيض ذكر فيها أقوال أهل العلم؛ تيسيراً على النساء.

٦) وكان يرجّح رأي النووي في الاستمتاع بالمرأة الحائض، وأنه لا يحرم إلا الجماع لحديث: «اصنعوا كل شيء إلا الجماع»(٤)، وقال: ودليل ذلك من القرآن قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ * قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ * وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ * فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والمحيض هو: موضع خروج الدم، وهو يوافق ظاهر الحديث، وهذا رأي في المذهب.

٧) وكان يأخذ برأي شيخه السيد العلامة عبدالله الحداد -رحمه الله- أن الإبرة الوريدية تفطر الصائم، والإبرة العضلية لا تفطر، وهذا الرأي على وفق ما قرره فقهاؤنا السابقون.

٨) كان يأخذ بالقول الذي يقول: أن أكثر النفاس أربعون يومًا، وهو قول في المذهب، والمعتمد ستون يومًا، ويقول: دليل الأربعين أقوى، ويستدل بحديث أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت: «كانت النُّفَسَاءُ تقعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يومًا»(٥).

٩) ويأخذ بقول أن تأخير الإحرام بالحج أو العمرة من جدة يجزئ لمن قدم من اليمن؛ لأن جدة القديمة بموقع الميناء القديم (أو بموضع يُقال له: السقَالة) يحاذي يلملم.

١٠) ويفتي بجواز الرمي قبل الزوال وقت رمي الجمرات أيام التشريق، عند الحاجة خصوصًا الزحام؛ خشية الوقوع في التهلكة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ * وَأَحْسِنُوا * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقد أخذ بهذا القول جماعة من علماء الشافعية وغيرهم، وقد فصلتُ هذا القول في هذه المسألة، والتي قبلها في كتابي (الخلاصة في أحكام الحج والعمرة).

٩- مواقف مع الشيخ:

١) رُشحتُ للقضاء وللدراسة بالمعهد العالي للقضاء، فاستشرته فقال: جاء طلاب علم عند الشيخ محمد بن عبدالله باجنيد فقالوا له: إن السلطنة القعيطية فتحت دراسة كُرْسات؛ لتخريج قُضاة فما رأيك بالالتحاق؟ فقال بإيجاز: القضاء آخره قَضْقضة في القبر. فصرفتُ النظر عن القضاء.

٢) سألني مرة عن أحد علماء أهل السنة له مؤلفات كثيرة وله نشاط علمي، وقال: لم نسمع الآن عنه شيئًا، فقد انقطع خبره وكتبه. فقلتُ: لقد أصابته نفخة تشيّع. فقال: هذا الذي قطع أمره.

٣) كنت عند الشيخ في درس في المسجد وجاء طفل صغير، وقال للشيخ سعيد مُشيراً عليه بيده -بلهجته العامية-: هات الحذية حقّي، وأشار لمكان مرتفع في المسجد، قد رماها أطفال آخرون، فابتسم الشيخ، وقال له بهدوء وتواضع ورفق: إذا جاء علي الشرفي، سيعطيك إياها. وبقي الطفل واقفًا، فقال الشيخ: فليقم أحد ويعطيه الحذية.

٤) شكوتُ له حال السلفية المتطرّفين وأذيّتهم، فقال: كنا نعاني من الاشتراكية، وشكونا الشيخ مبارك الجوهي، فقال: الاشتراكية سيُولّون، وهم بمثابة زامل أو شبواني يمرُّ في الشارع، فمن الناس من يزمِّل مثلهم، وسيذهبون، وسيأتي بعدهم جماعة، وهكذا وسيولون، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

١٠- بعض وصاياه:

كان من أهم وصاياه لطلبة العلم:

١) الاجتهاد في طلب العلم وعدم الانقطاع.

٢) وكان يوصي طلاب العلم بالمحافظة على الحفظ، وكان يجُيز طلابه في هذا الدعاء، الذي يساعد على الحفظ: «اللهم إني استودعك ما علمتنيه، فارده إليَّ عند حاجتي إليه»، يأتي به بعد الدروس.

٣) قراءة حاشية شطا، وهي (إعانة الطالبين بشرح قرة العين)، ويقول عنها: حاشية شطا ما خلّت على مسألة غطا.

٤) تدوين مسائل العلم، وكان يراجع ما كتبه طلابه من المسائل.

٥) عدم التشديد على عامة الناس في مسائل الفقه، وذكر الأقوال الميسرّة التي أخذ بها العلماء.

٦) يُرغّب في كتاب (تنوير القلوب في معاملة علاّم الغيوب) لمحمد أمين الكردي؛ لاشتماله على عقيدة أهل السنة الأشاعرة والفقه والتصوف السُنّي.

٧) كان يحثّ دائماً في طلب العلم، ويرغب في حضور دروس العلم مُبكّرًا، ودائماً يستشهد ببيتين من الشعر:

كُنْ في البُكور غُرابًا ... وفي التملُّق قط
لا شيء كالعلم قط ... سيروا إليه وحطوا

وهما من قصيدة رائعة في الترغيب في طلب العلم للإمام أحمد بن عمر بن سميط -رحمه الله-، ولأهميتها سأذكرها كاملة، وهي:

لا شيء كالعلم قط ... سيروا إليه وحطوا
في مجلس العلم سِرٌ ... به الوزر عنّا يُحط
مَنْ يطلب العلم يُحظى ... برتبة لا تُحط
والرزق يأتيه سهلًا ... وإن عمَّ في الناس قحط
والعلم حصنٌ حصينٌ ... من شرٍّ من جاء يسطوا
لطالبيهِ بقصٍّ ... لم يمتزج فيه خلط
يا جاهلًا قدره اسمع ... ما مثله قطُّ قطُّ
كُنْ في البُكور غُرابًا ... وفي التملُّق قط
ثم احتملْ مثل كلبٍ ... وذا النُجحة شرط
ثم الصلاة على مَنْ ... أحكامُه الكُل قِسط
أخلاقه طاهراتٌ ... والوجه يعلُوه بسط
وخُير آلٍ وصحبٍ ... لهم جهادٌ وضبط

١١ - من أقواله:

من جملة ما يكثر ذكره من الأقوال المفيدة:

١) العامي إن شدّدت عليه نفّس لنفسه، وإن يسرّت له خرج عن حده.

٢) قراءة سطرين خير من قراءة وقرين، ومراجعة بين اثنين خير من هذين.

٣) لا عبرة في الطبائع بأصحاب الشهوة الحمارية.

٤) حاشية شطا ما خلّت على مسألة غطا.

٥) الشدّة تُولّد الانفجار.

٦) إيمان الناس في عُيونهم.

٧) العلم يُزيل الوسوسة.

٨) اللقمة الحلال دواء.

٩) الإشارة تخُطي العبارة.

١٠) الحبوة كُرسي العرب.

١٢ - من قصصه التي يذكرها:

لا تخلو دروس الشيخ سعيد -رحمه الله- دائماً من قصص مُفيدة لها معان ومقاصد، وهي كثيرة جدًا، وسأذكر أكثرها ذكرًا:

١- قال أحد الحاضرين للشيخ مبارك الجوهي -رحمه الله-: يا شيخ مبارك با قلّد، فقال الشيخ مبارك: (ومَنْ سيفتح لك؟) ويقصد السائل تقليد العلماء في مسألة، فأجابه الشيخ على سبيل الطُرفة: مَن سيفتح لك الباب؟ كأن السائل يسأل عن إغلاق باب. وعلى كلٍ فتقليد العلماء أيضًا يحتاج اختيار عالمٍ ورعٍ مُطلعٍ، وليس التقليد لمن هبَّ ودبَّ، وقد صدق الإمام سفيان الثوري -رحمه الله- إذْ يقول: «إنما العلم عندنا الرُّخص عن الثقة فإمّا التشديد فكُل إنسان يُحسِنَهُ»(٦).

٢- قال الشيخ سعيد: كُنّا في درسٍ عند الشيخ مبارك الجوهي، ومعنا كتب نقرأُ فيها، فأُحضر طعام فقال الشيخ مبارك: (إذا حضرت الأذواق لفُوا الأوراق).

٣- كان الشيخ سعيد -رحمه الله- دائماً يذكر لنا هذه الحكمة: (من تردى رداء الأخيار امتحنته دقائق الأخبار)، ويذكر لنا قصة قيّمة، وهي: أن رجلاً أعرابيًا مسلماً سافر إلى بعض الدول العربية، فدخل فندقًا في غُرفة كبيرة، فيها كثير من الناس مناسبة الإيجار، وكانت عليه ثياب الأعراب، وعليه عمامة، وفي جيبه أقلام! فرآه رجلان نصرانيان، فقالا له: أنت مسلم، فقال: نعم، فقالا له: لكن في دينكم الإسلامي جور!! أنتم يجوز لكم أن تتزوجوا بناتنا ويحرم علينا؟ فأجاب الأعرابي بسرعة فقال: لأنكم لا تؤمنون بنبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن نؤمن بنبيكم عيسى عليه السلام، ولعلّ بعضكم يتجرأ على نبينا صلى الله عليه وسلم، فتعجبا من جوابه، وكان سببًا في إسلامهما.

٤- حكى لنا الشيخ سعيد -رحمه الله- أن الشيخ محمد باجنيد خطب جمعة بمسجد جامع البلاد، فلما فرغ من الخطبتين، وأراد المؤذن أن يُقيم الصلاة قال له الشيخ محمد: لا تقم الصلاة، ثم عاد للمنبر وجاء بأركان الخطبتين باختصار، ثم قال للمؤذن أقم الصلاة، فلما سلَّم قال الشيخ محمد للمؤذن: (حيا الله مَنْ يرقّع) أي: لقد صححتُ لكم الخطبة والصلاة، وقد نسي بعض أركان الخطبة الأولى فتدارك ذلك.

٥- قال شخص للشيخ مبارك الجوهي -رحمه الله-: يا شيخ مبارك الصلاة رياضة! فقال الشيخ مبارك: (الصلاة رياضة غير مقصودة) أي: ليس مقصودها اللعب، وهي رياضة جسدية وروحية.

٦- ذكر لنا الشيخ سعيد: أنه لمّا قدم السيد العلامة المحدِّث علي بن محمد بن يحيى -رحمه الله- من الأزهر الشريف أول سؤال قدم له: هل يصح للشافعي أن يصلي خلف حنفي مثلاً، فإن قلتم لا. فكيف تقولون: إن الأئمة كلهم على هُدى، فأجاب: بصحة صلاة الشافعي خلف

الحنفي وأن العبرة باعتقاد الإمام. فقد أخذ بقول في المذهب أن العبرة باعتقاد الإمام مع أن المعتمد المقرر أن العبرة باعتقاد المأموم وهذا من فقهه وفهمه المستنير مع واقعه، قال الإمام الرافعي -رحمه الله- (ت ٦٢٣هـ): «إذا مسَّ الحنفي فرجه وصلّى ولم يتوضأ أو ترك الاعتدال في الركوع والسجود أو قرأ غير الفاتحة في صلاته، ففي صحة اقتداء الشافعي به وجهان (أحدهما) وبه قال: القفال تصح؛ لأن صلاته صحيحة عنده، وخطؤه غير مقطوع به، فلعلَّ الحق ما ذهب إليه (والثاني) وبه قال: الشيخ أبو حامد لا تصح؛ لأن صلاة الإمام فاسدة في اعتقاد المأموم، فأشبه ما لو اختلف اجتهاد رجلين في القبلة يقتدي أحدهما بالآخر، وهذا أظهر عند الأكثرين،... ولو أن الحنفي صلى على وجه لا يعتقده صحيحًا، واقتدى الشافعي به، وهو يعتقده صحيحًا انعكس الوجهان، فعلى ما ذكره القفال لا يصح الاقتداء اعتبارًا بحال الإمام، وعلى ما ذكره أبو حامد يصح اعتبارًا باعتقاد المأموم، وحكى أبو الحسن العبادي أن الأودني والحليمي قالا: إذا أمَّ الوالي أو نائبه بالناس، ولم يقرأ التسمية والمأموم يراها واجبة فصلاته خلفه صحيحة عالمًا كان أو عاميًا، وليس له المفارقة لما فيها من الفتنة، وهذا حسن وقضيته الفرق بين الإمام وخلفائه وبين غيرهم، أما إذا حافظ الحنفي على واجبات الطهارة والصلاة عند الشافعي فاقتداؤه به صحيح عند الجمهور»(٧)، وقد لخصَّ المسألة الإمام النووي -رحمه الله- فقال: «الاقتداء بأصحاب المذاهب المخالفين بأن يقتدي شافعي بحنفي، وأما مالكي لا يرى قراءة البسملة في الفاتحة، ولا إيجاب التشهد الأخير والصلاة على النبي صلى الله عله وسلم ولا ترتيب الوضوء وشبه ذلك. وضابطه أن تكون صلاة الإمام صحيحة في اعتقاده دون اعتقاد المأموم أو عكسه؛ لاختلافهما في الفروع فيه أربعة أوجه: أحدها: الصحة مطلقًا قاله القفال اعتبارًا باعتقاد الإمام، والثاني: لا يصح اقتداؤه مطلقًا، قاله أبو إسحاق الإسفراييني؛ لأنه وإن أتى بما نشترطه ونوجبه، فلا يعتقد وجوبه، فكأنه لم يأت به، والثالث: إن أتى بما نعتبره نحن لصحة الصلاة صح الاقتداء، وإن ترك شيئًا منه أو شككنا في تركه لم يصح، والرابع: وهو الأصح، وبه قال أبو إسحاق المروزي، والشيخ أبو حامد الإسفراييني، والبندنيجي، والقاضي أبو الطيب والأكثرون: إن حققنا تركه لشيء نعتبره لم يصح الاقتداء وإن تحققنا الإتيان بجميعه أو شككنا صحَّ، وهذا يُغلِّب اعتقاد المأموم. هذا حاصل الخلاف»(٨).

٧- ذكر لنا الشيخ سعيد وشيخنا السيد العلامة عبدالله الحداد -رحمهما الله تعالى- أن امرأة سألت الشيخ القاضي عبدالله بن عمر بامخرمة فقالت: هل يجوز لها أن تدهن رأسها وهي في عدة الوفاة وبرأسها أذىً، فقال لها: لا يجوز، فذهبت إلى والده الشيخ عمر بامخرمة وأخبرته، فقال لها: يجوز ادهني رأسك، ثم أنشأ أبياتًا يقول فيها:

يا ابن سالم وَرَا القاضي يَعسِّر على الناس
ما تَغاضَ لهم حتى على طرقة الرأس
وايش يبغي بذا والشرع قد فيه نفّاس
إن قرعه الحسن يأخذ طريق ابن عباس
ما قرأ الروضة اللي نصَّها يُذهب البأس
وابن عبدالسلام قد أفتى وفي قوله إيناس
واشعل البارزي من ضوء شعلته نبراس
والشهير الكبير ابن عقيل أعمق الساس
للبناية والتّوسيع فاتبع ولا تأس
سامح الناس والنفس إن بغت منّك نفّاس
قل لها: لا، ودعها في لظى الضِيق تمْتَاس

وقد ذكر هذه القصة أيضًا الإمام أحمد بن حسن العطاس -رحمه الله-(٩)، وقد كان من المحررين في الفقه يأخذ بالأقوال التي فيها يُسر مع مراعاة مقاصد الشريعة وأدلتها، ومَنْ يُطالع كتاب تذكير الناس يرى كثيرًا من ترجيحاته الفقهية.

١٣ - من أشهر تلاميذه:

للشيخ تلاميذ كثيرون وسأكتفي بذكر أشهرهم من الملازمين له: أبناؤه وبالأخص عبدالكريم، وعمر سالم بن حازم، وفضل عبدالرحيم بامزاحم، وعبدالله أحمد بامزاحم -رحمه الله-، ومحفوظ عمير البيتي، وسالم عمر بابقي وابنه محمد، وعبدالله باراهم باعشن، ومحمد أحمد علي العكبري، وحسين محمد باجبّار، والشيخ عوض بانجار، وعقلان يسلم بوسبعة، وخالد أحمد بوسبعة، وسالم بن أحمد باصم، وعبدالله أحمد حسين البيض، وأخي د. علي محمد العيدروس، وقد كَتَبَ ترجمة له مختصرة بعنوان: (شذرات من حياة فقيه المكلا الشيخ سعيد عمر باوزير)، والأخ محمد عبدالله بابقي، وسالم علي ودْعان -رحمه الله-، ود. أمين سالم باسليمان، وحسين سعيد بريك، وغيرهم كثير ممّن لا أعرفهم من الذين درسوا عنده في بيته.

١٤ - وفاته:

في آخر حياة الشيخ مرض وسافر للعلاج إلى مصر وزار علماء مصر وأولياءها، وألقى دروسًا لطلاب العلم بها، ثم رجع إلى بلاده أحسن حالاً ثم عاد إلى دروسه وجهوده المباركة، واستمر نحو نصف سنة تقريبًا، ثم جاءه الأجل المحتوم بعد أن ختم سورة يس كاملة قبيل الظهر، وبلغ من العمر تسعًا وستين سنة، وصلّى عليه الناس بعد صلاة العشاء بمسجد عمر، وحضر جنازته والصلاة عليه جمع كثير من أهله وأحبابه وتلاميذه وجمع غفير من أهالي المكلا وضواحيها، وكانت جنازة مُهابة وحدثًا عظيماً، وخطبًا جسيماً، وذلك يوم الأربعاء ١٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٢٧/ أبريل/ ٢٠٠٥م، ودفن وسط قبة الشيخ يعقوب بقرب شيخه وصديقه شيخنا العلاّمة عبدالله الحداد، وترك ثلاثة أبناء عبدالكريم، وعمر، وسالم، وخمس بنات، وهم على طريقة مرضية، وأخلاق متواضعة كأبيهم -بارك الله فيهم وسلك بهم مسلك أبيهم- ورحم الله تعالى شيخنا رحمة الأبرار، وجزاه الله عنّا خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وقد قلتُ في وفاته كلمات:

هذه الأرضُ وما حولها تُرثي
لوفاة شيخنا السعيد وتبكي
عن دروس علمٍ وأخلاق الهُدى
عن تواضع قلبٍ وشمائل المصطفى
سلوا الإخوان الذين قد نهلوا
من بحر علومه وارتووا
هل رأيتُم رجُلًا أحبه الورى
بلا مالٍ وجاهٍ بل بهدي السماء
أميطُوا التراب عن الوجوه وتنبّهوا
فالليل طويلٌ سوادُه فتيقظوا
بالعلم والصدق والفِداء
وهمّة الرجال السعداء
نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعلُ مِثلَ ما فعلوا

[ملحوظة: أعطيت ترجمة شيخي الشيخ سعيد بن عمر باوزير، للسيد صالح أحمد سالم العيدروس الإندونيسي، حسب طلبه، ونقلها كلها، وما فيها من تراجم بالهامش، في كتابه (القدح المُمَلّا من أخبار أعيان مدينة المكلا) ولم يعزُ بالهامش لترجمتي مطلقاً، واكتفى بالإشارة لي نهاية كتابه المذكور، وهذا تصرّف غير مرضي، ويتنافى مع الأمانة العلمية، علما أنه قصد الخير - فيما نحسبه -، والله المستعان].

الهوامش:

١) المجموع ٢/ ٣١٤.

٢) المجموع شرح المهذب ٢/ ٣٨.

٣) رواه البخاري ح ٣٢٠ دون (بعد الطهر) ورواه بالزيادة الحاكم في المستدرك ح ٦٢١ وصححه، وأبو داود ح ٣٠٧، وصححه مع الزيادة النووي في خلاصة الأحكام ١/ ٢٣٣.

٤) رواه مسلم ح ٣٠٢.

٥) رواه الترمذي ح ١٣٩، وأبو داود ح ٣١١، وابن ماجه ح ٦٤٨، وحسنه النووي وذكر شواهده ابن حجر. خلاصة الأحكام ١/ ٢٤٠، وتلخيص الحبير ١/ ١٧١.

٦) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٦٧.

٧) فتح العزيز بشرح الوجيز (الشرح الكبير) ٤/ ٣١٣.

٨) المجموع ٤/ ٢٤٨.

٩) انظر: تذكير الناس ص ٣١٧.

94
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

القاضي الشيخ عبدالله بامخرمة

رجل إصلاح وعلم



عبدالعزيز محمد بامحسون

يعد العلامة القاضي الشيخ عبدالله بن علي سعيد بامخرمة (رحمه الله) علماً لامعًا من أعلام مدينة العلم بساحل حضرموت (غيل باوزير) وأعيانهم، وشخصية فذة، قوي العزم والإرادة، ثابت الرأي، صريح القول، يقرن القول بالعمل الدؤوب، لا يكل ولا يمل حتى يحقق ما يصبو إليه بهمة عالية.

ثابر القاضي الشيخ الجليل عبدالله بامخرمة (أبو عصام) في تحصيل العلم من وقت صباه، وإيمانًا ورغبة منه في تحقيق مبتغاه وهو الالتحاق بسلك القضاء حقق الله مراده فنال شهادة التخرج في سلك القضاء بتفوق وجدارة وكفاية عالية، وكان من أوائل الطلاب حينها، وبعد أن تخرج زاول مهنة القضاء الشرعي في مدن عدَّة، منها: الديس الشرقية، وصبيخ، وغيل باوزير، وعندما عزم والده القاضي الشيخ علي بن سعيد بامخرمة (رحمه الله) لأداء فريضة الحج حل مكانه، فكان مثالاً للعدل والإنصاف والنزاهة، بعد ذلك نال مكانة عالية في وظائف الدولة في سلك القضاء.

والشيخ عبدالله بامخرمة (رحمه الله) كانت له يد طولى وباعٌ كبيرٌ في تأسيس صرح رباط بن سلم وإنشائه بغيل باوزير؛ إذْ تولَّدت فكرته في خلده منذ زمن طويل فلمْ تبرحْ تفكيرَه، فقد تمنى أن يكون هذا الصرح منارة للعلمِ تنير لطلاب العلم بالفائدة، فبذل جهداً كبيراً وبذل طاقاته وهمته العاليتين ليحقِّقَ حُلُمَه حتَّى أينعت ثمار جهده وسعيه في إرساء هذا الصرح كمعلمٍ من معالم النهضة العلمية الحديثة، والآن يعد هذا الرباط معلماً ناطقًا، ظاهراً للعيان، يلمسُ النَّاسُ آثارَه في مخرجاته وطلابه الذين نهلُوا من معينه الصافي وراحُوا ينفعون الجهات والقرى.

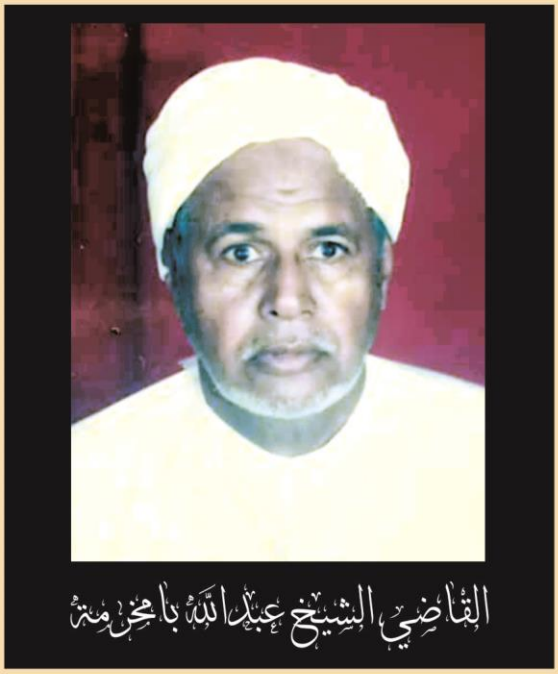
أما ما بذله شيخنا الجليل عبدالله بامخرمة (رحمه الله) في سبيل الخير في نواحٍ كثيرة فيقصر القلم عن كتابته واستيعابه، فقد كان رجلاً صالحًا، يسهم في حل الكثير من الشكاوى التي يلجأ الناس إليه فيها، لثقتهم العالية به وبمقدراته وخبراته، ولم يظهر مشروع خيري إلا وهو رائده وأول المساهمين فيه وله اليدُ الطُّولى في إنشائه.

رحم الله الفقيد الراحل العلامة القاضي الشيخ عبدالله بن علي بامخرمة الذي انتقل من دار الفناء إلى دار الخلود

والبقاء في التاسع من شوال ١٤٢٤ هجرية الموافق الثالث من نوفمبر ٢٠٠٣م بإمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، والذي يعد أحد المشائخ والدعاة والعلماء الأجلاء الذين أسهموا بحنكة واقتدار في عدد غير قليلٍ من المشاريع الخيرية، وفي إصلاح ذات البين، إضافة إلى جهوده في سلك القضاء، وتعليم الفقه، وعلم الفرائض. وبرحيله فقدت اليمن والأمة عامة وحضرموت خاصة أحد أبنائها الأخيار.

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أتذكر ما قاله عضو هيئة الإفتاء الشرعي الشيخ القاضي عبدالرحمن بن عبدالله بكير (المتوفى في الخامس عشر من ربيع الآخر ١٤٣٧ هجرية الموافق الخامس والعشرين من يناير ٢٠١٦م) وهو صديق الشيخ العلامة بامخرمة إذْ قال:

"يعد الشيخ عبدالله بن علي بامخرمة رجل خير وعلم، وإنسانًا يعتمد عليه في شئون الدنيا والدين، وقد قدّم خيره لبلده وخيره لأمته، وهو مرجع من المراجع التي نعتمد عليها، وقد برز كرجل إصلاح ومقاوم لبعض الجوانب السلبية في المجتمع، وهو شخص فاضل له دروس في رباط ابن سلم ومسجد ذهبان بالغيل وبالذات في علم المواريث إذْ له معرفة ودراية كاملة بهذا العلم، وعندما زار المستشرق الإنجليزي الباحث في قانون الشريعة الإسلامية (Andrson) حضرموت في حوالي خمسينيات القرن الماضي، في الوقت ذلك كان الشيخ عبدالله بامخرمة يعمل مكان والده في القضاء، التقى المستشرق الإنجليزي بمجموعة من القضاة والعلماء الموجودين في ذلك الوقت وبدأ يناقش ويحاور معهم .. فاستغل المستشرق الإنجليزي هذه الكوكبة من القضاة والعلماء فوجه سؤالاً خاصًا للشيخ عبدالله بامخرمة يتعلق بشيء عندنا في حضرموت اسمه (بيع العهدة) فرد عليه الشيخ عبدالله بكل سهولة ويسر فأعجب بجوابه، فقضى بقية الجلسة في حديث وأخذ ورد مع الشيخ عبدالله (رحمه الله)".


القاضي الشيخ عبدالله بامخرمة

أما ما قاله عنه سعادة الدكتور عمر بن عبدالله بامحسون (أطال الله عمره) والذي يعد من أبرز الشخصيات الاجتماعية والثقافية في المملكة العربية السعودية التي تكن لآل بامخرمة كل حب وتقدير والتواصل الدائم مع إخوان الفقيد الراحل وأولاده وأحفاده، وهنا أتذكر عندما زار الدكتور عمر بامحسون أرض الوطن لأول مرة بعد غياب دام نحو (٣٧) عامًا خص بزيارة خاصة للشيخ القاضي العلامة عبدالله بامخرمة في منزله بغيل باوزير وذلك مساء الأربعاء ٢٤ / ٩ / ٢٠٠٣م، فقال عن الشيخ بامخرمة بُعَيد وفاته:

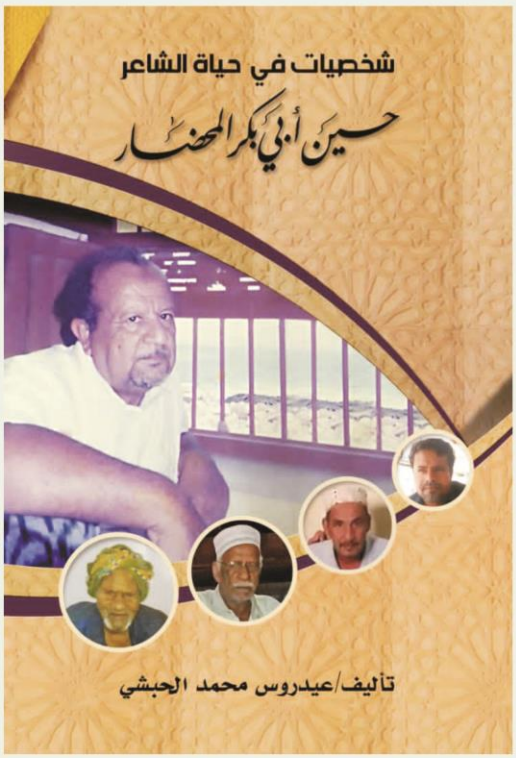
"يعد الفقيد العلامة الشيخ عبدالله بن علي بامخرمة أحد الشخصيات الاجتماعية البارزة التي كانت وستظل مرجعًا في جانب الفتاوى الدينية والاجتماعية والقضاء، كما أن وفاته تعد خسارة لحقت بالوطن وحضرموت، وبرحيله ترك بصمات جلية وعطاءات ملموسة في مجال القضاء والعلم والتجارة".

رحم الله فقيدنا الغالي العلامة القاضي الشيخ عبدالله بن علي بامخرمة فقد فقدنا لفقده كثيراً من الأعمال الخيرية التي توزن بها موازين أعماله إن شاء الله.

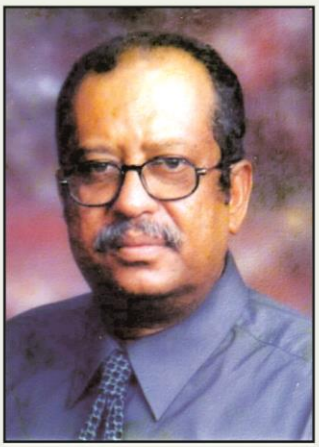
ونسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته، إنا لله وإنا إليه راجعون.

96
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

المحضار دعاباته وخزاته



من حسن حظ القارئ الشغوف بالمحضار والمتطلع إلى فهم الحياة التي قضاها مع أصدقائه، وكيف كان يحياها بأدق تفاصيلها، أن سخرت لهُ الأقدار الشاب النشط عيدروس محمد سالم الحبشي؛ ليدخله إلى دهاليز هذه الحياة المتوارية وعوالمها الطريفة واللطيفة، التي لم تخلُ من المداعبات والوخزات لحماقة الأصدقاء وحماقة السلطات، التي حكمت باسم الوحدة ورموزها، إن متابعة عيدروس الجادة لحياة المحضار مع أحبابه وأصدقائه، أثمرت للقارئ ذلك الكتاب المرح والموسوم بـ (شخصيات في حياة الشاعر حسين بن أبي بكر المحضار)، وكان المحضار في هذا الكتاب هو النجم اللامع الذي تدور حوله كواكب من أصدقائه ومحبيه، يتبادل معهم الدعابات والطرائف والمقالب والمشاكسات الشعرية الملونة بحب الحياة والإقبال عليها والاستسلام لأقدارها إذا وقعت.



د. عبده بن بدر

إن كتاب عيدروس كشف لنا البعد الإنساني الذي لا يمكن أن نراه بطريقة مباشرة في أشعاره المنشورة، بل إن هذا البعد مطوي في تفاصيل حياته اليومية ومن الصعب رؤيته بطريقة مجانية، بل الأمر يحتاج إلى حركة ومتابعة وتلقّط هذه الدعابات الطريفة، واستحضار تلك المقالب التي بين المحضار وأحبابه، وما كان لعيدروس إلا أن أنبرى لمثل هذه المهمة الصعبة واصطبر وصبر حتى أخرج لنا هذا العمل الذي أضفى جانبًا إنسانيًّا في حياة المحضار، المفعمة بالنُّبل والإخلاص؛ إذ كانت يده طويلة في عالم الخير، فهو لا يتردَّد إطلاقًا عن مدِّ يد المساعدة للفقراء من

97
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

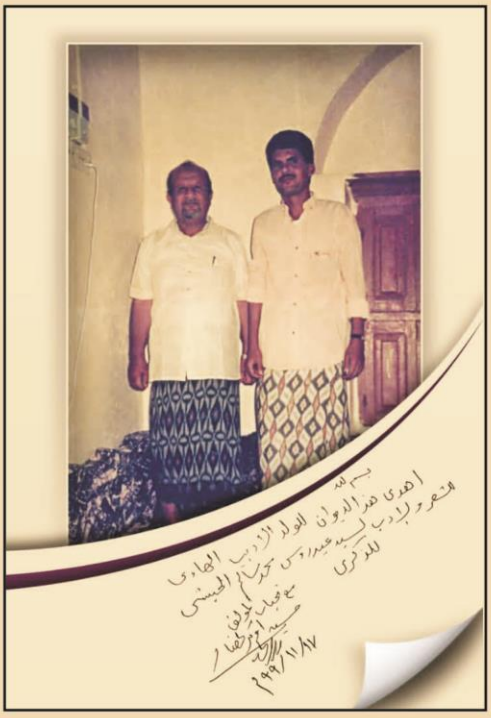
أصدقائه وغير أصدقائه، من الذين ضاقت عليهم دنياهم حتى أصبحت مثل سم الخياط، والكتاب دوّن جملة من المواقف النبيلة تحسب لهُ في ميزان حسناته إن شاء الله.

والمحضار لم يكتف بمسح دموع أهل الإملاق والعوز، بل تعاطف وأكرم حتى من ذهبت عقولهم، مثل: سعيودي، وعبيد القرمزي، الذي أخذ مرة سلسلة المفاتيح الخاصة ببيت المحضار، فلم يثر ولم يغضب، وتركه يذهب بها إلى حيث يشاء واستبدلها بأخرى، وكذلك السارق الذي سرق ساعة المحضار الثمينة من بيته، لم يشمت به، ويفضح أمره في كل مكان، بل سامحه وأكرمه عندما دخل بيته، بل سوغ لهُ سرقته بأنه ربما كان في حاجة شديدة للمال، فاضطر إلى السرقة، وكان المحضار يُكْرِمُه كلَّما أتى عنده إلى البيت إلا في هذا اليوم الذي سرق فيه الساعة، لم يعطه ما اعتاد عليه فمد يده إلى الساعة وسرقها.

إن الكتاب وضع يده على ذلك الشعر الذي لم يطبع في ديوان، بل ظل متناثراً هنا وهناك، وتتناقله الألسن من أجل التفكه والتندر، وهؤلاء الذين يتناقلونه هم قلة، ولكن عيدروس أراد أن يوسع هذه القلة ويفشي مثل هذا الشعر ولا يحرم القُرَّاء من قراءته والتفاعل معه والتعرف على وجه غير معروف عند الجميع؛ لما فيه من نوازع إنسانية ونوادر ودعابات، تثير الضحك والمرح. ويبدو أن المحضار كان يلون حياته بمثل هذه المواقف ويضخ فيها الدماء؛ حتى تظل شموع الشعر تتقد في داخله، ونرى الكتاب تضمن أولئك الأصحاب والرفقة الذين قال فيهم المحضار شعراً من باب المداعبة والتندُّر، وهؤلاء ليسوا بشعراء، مثل الطباخ (عبدالله السكوتي)، والسائق (عبود السعيدي)، و(صادق حميد)، و المزارع (العفس)، الذي يعمل في مزرعة المحضار التي لم يستفد منها، بل كانت



عيدروس محمد سالم الحبشي
مؤلف كتاب شخصيات في حياة
الشاعر حسين أبي بكر المحضار



مؤلف الكتاب مع الشاعر حسين المحضار



عيدروس الحبشي مع المزارع (العفس)

عبـئًا عليه لكنه تحملها من أجل خاطـر (العفـس). وإذا كـان هؤلاء الرفقـة والأصحـاب غير شعراء فإن هناك أصحابًا شعراء تسـاجل معهم المحـضار، مثل (صالح الحبشي) بحسـب تعبـير عيدروس، وتعبـير الشـاعر المحـضار حبـيشي، ولم يكن (حبيشي) بعيدًا عن دائرة الشعر، بل كان يميل إلى محاورة المحضار بالشـعر، وكان المحـضار يرد عليه، ومن محبـة عمنا (حبـيشي) للمحـضار كان يقـول عنه: (إن المحـضار صابون القلوب)، وهذه الحواريات الطريفة لم تقتصر على صالح الحبشي، بل غالب أهل قرية الواسـط، ومنهم فرج دعيس وعلي دعيس ، وكذلك عوض باعنقـود الملقـب (عويّض) وغيرهم.

ورفقة المحضار لم تكن (مؤطرة) بالشـعراء، بـل على من عاش معهم من أصحاب المهن البسـيطة، الذين ارتبـطوا بحـياته وعاشرهم معاشرة طيبـة ولم يعاملهم وفق علاقـة الرئيس بالمرؤوس ، بـل كان متسـامحًا معهم، ويمازحـهم ويحول المواقـف الطريفة معهم إلى أشـعار حـية، وإذا ما عملوا فيه مقلبًا من مقالبـهم رد عليهم بمقـلب ولم يحقـد عليهم أو يطردهم من العمل عنده ، ولذا قـال عنه سائقـه (عبـود السـعيدي): (إنه رجل رحـيم متواضع وبسـيط ومسامح لا يأخذ في نفسه على أحـد). أما سائقـه عبـدالله الرمادي بحسب تعبيره الدارج بـأنه (سـخيف القـلب)، وهذا السخف لا علاقة له بمعنى السخافة بحسـب اللغة الفصحى، بل يعني أنه رقيق القلب لا يسـتطيع أن يحبـس الدموع في عينه حـينما يشـاهد مشـهدًا حـزينًا ومؤلمًا، وعبـدالله الرمادي نفسـه هو من حـاول أن يجتهد ويضع تصريفًا عجيبًا لأنثى الجمل، وقـال عنها (جمَلة)، وحـينما سـأله المحـضار ما الذي تعنيه بـالجملة ؟ قـال: (حـرمة البعير)، ولأن المحضار يريد أن يمازحه فتح بـاب السـيارة وقال: "يا عبـدالله رح لحالك لعدن أما أنا ما بـذهب معك أنت يا عبدالله با تضيع العربية والشعر عليّ"، وفي السـائق نفسه قال المحـضار أبـياتًا رائعة يخلط فيها مشـاعر الحب والقـدرة على اصطياد القـلوب بالقـدرة على التصويب القاتل للوعل. ولا يدري القـارئ أين يلتفت هل إلى جمال الوعل أو إلى جمال الصبيَّة الجميلة، التي رميت بـرصاصات الرمادي في ذلك التصويب:

يهناك ياقانص حكمت القناصة

وعزمت ورميت الوعل من رصاصة

يا ريت من عينتك جم في بلادي

لك با يغني الطير

شوقتنا يا ظبي لونك رمادي عامد شعاب الخير

وهناك أيضًا شوفير المحضار عبود السعيدي الذي قـال عنه المحـضار أبـياتًا، تدل على أن عبـود لم تتغير حـالته المعيشية على الرغم من سـفره إلى الإمارات، فهو يتحـرك هنا وهناك، ولكن النتيجة واحدة لا تتغير.

وعبود هو ذاك هو ما شي انقلب في عبود

يلحق على الطائرة أو يجي فوق عود

راح البلاد كلها باقي بلاد بن سعود

ولم يسلم السائق عوض خليفة كدة من مداعبة المحضار الشعرية وقال فيها:

انطلق يا سعيد كدة هات للجماعة عشاء

المشكلة إلا سيكلك إن تعطل ولعاد مشى

أما السائق مبارك باعنقود الذي لقبه المحضار بالصومعاني فقد كان يتبع هواه ولا يحسن اختيار المكان، الذي أراد أن يزرع فيه، وهو لا يختلف عن المزارع (العفس)، الذي يعمل في مزرعة المحضار ولا يجد عنده ما يمكن أن يفتخر به عند الناس، بل لم يجنِ منه سوى الخسارة، ولكنه صابر عليه مثل ما صبر على الصومعاني لذا قال فيهما:

العفس ومبارك ومحضار هم كرهونا مسقط الرأس

وكرهت حتى مقعد الدار لقعدت هلوا علي كما الحاس

ماشي عمل منهم سار لي بفتخر به على الناس

وقال في صومعاني أيضا:

حد بايكلم صومعاني في عطا روده بقّل قرنفل

مساهن للمولى كرم ماشي على جول تنبت عيون

أما السائق صادق حميد الذي استبدله المحضار بسعيد باحبوكر فنقره المحضار بمنقاره الشعري وقال فيه شعراً ظريفًا:

صادق كما الديك والديك كما صادق

إذا ذبحته عدمته وإذا مسكته سلح فيك

إن المحضار لا يحيا إلا بالشعر؛ فروح الشاعر تتوقد بداخله، ولا يهدأ هذا الداخل إلا بتحويل موضوعات الحياة ومواقفها التي يصطدم بها إلى شعر حتى تصبح الحياة مقبولة وأقل قبحًا، وكُل هذه الشخصيات البسيطة قد سعَدت مع المحضار وسعدَ بها، وكل هؤلاء في كفة والعباد في كفة، لقد كان البطل في مشهد الطرافة والظرافة التي لم تتوقف عند العراك بالكلمات واللكمات الشعرية التي يكيلها المحضار (للعباد)، بل وصلت إلى حد العراك بالأيادي، ولأن العباد يفتقد إلى موهبة الشعر ولا يستطيع أن يرد هذه الكلمات للمحضار فكان يستعيض عنها باللكمات الحقيقية والضغط على المحضار بجسده الضخم مثلما يفعل المصارع (هوقن)، في تلك المشاهد التي نراها في حلبة المصارعة كلما أراد يُثبت خصمه ويلزمه بالهزيمة النكراء، فما كان من المحضار إلا أن يستسلم، وينفذ طلبات سيد الحلبة القوي، ويستشهد (عيدروس) بحديث طريف للدكتور هادون العطاس يقول فيه: "إن عمي حسين المحضار يعجبه في شخصية العباد أنه مرح وفي الوقت نفسه سريع الغضب وكان يحب ... أن يغضب العباد ويكون سعيداً بذلك أكثر من أن يسمع (تهقاله)؛ لأنه عندما يكون غضبان تحصل منه مواقف ينبسط منها المحضار حيث كان نادراً ما يغضب"، ومن أفعال العباد العجيبة مضايقته للمحضار كلما أتى إلى بيته الموجود بخلف في المكلا ليرتاح أو يبيت فيه يجد العباد مع أسرته قد سبقه إليه، والسبب أن المحضار سلَّمه نسخة من مفتاح هذا البيت، فما كان من المحضار إلا أن يعبرّ عن ضيقه، وتكدّر صفوه بأبيات تُشبه العباد بالمحتل الغاصب للأرض، وعبر عن هذا المشهد الحانق على العباد بالآتي:

عباد وعياله استحلوا الدار مثل ما استحل غزة اليهودي

لابد ما نطلق عليه النار تسحبه عا بطنه جنودي

وفي قصيدة أخرى يضع المحضار العباد على محك المفاضلة بينه وبين عبود، وكان الرهان على تلك الصبية

الحلوة التي فازت برضا عبود، وخسر العباد في الرهان، بل أعلنت هذه الصبية عن رضاها التام لعبود، ليس هذا حسب بل لا تشبع من السمر معه، أما العباد فلا مكان لهُ في قلبها.

وفي قصيدة أخرى يطالب المحضار المرء بأن يرفع يده ويلطم العباد خمس لطمات، وبتعبير المحضار (عباد لا تكلمه لا شفته عطه خمسة كفوف)، والمحضار لا يستطيع أن يعبرّ عن محبته للعباد دون أن يمازحه ليس في الأيام العادية بل حتى في أفراحه إذ قال ممازحًا له في أفراح نجله:

العباد يبغى العرس يعبر كله بلاش

والمرشدي التزم بالرز هو والكباش

هو ما يريد الجلب يبغى دنانير كاش

إذا ما بغيت الضيفة لق لك لخم والاكراش

عباد والف كل ما طلع علب ناش

ما علب هذا السنة ما فيه شي دوم خاش

ومن المواقف التي لها دلالة ذلك الموقف الذي طلب فيه العباد مبلغًا من المال، ومن عادة المحضار أن لا يرد بلغة مباشرة بالقبول أو الرفض بل يلجأ إلى لغة رمزية متفق عليها مع العباد، فيقول الكهرباء (عندي اليوم طافية)، ويعني غير جاهز للدفع، أو يقول (الكهرباء لاصية) بمعنى أنه جاهز للدفع. وفي ذلك اليوم الذي طلب العباد المبلغ أراد المحضار أن يستفز العباد فقال له: (الكهرباء طافية)، فما كان من العباد إلا أن مسك بيد المحضار ويلويها بقوة ويقول له قل الكهرباء لاصية. ولم يصمد المحضار أمام هذا اللوي المستمر على يده إلا أن يستسلم ويوافق على طلب العباد، ويقول الكهرباء لاصية، وبغض النظر عن هذا الموقف الطريف إلا أنني نظرت في حال الكهرباء البائس وتمنيت أن يتجاسر العباد ويلوي أيادي القائمين على شؤون الكهرباء ويخلّصنا من هذا البؤس الكهربائي الذي حوّل حياتنا إلى غرفة مظلمة كئيبة لا يُحتمل البقاء فيها.

إن كتاب عيدروس على ما فيه من طرافة ومزاح فإنه لم يخلُ من الجدِّيَّة والانحياز لتفسير شعر المحضار بحسب ما تقتضيه لغته الفنية وقدرة هذه اللغة على خلق المعنى المقبول والمعقول دون أي مزايدة وخروج لا يتفق مع غايات شعر المحضار، لامع انفعالاتنا العابرة وتطلعاتنا الخاصة، التي تخمد نار الشعر المتوقدة، ولذا نرى عيدروس ينال من التفسيرات الاستعراضية لشعر المحضار وتهويماتها الخيالية إذ يقول: "الذي يحز في نفسي أن البعض.. يوحي إليك في تحليلاته وتفسيراته أنه حبر المفسرين في أشعار المحضار جرأة في القول لا تخلو من العشوائية وتخالف ما سمعناه وقرأناه، وأغلب تحليلاتهم جاءت من أجل المباهاة والشهرة وإثبات قدرتهم الكلامية الخيالية للناس على حساب الشاعر". ويتكئ المؤلف في رأي صالح الحبشي الحذر حول مسألة تفسير شعر المحضار؛ إذ يعلن الآتي: (لا أستطيع أن أقول أن المحضار يقصد غرضًا محدَّدًا في قصيدة معينة إلا إذا أباح بسرِّها أو جزء منها في الجانب السياسي أو الاجتماعي أو الشخصي)، والمؤلف لا يكتفي بهذا الشاهد السابق، بل عزَّزه بشاهد آخر تفوَّه به الدكتور هادون العطاس: "إن المحضار لا يحب أن يعرف أحد المقصود من النص الذي يقوله سواء في شخص معين أو في واقعة معينة إلا إذا هو أفشى السر ثم بعد ذلك يغلفها بالإيحاءات بحيث إن كل شخص يفسرها على حسب تفكيره ومزاجه الخاص".

والمتأمل في رأي هادون يرى انبساطًا وانفتاحًا، وإحالة أمر تفسير شعر المحضار إلى طرائق تفكير كل مفسرٍ ومزاجه، ولعل المزاج مرتبط بالنواحي النفسية للإنسان، ولا يمكن القارئ الحصيف أن يقيد عشاق المحضار،

ويلزمهم بخطوات ومعطيات جاهزة لقراءة شعر المحضار، ولكن الالتزام بما تقوله اللغة نفسها وحمولاتها التي تشع بالمعنى والدلالة فضلاً عن القدرة على معرفة تقاليد وتقنيات صناعة الشعر الشعبي وطبيعة رموزه، والتفاعل مع نصوصه وغيرها من الأمور التي لا يستغنى عنها القارئ لفهم شعر المحضار.

إن كتاب عيدروس رصد تلك العلاقة المرحة بين المحضار وسعيد بهيان وعلى مرحها وخفة دمها فإنها قدمت صورة طالما أهملت أو تعمَّد إهمالها، وهي وخزات المحضار الشعرية التي غزّ بها جسد النظام السياسي المحسوب على الحزب الاشتراكي اليمني وإن ظل في حدود ضيقة ولم يسمح له بأن يتطاول ويعلن عن نفسه ؛ لأن النظام السياسي كان دكتاتوريًّا، ويقف بقسوة ضد حرية التعبير، ومن المواقف اللافتة للمحضار تصريحه في مجلس الشعب الأعلى بضرورة تقوية العلاقات مع الدول المجاورة، ويعني بها دول الخليج ولا نقفز إلى الدول الاشتراكية البعيدة وردَّ عليه أحدهم بالقول: (يالمحضار أنت ما تفهم شيء في النظرية الاشتراكية) ولم يصمت المحضار أمام هذا الرد المتعالي، ولجأ في ردِّه إلى وسيلته الراقية ألا وهي الشعر، فقال:

ماافتهم لي ليش تقصد تعدي في الملاوي وهي قدامك الجادة
ماافتهم لي ذي سياسة حكيمة منك وإلا سخافة عقل ومعاندة
ماتفيدك سخافتك وعنادك ،في الملاوي إذا خلّصت زادك
الملاوي تشل كل ماكسبته لها وتقول هل من مزيد

والقارئ حينما ينظر إلى هذا الشعر يرى فيه رد فعل المحضار والتوجه المبالغ فيه بشأن الدول الاشتراكية، والمطالبة على الدوام بتقوية العلاقة مع هذه الدول، والتعنت على تكرار ذلك الشعار الأيديولوجي، وعلى رأسهم الاتحاد السوفيتي، وبمثل هذه السياسة جعلوا لكل شيءٍ رأسًا حتى الأشياء التي لا رأس لها، وبالمقابل أهملوا دول الجوار، بل عادوها باسم سياسة الرأس العجيب، وكانت هذه الدول هي القادرة على منح القروض والمنح المالية، وبتعبير المحضار البسيط: «ليش ما بغوا صحابنا يتوجهون إلى الجانب البحري عندهم دول الخليج بيخلونها لهم (سيكوب)»، وهذه الفكرة قالها شعرًا، عبرَّ فيها بشيء من الحرقة عن تجاهل الرفاق لدول الجوار؛ إذ يقول:

عامد الجانب النجدي، مامعك شي مجاني
ليش ماتعمد البحري، عاسيوب المعايين

ورمزية الجانب النجدي في بعده المكاني الذي لا ماء فيه ولا زرع ولا بساتين، بل نال منه الجدب والبور، الجانب البحري فتتوافر فيه شلالات الماء الذالحة بالحياة.

هذه الفكرة لها قيمة أكبر حينها، وقيمتها ليس في إطلاقيتها، بل في مناسبتها للحظة التاريخية حينما كان الجنوب دولة، واللافت أن السفير الروسي (أوليغ بيريسيبكين) مؤلف كتاب اليمن واليمنيون يحُمّل الجبهة القومية مسؤولية تدهور الأوضاع الاقتصادية في تبوّئها هرم السلطة في الجنوب؛ إذ يقول: "إن المسئولية تقع على عاتق الجبهة باتباعها نهجًا مفرطًا في القساوة مع الأنظمة الملكية في الجزيرة العربية، التي تعتبر المانح الأساسي في العالم العربي إمكانية الحصول منها على مساعدات مالية... وفي داخل البلاد لم يتمكن زعماء الجبهة القومية من التفاهم مع القطاع الخاص، فأفرطوا في تنظيم الحياة الإدارية تمامًا كما كان عليه في الاتحاد السوفيتي، الذين كانوا يأخذون منهم المثال والنموذج وفي الوقت نفسه ارتفعت النفقات غير المنتجة على الجيش والمليشيا الشعبية وأجهزة الدولة التي

وصلت إلى خمسة وخمسين بالمائة من حجم ميزانية الدولة"(١) والرفيق الروسي (أوليغ) لا تنسَ أنه لم يكن في حينها محسوبًا على روسيا، بل كان محسوبًا على الاتحاد السوفيتي الذي يحرص سفراؤه على تشجيع النموذج السوفيتي وتصديره. ولم ينصح الرفيق أوليغ الرفاق بالتوجه إلى هذه الدول المانحة، بل لزم الصمت وانتظر إلى أن زال الاتحاد السوفيتي، في حين أن المحضار لم ينتظر وأعلن عن رأيه ليس شعرًا فحسب بل داخل مجلس الشعب الأعلى . وبمناسبه حديث السياسة ومواقف المحضار من الحزب يمكن للقارئ أن يمضي في التقاط بعض من وخزات المحضار التي نال فيها من الحزب خاصة الأبيات التي كان يردُّ فيها على (سعيد بهيان) الذي يصطف إلى جانب صف الحزب الاشتراكي اليمني، ويزعم لنفسه أنه الطرف المدافع عنه فيقول بهيان:

للملح والكبريت أسسنا مصانع في البلد

مابقى إلا الرز والسكر وباقي إلا السليط

فيرد عليه المحضار ويقول:

مامعاكم إلا الزنط مامعاكم خلاف الزنط

ولعاد حاجة ياقليل الخير يكفي من زنيط

وبالفعل كانت الأيديولوجيا الحزبية الصاخبة المخيمة على الجنوب. حرصت هذه الأيديولوجيا على ضجيج الشعارات التي تهيِّج انفعالات الجماهير ولكنها لا تحُسِّن حياتهم في الواقع المعيشي؛ لأن الواقع كان مُرًّا، وبلغه الرفيق (أوليغ) الذي يقول: (إن مدوناته كان يكثر فيها من تسجيل الأوضاع السياسية المتدهورة . هذه المنجزات التي ذكرت من بهيان كانت فاشلة، ولا تحقِّق أرباحًا، وكان المفروض أن تغلق هذه المصانع، لكن كبرياء الأيديولوجيا أبت أنْ تعترف بالفشل، وكابرت، وفي حدِّ تعبير المحضار (ما معاهم سوى الزنط والزنيط)، (وأوليغ) يكتب بأنَّ أكثر من ٣٠ بالمئة تقطع من رواتب العاملين في المؤسسات الحكومية، ومن التجار في القطاع الخاص لصالح وزارة الدفاع، وأما سوق عدن في كريتر فأصبحت أفقر في اللحم والسمك على الرغم من أن الجميع يتحدث عن إنجازات قطاع التعاونيات، كما أن الخضار والفواكه أصبحت أقل وفرةً، وبسبب هذا الشح في الخضار والفواكه اضطرت السفارة السوفيتية من أجل التحضير للحفل بمناسبة (٧ نوفمبر) إلى إرسال سيارات تحمل لوحات دبلوماسية إلى تعز بشكل دوري لشراء المواد الغذائية وقد كانوا يعبرون الجمارك بسهولة في ١٤ نوفمبر عام ١٩٧٣م، وتم ذلك بعد إذن موسكو.

وعودة إلى وخزات المحضار السياسية يُمكن أن يضيف القارئ تلك الأبيات التي سخرت من تلك المشاهد المزعجة واللامسؤولة التي تحدث كل عام ليلة الاحتفال بعيد رأس السنة أو ما يطلق عليه (الكرسمس)، في هذه الليلة يسمع الداخل إلى عدن ألوانًا من الأصوات التي تصدر من السيارات التي تدور في شوارع عدن أو من المزامير الصناعية التي ينفخ فيها من الشباب، فيضاعفون بمثل هذه الأصوات درجات الإزعاج الذي ينهال عليها من كل مكان، والمحضار لم يَرُقْ له هذا المشهد، فقال فيه هذا البيت من الشعر الذي يرد فيه على سعيد بهيان، الذي يتغنَّى بمكاسب الحزب (وعاد هذا من مكاسبكم دهن تحكي لحد ماتشوف حد دايخ وحد يرقص وحد فيط فيط).

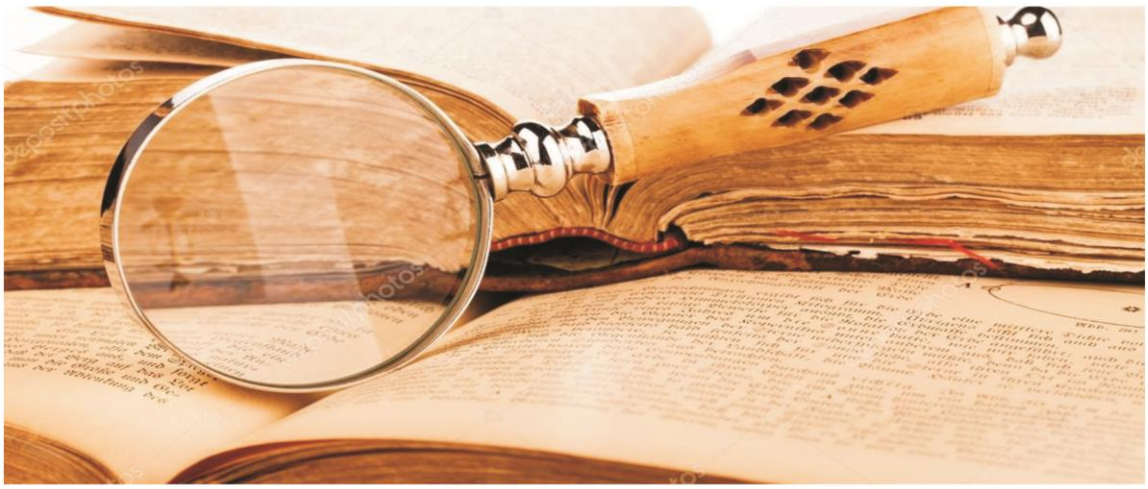
شواهد:

١) اليمن واليمنيون ذكريات دبلوماسي روسي

- د. أوليغ بيريسيكين - دار الهلال بيروت، ط/ ٢٠٠٥م، ص٣٠٧.

103
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

نموذج على تقارب المثل السوداني والحضرمي





منير بن سالم بازهير

الأمثال متنفس الشعوب ومنابرها القديمة قدم الإنسان وحضارته.. القريبة من عقول أفراد المجتمع بشتى أنواعها.. وهي نصح ذكي.. وحكمة لبقة.. يجُمِع الكل على صلاحيتها للتنبيه بأوجز عبارة.. وأذكى إشارة..

ولكون الأمثلة العربية.. خاضعة في تكوينها للعقل والمنطق.. ونقد الذات والواقع ونمط الحياة.. نجدها تتشابه في الرسالة والهدف والفكرة في كثير من الأحيان.. ويساعد على اتفاقها وحدة القواعد المنطقية العقلية الملهمة للعقل بالرأي السديد.. وكذا الوحدة الدينية المؤطرة للعقائد وللقيم والشرائع.. وتعود أحيانًا كثيرة إلى التقارب البيئي والثقافي..

والمثل يرتبط بمواضيع كثيرة من موضوعات الحياة.. ويتشعب ليشمل مختلف المجالات الحياتية:

١- الدينية. ٢- الزراعية. ٣- التجارية.

٤- الحيوانية. ٥- الأدبية. ٦- السياسية. وهكذا..

وبالتأمل في تركيبة المثل السوداني والحضرمي أجدهما يتفقان في كثير من الأحيان في اللفظ أو المعنى

والهدف وأصل الفكرة.. للعوامل المتقدم ذكرها.. نعم للمثل الحضرمي لهجته وللسوداني لهجته.. فهذا أمر حتمي.. فاللهجات الصانعة للمثل والمشكِّلة لقوالبه اللفظية تختلف ولكن العبرة بالرسالة والغاية والهدف..

ولن أطيل الكلام في المقدمات الكاشفة عن مناخ انطلاق المثل وأرضية تكوينه.. ولكن سأدلف بسرعة خاطفة إلى نموذج من التقاربات في نمطية المثل الحضرمي من حيث وحدة الهدف والرسالة.. ولعل هذه المقاربات تستمر في حلقات أخرى قادمة..

فمثلاً يقول أهل السودان: (الخيل يجقلب والشكر لحماد)؛ أي الخيل يجري ويبذل جهداً في حركته وسعيه.. ومع هذا ينسب فضله لغيره..؟ و(لغيره) هنا رمز له بحماد وهو مفرد يقصد به جماعة...

وفي أمثلة حضرموت بجهة وادي عمد ودوعن والكسر بأسره ولا أدري هل يشمل مناطق حضرموت الأخرى يقال: (الشاة شاة سالمين واللبن لسيده) فسالمين يعاني ويرعى تلك الشياه ويوهم أنه يمتلك تلك الشياه.. وتنسب إليه استغفالاً.. وفي النهاية يكون اللبن لسيده.. ولا ينسب لسالمين من الفضل شيء.. كما لم ينسب للخيل فضل في المثل السوداني وإنما نسب لحماد.. وسالمين ليس له إلا وهم النسبة.. وهو مفرد قصد به جماعة..

ففي مثل السودان تأتي الرمزية البشرية بحماد وفي حضرموت بسالمين.. والرمزية الحيوانية تتصل بالخيل في السودان وبالشاة في حضرموت.. فالسودان إلى ساعتنا هذه كثيرة الخيول، وقد رأيتها بأمِّ عيني تجرُّ العربات في المزارع والأرياف؛ لأن السودان أرض وافرة الزرع، خصبة المرعى، كثيرة الأعلاف.. بينما اتجه المثل الحضرمي إلى الشياه لكونها الحيوان الأكثر انتشاراً بها.. وللمثل الحضرمي صورة مقاربة أخرى يشير إليها قولهم: (السيل من جعيمة والجمالة لسرُ) وهو يحمل المأساة نفسها نسيان نسبة الفضل للأصل.. رمز لها هنا بنسيان وادي جعيمة الذي انحدر منه السيل أصالة إلى وادي سرُ الذي يقع بعده.. وهكذا نسب كل الفضل لوادي سر.. حتى نسي وادي جعيمة ولم يذكر..

والرسالة التي يهدف إليها المثل في كلا البلدين نسبة العمل إلى غير صاحبه وجحود المجتمع لجهود الذوات البسيطة واستغفالها.. وهكذا تضمَّن المثل بحضرموت والسودان رسالة سريعة متقاربة الهدف والفكرة.. ليكون المثل جريدة معارضة للشعوب المغلوبة على أمرها، سبق من حيث الظهور والبروز الجرائد الورقية السيارة..

وسارت الأمثال سيراً حثيثًا بين الشعوب ألفاظًا لها مكانتها الخاصة وألقها الدائم.. تحفظ بتلقائية، وتستخدم بانسيابية على ألسنة الناس صغاراً وكباراً رجالاً ونساء.. تتخلل حديثهم كما يتخللهم الهواء بعفوية وانسجام..

وما يزال الحضارمة يعانون من توصيف الشاة شاة سالمين؟ واللبن لسيده؟ في أكثر من مجال؟ يفطن له العقلاء بإشارة المثل الحصيفة.. والصقر لوح له.. والثور بوح له..

هذا وبالله التوفيق.

105
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

العمَّاري

عاشق الموروث الشعبي الحضرمي



ما إن تدلف متَّجهًا إلى منطقة حوفة، الواقعة في أقصى وادي دوعن الأيسر إلا وتستقبلك بعض البيوت على الجهة اليسرى ومن بينها منزل المواطن أحمد محمد عبدالله العماري أبي عمار، الذي خصص بعض الغرف في منزله لحفظ المقتنيات الأثرية وعرضها، التي حرص على تجميعها لسنوات طويلة؛ لتكون بمنزلة متحف مصغَّر مبني بجهوده الذاتية، ضحى في سبيل ذلك بوقته وماله ليكتب شهادة للتاريخ، وتأكيدًا على أننا نضحي بأشياء ثمينة لدينا قد لا تعني شيئًا للكثير، ولكن تحفظ لنا جزءًا مما بقي من تاريخنا وتراثنا.



يوسف عمر باسنبل

فكرة إنشاء المتحف:

عن فكرة إنشاء (المتحف) يقول المواطن أحمد محمد العماري المولود عام ١٩٦٦م وحاصل على شهادة الصف الثامن من مدرسة حوفة : إن الفكرة جاءت منذ صغره؛ لأنه يعمل صائغًا ومهتماً بزينة الجنابي؛ إذ كانوا يعملون لها نقوشًا فضية ونحاسية وذهبية، ومن ثم تطورت هوايته منذ طفولته (جمع الأشياء التراثية والاحتفاظ بها) وتراكمت لديه خبرات سنين طويلة، وحبه للأشياء التراثية القديمة دفعه ليكون هذا المتحف جهداً ذاتيًّا وشخصيًّا منه، فضحَّى في سبيل إنشائه بالكثير، وقرَّر الاستقرار في الوادي وعدم مغادرته مثلما فعل الكثيرون .



وأضاف : إن له سنوات طويلة وهو يعمل على جمع هذه الأشياء واقتنائها بهدف حفظ تراث بلاده، ويقوم بشراء بعضها من أبناء المحافظات الشمالية لحفظها حتى لا يذهب تراثنا من بين أيدينا ؛ لأنهم قاموا بشرائها من أشخاص من دوعن، فيقوم بشرائها منهم ومن أشخاص من دوعن أيضًا الذين يدعوهم للاهتمام بالتراث والآثار وعدم بيعها بأبخس الأثمان.



أبرز مقتنيات المتحف:

يحتوي المتحف على أكثر من ١٠٠٠ قطعة، أبرزها عُدَّة الأسلحة القديمة، ومنها عدة سلاح البافتيلة، وأدوات زراعية، ومنزلية، وكل ما يخص دوعن في المراحل التاريخية القديمة، وأدوات إضاءة قديمة، وطوابع بريدية، وعملات مختلفة ومصكوكات نقدية، وتسجيلات وأشرطة قديمة وأسطوانات لعدد من مشاهير القراء والفنانين أمثال محمد جمعة خان، وملبوسات ومصبوغات فضية ونحاسية، ومن بينها وجدنا فانوسًا عمره أكثر من ١٠٠ عام يعود للجنود البريطانيين الذين احتلوا بلادنا، كما يحتفظ بعلبة كبريت عمرها أكثر من ٥٠ عامًا.



جهود ذاتية لم تحظ بالاهتمام:

أحمد العماري قام بإنشاء هذا المتحف الذي خصَّص له أربع غرف من منزله، وقد يضطر في قابل الأيام لزيادة عدد الغرف بجهوده الذاتية، التي لم يقدِّرها أحد، ولم يكن يسعى للحصول على شيء سوى التقدير من الجهات المسؤولة وذات الاختصاص ؛ لأنه يؤكد أن أكثر ما يخاف عليه هو التراث والإرث العظيم، الذي بين أيدينا وقد يذهب منَّا في أي لحظة بعد أن ضاع الكثير ولم يلقَ الدعم والتشجيع من الجهات المسؤولة.





لقد زار هذا المتحف المصغَّر قبل أشهر مدير عام دوعن الأستاذ سالم أحمد بانخر وأثنى على فكرة المتحف واهتمام العمَاري بتراث حضرموت. وكان أصدقاء العماري دائماً في مقدِّمة مَنْ يدعمه ويتعاون معه، في الوقت الذي لم يلتفتْ إليه ولا إلى جهده لحفظ التراث التجارُ ورجالُ الأعمال، واتجهوا لدعم أمور أخرى، ويطالب العمَّاري الجهات المختصة والمسؤولة والتجار بالاهتمام بهذا الجانب، ودعم حفظ الموروث الشعبي، وتشجيع الناس على حفظ تراث بلادهم.



قبل ختام الزيارة:

وقبل أن نودِّع الأخ أحمد العماري في ختام زيارته بمنزله مع بعض الأصدقاء، قال: إن له من الأبناء أربعة (عمار ومحمد وعبدالرحمن وعبدالملك)، وعبدالملك مهتم بالآثار ولديه ميول لهذا الجانب، وقال أبو عمار إن قلبه مفتوح قبل بيته لاستقبال الزوار والمهتمين بهذا المجال؛ لأن طموحه يضطلع إلى حفظ آثار حضرموت وإظهارها بالشكل اللائق والمناسب وإعطائها حقها من تسليط أضواء الإعلام. وطالب العمَّاري بتوفير مبنى خاص لحفظ الآثار والموروث الشعبي أو إنشاء مركز لحفظها.. وختامًا نطالب بتكريم هذه الشخصية التي قلَّما نجد مثلها في هذا الزمان وتشجيعها؛ لأنه لم يجد التشجيع حتى من أقرب الناس إليه؛ فقد ضحى بالكثير لأجل هذا المشروع التاريخي الحضاري.







108
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

قصة قصيرة

غادر..



مسعود علي الغتنيني

ها هي.. ليلة أخرى تنقضي، ولم أرها فيها، ليلة طويلة، طول حنين القلب المكلوم، كان المؤمل أن نلتقي هنا، كما نلتقي كل ليلة على هذا الشاطئ الجميل، الساحر.

لم تأت الليلة.. لم تأت البارحة، كما لم تأت الليالي التي سبقتها، بواقع عشر ليال متتالية، مضت وكأنها عشر سنوات، بطيئة كئيبة، أعد دقائقها وثوانيها عداً، هل جربْتَ عدَّ الثواني؟! إنَّ عدَّها مؤلم، مجهد، كأنك تحصي أنفاسك المضطربة، أتساءل في توجس، ما الذي حدث؟ ما الذي أعاقها؟ فلا أسمع غير صدى صوت.. يأتي من أعماق سحيقة:

– هي لم تذهب، هي هنا، ولكنك أنت لا تراها، لقد تغيرتَ كثيرا! أصبح قلبك مشغولاً بغيرها.

– قلبي أنا؟!

– نعم قلبك! قلبُ مَنْ غيرك إذًا؟! فتِّشْ في قلبك وستجد الإجابة!.

– لقد فتشتُ مسبقًا، في كل زواياه، وكل حناياه، وفي أقصى أعماق أعماقه، وأقسم بكل ما هو عظيم! أني لم أجِد سواها هي.. وهي فقط.

– هههه على هامان يا فرعون؟!

– أي هامان؟ وأي فرعون؟ إني لا أجيد المراوغة ولا اللف ولا الدوران.. إني صادق في كل ما أقول، ولم أكن صادقًا يومًا، بقدر ما إنني صادق الآن.

– هل تحاول أن تقنعني، أنك لم تكذب عليها أبدًا، لم تتلاعب بمشاعرها قط، لم تدلّس عليها البتة، لتوهمها بصدق حبك لها؟ لم تخنها يوما؟!

– حتماً نعم! ثم.. أخبرني من أنت؟ حتى تقتحم علي خلوتي، وتنتهك خصوصيتي، أخبرني.. من جعلك وصيًّا على قلبي؟ لتحاسبني على مشاعري!

– هل تتهرب من الإجابة؟ أفق..أفق! لقد بتَ مكشوفًا، وأيمانك الكاذبة، لم يعد لها مكانٌ مطلقًا، لقد أصبحتَ سفراً مفتوحًا، أمام الجميع، وأمامها هي، هي على وجه الخصوص! أعْلَمُ أن كلامي هذا قاسٍ، ولكنها الحقيقة، والحقيقة.. مؤلمة دائماً، لن أزعجك أكثر، وداعًا! آه.. نسيتُ أن أخبرك: لا تعد لعد الثواني.. فقط غادر بهدوء.. فهي لن تأتي!

– من أنت؟

– .....

– أجب!

– .....

–ما الذي تريده مني؟

– .....

أصبح المكان مُوحِشًا، ليس به سوى نسائم باردة تلفح جسدي المرتعش.. وخواء قاس، ينخر نفسي المجهدة، وأفكار كئيبة تخنق أنفاسي المترددة، تحثني أن أغادر.

109
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

قصة قصيرة

صرختُ من المترس



عبدالله فيصل باصريح

طفل أنا! اغتالوا طفولتي حرموني من أبسط حقوقي، هَضَمُوا كياني وجنَّدوني تحضيراً للحرب أو بالأحرى لجنازتي، كسروا أجنحة طفولتي، واغتصبوا براءتي، ومزقوا ابتسامتي، وقتلوا قلبي الصغير قبل أن يكبر، لم أرَ من هذه الحياة سوى ركام الحرب وأشلاء الضحايا، طفولة ممزوجة برائحة البارود والتهجير والقسوة. الحرب حرمتنا "الحرية" و "الطفولة"، وهذا العالم حرمنا الأمان. شرَّدتْنا الحرب، وقتلت فرح الطفولة وبهجة الحياة. قيَّدتْنا في المتارس. دفعتُ لحظات سعادتي ثمنًا للحرب، وفقدت معها آمالي، أحلامي، فرحي، حقي في التعليم، وحضن أمي الدافئ.

اتكأ محمد بظهره النحيل على صخرة المترس، ومدَّ ساقَيْه منفرجتين. كان المكان موحشًا، والليل أرخى سدوله، والسماء مرصعة بالنجوم، والقمر يخفي نوره خجلاً.

أخذ محمد ينظر إلى السماء كانت سوداء تخيف من ينظر إليها، والسماء تنظر إليه وهي غاضبة وهو لا يفهم هذا الغضب. والنجوم تلتهب تكاد أن يحرق بعضها بعضًا غيظًا. كان الموت يحاصره من كل مكان، والخوف يخنقه، رغم أنه يضع البندقية على ساقيه؛ لكنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه، يداه الصغيرتان لا تستطيعان حمل البندقية طوال اليوم. أنفاسه البريئة اعتادت رائحة البارود، وعيناه الصغيرتان اعتادتا على مشاهدة المجازر والدماء، وأذُناه الهادئتان لا تسمعان إلا موسيقى الرصاص، وأصوات المدافع، وانفجار الصواريخ، يعيش في قبو مظلم اسمه (المترس)، لا يغادره إلا لوقت الحاجة، لا يعز عليه شيء بقدر نجاته من الموت. نعم الموت ذلك الشبح الذي يطارده في النهار، والخوف ذلك الجفنُ الذي يغطي عينيه في الليل. حدَّثوه عن النصر كثيراً، لكنه لا يريد إلا ذلك النصر الذي يعيده إلى حضن أمه، أما ما دون ذلك فخسارة له، وليس خسارة المعركة التي يتحدث عنها الجميع. الوطن بالنسبة له رغيف الخبز وحضن أمه الدافئ وحديقة يلعب فيها هذا هو الوطن الذي جعله يقبع في المترس، أما وطنهم الذي يتحدثون عنه فقد رماني في حفرة المترس، وجعل الرصاص يتسابق إلي. ولا أدري أي رصاصة التي سوف تفجر رأسي الخالي من شهوة السلطة، نعم كل من يحارب هنا مصابون بحب السلطة أو هم سلم يرتقي بهم إلى السلطة. أما أنا فما زلت أتذكر تلك اللحظات التي نُقشت في ذاكرتي. عندما كنت في المدرسة الابتدائية، في الصف الثامن تحديداً، كانت المدرسة هادئة، وعندما كانت الشمس في كبد السماء، كان الطلاب في فصولهم، وكان فصل طلاب الصف السابع ملتصقًا بالفصل الذي ندرس فيه. كانت عندهم حصة اللغة الإنجليزية. كنت أستمع إليهم وهم يردِّدون حروف اللغة الإنجليزية بحماس، تكاد أن تتمزق الحبال الصوتية لديهم.. يريدون أن يضيفوا لغة إلى لغتهم، يتغنون بالحروف ينافسون الطيور التي تغرِّد في حوش المدرسة، أصوات البراءة، تزيِّنها ابتسامات الطفولة، وتكسوها المحبة، نعم محبة العلم والطموح العالي. كلٌّ منهم يريد أن يتحدَّث اللغة الإنجليزية بطلاقة؛ لأنها لغة

العصر كما أخبرهم الأستاذ. وما زالوا يعزفون على موسيقى الحروف، حتى سمعتُ فجأة ضحكات تغادر الفصل، إنه ناصر، صاحب الجسم الكبير على أقرانه داخل الفصل، صاحب الذقن والشنب الوحيد في الفصل. كعادته يخطئ في نطق الحروف، وتتعالى الضحكات عليه، ويعمُّ الفصلَ شيءٌ من الفكاهة والتسلية، ويستمر الجميع في الضحك. بينما كنا نحن منشغلين بحصة الرياضيات، كانت لغة الأرقام هي لغتنا في تلك اللحظة، ويقوم الأستاذ بتشريح المعادلات وتفكيكها من أجل أن يجعلها وجبة خفيفة لنا. فهم الدرس غالب الطلاب بعد تركيز كبير منهم. أما البعض فقد رفعوا الراية البيضاء ولم يفهموا شيئًا، وأنا منهم، وكنت محلَّ سخرية مثل صديقي ناصر، وكنت أيضًا صاحب أضخم جسمٍ في الفصل. كانت دائماً ما تكون حصة الرياضيات مسرح سخرية منِّي. أنا أكره هذه المادة؛ لأنها تتعامل معنا على أننا أرقام ولسنا بشراً، وأشعر وكأنها طلاسم معقَّدة، لا يفكُّها إلا أصحاب ذكاء خارق، لكني لا أعترف بغبائي إلا في هذه المادة، كنت أتحمل السخرية في حصص هذه المادة كلِّها، وفي ذلك اليوم وفجأة عمَّ المكانَ هدوءٌ ممزوج برائحة الخوف، الرُّعب يكسر باب المدرسة، طلقة رصاصة تقتل حارس المدرسة، غبارٌ يتَّجه من باب المدرسة إلى الداخل، ليخنق أنفاس الطفولة، ويدفن طموح العلم. توجَّهْنا إلى النوافذ ننظر، وإذ بثلاث سيارات تكسر باب المدرسة ويدخلون بقوة السلاح، يقتلون من يعترضهم، فهم يرون المستقبل بقوة السلاح، ويدوسون على درب العلم بأحذية الجهل والتخلف. أوقفوا السيارات الثلاث بالقرب من مدخل الصفوف، أعلنوا النفير العام، حالهم كانتشار جنود المارينز الأمريكي لحماية وزير الدفاع. خرجوا متجهين إلى الصفوف بموكب يثير الرعب، كانوا يحاولون قتل كل أمل، بل إفناء الطفولة. وجوه غطَّاها السواد، لم يظهر منها إلا وهج الشر، بريق عيون نافذة في كل ما حولها وما يمر قربها، أجساد مدجَّجة بالسلاح، ورؤوس خالية من الألباب، فرضوا جبروت الصمت بقوتهم وعتادهم، والكآبة والخوف والقلق عمَّ الموجودين جميعهم، انتقلت عدوى الصمت إلى الجميع، لا سلام ولا كلام؛ لأن ذلك سيكون ثمنه رصاصة في الرأس. اعترض مدير المدرسة زعيم الفرقة أو العصابة. هنا رأينا القلم يقف أمام البندقية، الرأس الممتلئ بالحبر يقف أمام الرأس الممتلئ بالرصاص والجهل، بدلة الكارفتة تقف أمام جعبة الرصاص المحاطة على صدر الزعيم. قيد الصمت الحاضرين، ومفتاحه بيد زعيم الميليشيات، هل سيعطي الإشارة بإطلاق النار على مدير المدرسة، أو سيفتح فمه للحديث معه. تقدَّم خطوة باتجاه المدير وقال: من أنت؟ قال: أنا مدير المدرسة، ماذا تريدون أنتم؟ جئْنا لزيارة مدرستك أيها الشجاع، ونأمل أن نجد طلابك شجعانًا مثلك. أزاح المدير من أمامه بيده متَّجهًا إلى الصفوف، ودخل إلى الصف السابع الذي كان على يساره، وجعل طلاب الصف السابع في غيبوبة الصمت والخوف. كنتُ أسترقُ السمعَ بشدة، فلا أسمع إلا همس الجدران، وصرير النوافذ عندما تحاول الرياح الدخول إلى الفصل. بدأ زعيم الفرقة يتفحص الطلاب بالنظر، حتى وقع نظره على الطالب (ناصر) إذْ أشار إليه، وطلب من أحد الجنود أن يسجل اسم ناصر الكامل، تقدم الجندي حتى اقترب من ناصر، وأخذ منه اسمه بقوة السلاح، فقد وقع عليه الاختيار للتجنيد، كان المرشح المحتمل لكبر جسمه، أما رغبته فلا فائدة منها إذا تم الاختيار. عمَّ المكانَ الفوضى، لكن الجنود يضربون الطلاب والمعلمين بغير رحمة، ويقومون بتهديدهم بالسلاح. حتى أطلق الزعيم ثلاث طلقات نارية في سقف الصف، وقف الجميع في ثبات، أمر الجنود بأخذ الطالب حيًّا أوْ ميتًا، وقتل كلّ من يعترضهم، حاول ناصر التشبُّثَ بالكرسي

111
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

لكن دون جدوى، فقد كان الجنود يضربونه بمؤخرة البنادق دون رحمة ولا شفقة، حتى سقط مغشيًّا عليه، ليقوموا بعد ذلك بحمله اثنان من الجنود ويرمونه في السيارة. واصل زعيم الميليشيات في تفحص الفصول، بعد أن غادر الصف السابع متجهًا إلى صفنا، بخطوات ثابتة، لكن قلوبنا ترتجف وتنقبض وتنبسط مع كل خطوة يخطوها، كنا نفقد أنفاسنا مع كل خطوة يخطوها؛ لأن دخوله علينا يعني عدمَ الحياة لنا. مؤلمٌ جدًّا أن يكون الأمل في الحياة عبارة عن خطوات معدودة. أجسادنا مجمَّدة ونحن نسمع شيطانًا يقترب منا، ولا نستطيع التحرك، يقترب منا بنشوة الانتصار، انتصار الظلم على المظلوم. في تلك اللحظة ودَدْتُ أنْ لو كانت المسافة بين فصلنا والفصل السابع مثل المسافة بين السماء والأرض لا يقتربان أبدًا، لكن انتظار الخوف طوى تلك المسافة بسرعة، ودخل علينا وجه الموت، وأخذ يتفحص بالنظر إلينا، حتى استقر بصره عليَّ، شعرت وكأن الأرض توقفت عن الدوران، وبدأ رأسي بالدوران حول جسدي. أشار بيده اللعينة إلي، وأمر أحد الجنود بأخذ اسمي، وددْتُ لو أنيِّ نسيت اسمي، لكن خطوات الجندي الحازمة، التي توحي بتنفيذ الأمر بكل شراسة، جعلتني أتذكر اسمي فأخبرته به. حاولتُ أن أرفض المغادرة معهم لكن هجموا عليَّ ضربًا، حتى أصبحتُ عاجزًا عن القيام. حملوني والدماء تقطر مني، كنت عاجزًا عن كل شيء ما عدا النظر، ورأيتُ لحظة قتل مدير المدرسة من قبل أحد الجنود؛ لأنه كان يحاول إيقافهم. ارتطم المدير بالأرض حتى سقط القلم منه، في تلك اللحظة عرفت أنَّ كل شيء قد سقط. بعد لحظات وجدت نفسي في السيارة مع أصدقائي. أنا وأصدقائي الذين جُرِّدُوا من الطفولة، وأُلْبِسْنا لُبسَ الجهل. انتهت حياتنا وأصبحنا نموت في كل يوم، لم يعد يهمُّنا شيء سوى الموت الذي ينقذنا من متارس الحرب.

ألمُ القلمِ



محمد رافع كوتوفادمي *

سقطتُ من بين أصابعه
لفظ الحبيب أنفاسه
لفّتني العتمة
ظلام
منذ فراقه لم يعانقني أحدٌ،
بين الورقتين
استلقيت فاقد الوعي من دون حركة،
أتململ ؛ ما أزال أتجرع صمت الألم،
رأى قلبي الباكي الأوراق تبكي صامتة
في هدوء الليل في وادي ذي ضوء خافت،
لقد قال رابندرانت طاغور*:
"الحبّ الصادق حبّ مقدّس"
أطفالي الحروف قد التهمتها أشباح صمت الألم،
نمت بمفردي على فراش الورقة،
سقطت دمعة كبيرة
على نار يتمي
فما خبا !

---

* باحث وأكاديمي ومترجم في اللغة العربية بجامعة معدن الثقافة الإسلامية بولاية كيرلا بالهند.

* رابندرانت طاغور أديب هندي الذي حاز جائزة نوبل للأدب.

112
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م



سانتياجو

صادق بلعبيد

الشفقُ اليائس
مُن يؤويه..
والنجمُ الشاردُ في الملكوت
والحلم الآخرُ قبلَ الموت
من يبكيه

والظلُّ النازفُ في الصورة
الكفُّ المقرورة
الصوتُ الأخرسُ في العينين
والزبدُ
الساقطُ
من شجر الغربة ...

آلافُ الأشياءْ
ستراها تتعرّى
أنَّى وجَّهتَ ضباب المرآة
ستراها مثلك تتمرأ
حدِّق في أيّ مكان
لن تلقى غير الأحزان

الكونُ جميل
في الليل الساجي يبدو أجملْ
الحبُّ جميل
في الذكرى يبدو أكملْ
الحزنُ بحيرةُ بجعٍ ورديّة
الحزنُ هو الإنسان

تكبرُ في الضلعِ المكسورِ طفولةْ
ويشيخُ أوانُ الريح
تتعثر في التلويح
دموعٌ من حسراتٍ مجدولةْ

ما أبهى أن تغسلَ بالحزنِ
تضاريسِ الجسدِ المخذول
والحلم المقتول..

في البحرِ الناسي لا تقفلْ مثل الشيخ
ودعِ الأضواءَ الفوسفوريّة

تمحوك مع الفجر..

سِرُّ إبْدَاعِي

هاني عبود الغتنيني



فيْك انْطَوَى سرُّ إبْدَاعِي
وَمنْك
تَثُورُ أشْجانٌ.. وَأشْجاني
وَعَنْك تُدَنْدنُ الأقْلام...
وَأنْثُرُ حَولَ مَعْبَدكُمْ
لَكُمْ.. فَلَذَات أقْلامي
طَوَافاً.. يا لَرَوعَةَ ما
يَنالُ الحُبُّ منْ ذاتي
حَنينُ الأمْسِ أحْمِلُهُ

وَيحْملُني شَجَى الآتي
وَأغْدُو في مَرَابعكُم
مَشَاعرَ منْ شَذَى النَّسَمَات
هُنَا الأشْواقُ تَأخُذُني
إلَيك.. إلَيك
يَا وَطَني
وَأشْوَاقُ الصبَا اللائي
مَا رفَّتْ بأجْنحَة..
وَمَا بَرحَتْ..

تُغَرِّدُ بَينَ أعْشَاشِ الجَوَانِحِ
مَنْ هَاتيكُمُ السَّنَوَات
أتَيتُ إلَيك
هَا أنَذَا وَأنْتَ
كَذَاكَ تَنْثُرُني؟
وَتَربطُ في عُرَى الآفَاقِ آفَاقِي ؟!

113
العدد (20)
إبريل
يونيو
2021م

" الشاة شاة سالمين واللّبن لسيده "



أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

هكذا يقول لسان حال الحضارمة على صنف من الناس ضيّع جُهدَهُ وراءَ سرابٍ من بريق كلمات، أو اختارَ سلبَ حقِّه في وهم سلطة وبطولات، وبحسب المثل قُدِّرَ لسالمين دائماً الإمساكُ بقرنيْ شاته كفارس في معركة مع فراغ، وفي ساحة الوغى يجُيدُ سالمين لعبة الاستغماية بينه وبين شاته؛ كي ينسابَ اللبنُ الزُّلالُ للأسياد، ثم يعود الفارس سالمين حاملاً لواءَ التسمية، ويخْلَدُ إلى النوم بعد أن يحكي لنفسه بعضَ صولاته وجولاته.

وقد تحرَّك هذا المثل في دلالاته ومساراته مع تبدُّل الأحوال وتغيرُّها، وتَعَاقُبِ السِّنينَ، وبمُوجِبِ هذه الحركة (تحوَّر) إلى أكثرَ من سالمين (جديد) بالجينات ذاتها لجَدِّهم (القديم) مع تحسينات في شروط التبعيَّة، وأخذ حصَّة من ثمن اللبن، وبحَسْبِ الثقافة المحلية الشفاهية يُقَالُ هذا المثل في مَقَامِ السُّخريَة على شخصٍ ما أو سُلطَة حاكمة أو مكوِّن اجتماعيٍّ تصدَّرَ المشهدَ شكليًّا لكنه في واقع الحال سُيِّرٌ من جهات خَفيَّة أوْ شبّه خفيَّة، تحتَ شعَارات برَّاقة، ظاهرُها فيها البُطولةُ وباطنُها فيها الانبطاحُ.

وإذا اتَّسقَ سالمين (القديم) معَ زمانه المَحكُوم بوَطأة الترَّاتُب الاجتماعيِّ الذي دفعَهُ بقَبُولِ مَعْسُولِ الكَلامِ وخدمَةِ سيِّده بوَصفه قَدَرًا لا فكَاكَ منه ولا مَنَاصَ عنه، فإن السالمين (الجُدُد) وتحتَ عَبَاءَة تقمُّص دَوْرِ الوَقَارِ ومَظَاهِرِ الوَجَاهة بدَّلُوا جُلُودَهُم؛ ليتَّسقُوا معَ المقامِ أو الدَّوْرِ المَنُوطِ بهم، كُلاًّ في مجاله، فإذا قامَ واعظًا لَبِسَ ثوبَ الوَاعظينَ، وإذا وقفَ حاكماً قلَّدَ نفسَه أرفعَ النياشين، وإذا قامَ مُنَاضلاً أدخلَ نفسَه في زُمْرَةِ المُقَاومين.

وسالمين (النَّمُوذَجُ) شخصيةٌ عَابرَةٌ للتاريخِ والقارات بكيفيَّات متنوِّعة، وبإطلالة على مُقَارَبَات التاريخ سنجدُ ضالَّتَنا في نَمَاذِجَ كثيرة. أمَّا في هذا الزمان فحدِّثْ ولا حَرَجَ، وقبلَ أنْ نستعرضَ عيِّنات من (النماذج السالمينية) ولتقريب الصُّورَة سنعملُ على فَرْزِ العيِّنات المختلفة بحَسْبِ طبيعة دَورِهَا فهُنَاكَ (سالمين) بالإكراه، وآخَرُ بالاختيار، وصِنْفٌ مُخَاتِلٌ وهو في الدَّرْكِ الأسفلِ من (النِّفَاق)، ومن عيِّنات الصنف الأوَّل في العُصُور الوُسْطَى نجدُ مثالاً صَارِخًا في مرحلة ضَعْفِ الدَّولة العبَّاسيَّة عندما تمكَّنتْ مراكزُ القُوَى غيرُ العربيَّة من السيطرة على مَقَاليد الحُكم، وامتلكت القُدرَةَ على تنصيب الخُلَفَاء وعَزلِهم، فصارَ الخُلَفَاءُ يَملكُونَ ولا

يحكُمُونَ، بينما يستمرُّ الدُّعَاءُ لهم في المَنَابرِ بطُولِ العُمْرِ، وبالنَّصرِ المؤزَّرِ على الكافرين.

ومنْ عيِّنات التبعيَّة الاختياريَّة نلاحظُها عندما استطاعَ الرئيسُ الرُوسيُّ الحاليُّ (بوتين) بعدَ أن انتهتْ مُدَّةُ رئاسته منْ تمكين رَجُلٍ من رجاله للوُصُول إلى رئاسة الاتِّحاد الروسيِّ؛ لأنَّ موادَّ الدَّستُور تُعطي فُرصةً لإعادة الانتخاب للرئاسة بعدَ وُصُول وَجْه جديد، فأتقنت (العيِّنةُ) دورَها في الحُكم ظاهريا، واستمرَّ (الرئيسُ) بوتين يحكُمُ منْ خلف الدستور إلى أنْ عادَ رئيسًا بعدَ نهاية المشهد وهو مُطَعَّمٌ بموادِّ الدستور نفسه.

وهُناكَ الذين تداخلتْ ثُنَائيَّةُ الاختيار والإكراه في صَولاتهم وجَولاتهم، ويمكنُنَا أن نختارَ عيّنةً من حُكَّام جَنُوب الجزيرة العربيَّة الذين ارتبطوا بمُعَاهَدات حمَايَة واستشارة معَ المُستَعْمرين البريطانيِّين، فصار المُستَشَارُونَ البريطانيُّون لهم كلمةٌ قويَّةٌ في إدارة شؤون الحكم في بلدانهم، لكنَّهم وبذكاء ابقَوا على مظاهر الاحترام للحُكَّام أمامَ شُعُوبهم من خلال الألقاب التي مَنَحُوها لهم ومراسيم التشريفات بإطلاق مدافع الترحيب بهم، خاصة عندما يتوافدون على كبيرهم في المستعمرة عدن، ونحن بذكرنا هذه العيِّنات وربطها بفكرَة المثل العامَّة إنَّما نُحَاولُ - كما قلنا - تقريبَ الصُّورَة ولَسْنا مَعْنيِّينَ في الخَوض في المُلاَبَسَات والتفاصيل التي نالتْ حظًّا من الاهتمام عند المحلِّلين والمؤرِّخين.

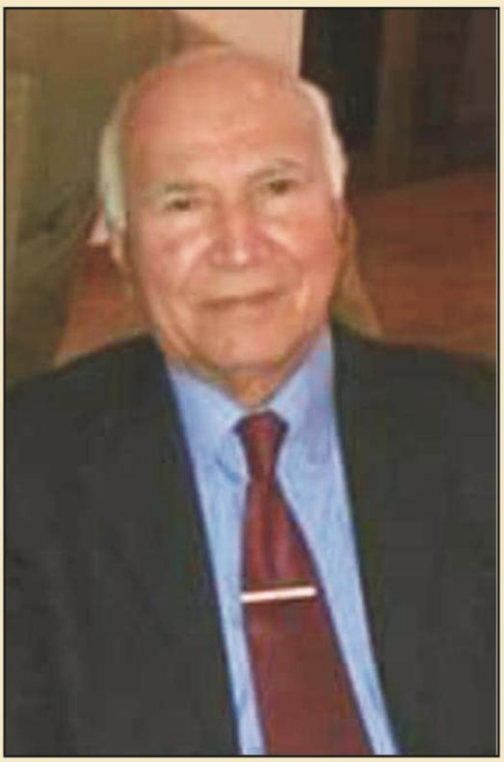
أمَّا السَّلالاتُ الأكثرُ فتكًا من تحوُّرات (سالمين) الجديد فتتمثَّل في تلك (الكائنات) التي تجُيدُ التخفِّي، وتتظاهرُ بالشرَف والنَّزاهَة والحكمَة وهي تنتشرُ حدَّ الوَبَاء، وأحيانًا الجائحة في المجتمعات الهشَّة، التي تتَّسمُ بضَعْف مؤسَّسات الحُكم وارتبَاك العدالة، وهذه السلالات تمتلكُ مواهبَ فائقةً في تقمُّص دَور البُطُولَة، والقُدرَة على القيادة والوَجاهة الاجتماعية. وهؤلاء لا يجَدُونَ غَضَاضةً بأنْ يكونوا بيادقَ بيد الحُكَّام الفاسدين وأشباههم، كما أنهم يستمرُّون في وضع نشط لقبول المناصب وتصدُّر المشاهدَ المُخاتلةَ تحتَ غطاء (إصلاح ما يمكنُ إصلاحَه وخدمة الوطن)، مع أنهم يعلمون حقَّ اليقين حدودَ دَورهم في تحسين مظهر الفاسدين، وستر عَوراتهم، ومع هذا يَستَعذبُونَ لُعبةَ الاستغماية كما جدِّهم القديم، وبعد أن يشبعوا يحورون من أنفسهم بحُجَّة صَحوَة الضمير. لكنَّهم لا يُغَادرُونَ إلاَّ بعدَ أنْ يُغَاثَ الحاكمُ بعيِّنة مُماثلة من السلالة نفسها والتحوُّر ذاته.

إن هذه التحوُّرات النشطةَ والسلالات المتجدِّدَةَ لا تُلغي الجَذرَ الجينيَّ لقبيلة (سالمين) وواحدية دَورهم (التَّاريخيِّ) في خدمة الأسياد، صحيحٌ أنَّ الأحفاد احتالوا للحصول على حصَّتهم من اللبن، لكنَّهم جميعًا بشكلٍ أو بآخرَ استحلُّوا لعبة الاستغماية؛ كي يَنسَابَ اللبنُ للأسياد، ثمَّ يصدِّقُ الفارسُ سالمين نفسه، ويحملُ لواءَ التسمية، ويخلَدُ إلى النوم بعدَ أن يحكيَ لنفسه بعضَ صَوْلاته وجَوْلاته.

ملحوظة ليست من أصل المقال:

سالمين النموذج بحسب المثل الشعبي الحضرمي لا علاقة له بمن يُسَمَّى (سالمين) من أهلنا الكرام الشرفاء، إنما هي تسميةٌ مُستَعَارَةٌ من هذا المثل لتوضيح فكرته، وهي في الأصل تَنُوبُ عن أيِّ مُسَمَّى لأيِّ (كائن) فَقَدَ الإدارةَ الحُرَّةَ لنفسه..

المؤرخ عكاشة في ذمة الله



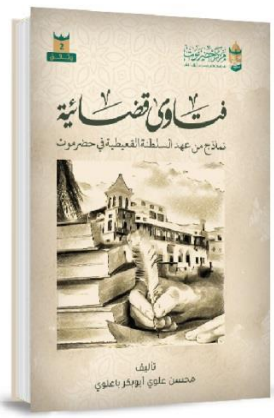
• في 11 يونيو 2021م انتقل إلى جوار ربه الدكتور محمد عبدالكريم عكاشة أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب - جامعة عدن في المدة 1972-1995م.

• كان عالمًا جليلاً ورجلاً فاضلاً يمتلك رصيدًا أكاديميًا زاخرًا من خلال مؤلفاته العلمية وإشرافه ومناقشته للعديد من الرسائل العلمية في جامعة عدن.

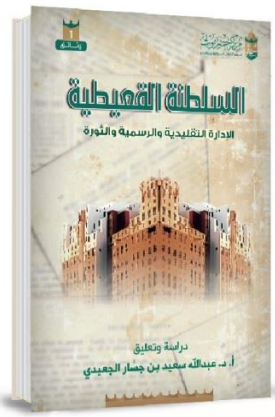
• عمل في بداية حياته مدرسًا في ثانوية المكلا للبنين ودفعه ذلك للاهتمام بتاريخ حضرموت فكانت أطروحته للدكتوراة بعنوان: (السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت 1839- 1918م).

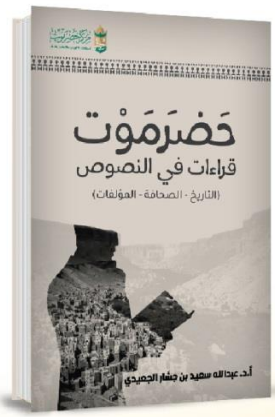
• في عام 1995م عاد إلى غزة، وعمل أستاذًا في جامعة الأزهر إلى أن وافته المنية ووري جثمانه الثرى في مدينة جباليا الفلسطينية.

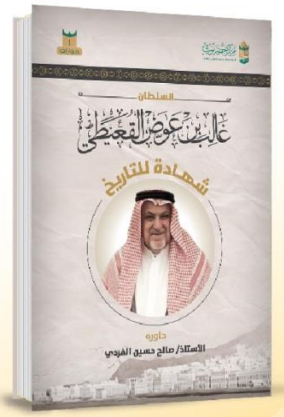
متوفر الآن

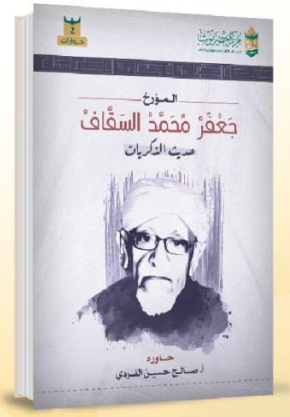

فتاوى قضائية
نماذج من عهد السلطنة القعيطية في حضرموت
تأليف
محسن علوي أبوبكر باعلوي

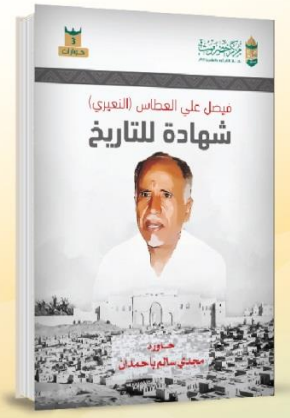

الصراع
الكساحي البريكي
في وثائق تاريخية تنشر لأول مرة
تأليف
أ. د. علي صالح الخلقي

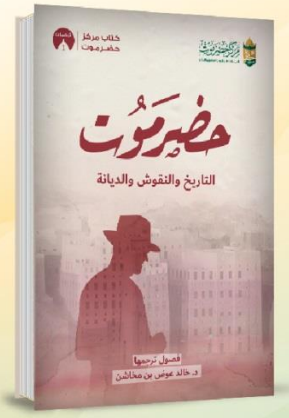

السلطنة القعيطية
الإدارة التقليدية والرسمية والثورة
دراسة وتعليق
أ. د. عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي

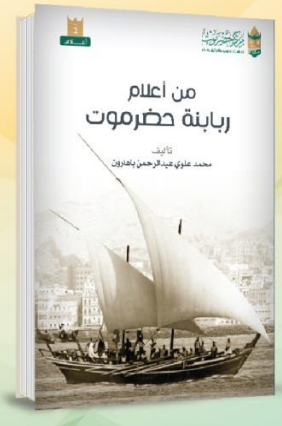

حَضرَمَوْت
قراءات في النصوص
(التاريخ - الصحافة - المؤلفات)
أ.د. عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي

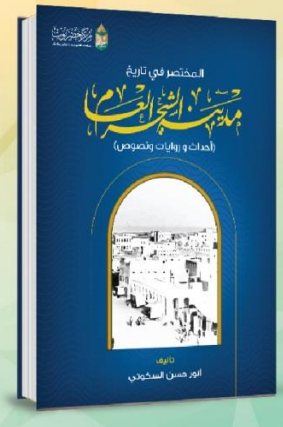

السلطان
علي بن عوض القعيطي
شهادة للتاريخ
حاوره
الأستاذ/ صالح حسين الفردي

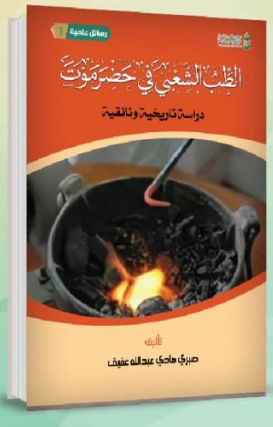

المؤرخ
جَعْفَرْ مُحَمَّدْ السَّقَّاف
صديق الكتب
حاوره
أ. صالح حسين الفردي

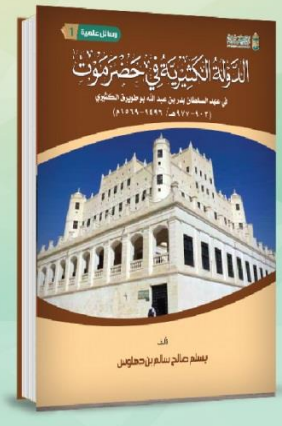

فيصل علي العطاس (النعيري)
شهادة للتاريخ
حاوره
مجيش سالم باحمدان


كتاب مركز حضرموت
حضرموت
التاريخ والنقوش والديانة
فصول ترصدها
د. خالد عوض بن مخاشن


من أعلام
ربابنة حضرموت
تأليف
محمد علوي عبدالرحمن بافارون


المختصر في تاريخ
مدينة سيئون الشهير العمراني
(أحداث و روايات ونصوص)
تأليف
أنور حسن السكوتي


الطب الشعبي في حضرموت
دراسة تاريخية وثائقية
تأليف
صبري هادي عبدالله عفيف


الدولة الكثيرية في حضرموت
في عهد السلطان بدر بن عبد الله بن عمر بن الشيخ الكثيري
(٩٠٢-٩٧٧هـ/ ١٤٩٦-١٥٦٩م)
د.
يسلم صالح سالم بن حماس